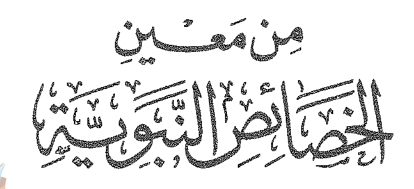
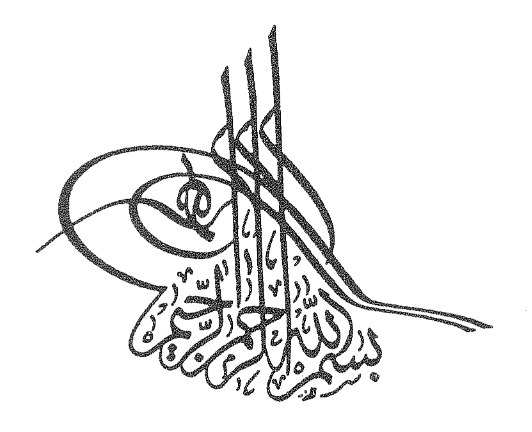
مِن معين الخصائص النبوية

تأليف
صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي


شبكة
الألوكة
www.alukah.net


من معين
الخصائص النبوية


بسم الله الرحمن الرحيم





تأليف
صالح أحمد الشامي







الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين. وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

إن معرفة رسول الله ﷺ ليست نافلة من النوافل في حياة المسلم، بل هي فرض من الفروض، إذ عن طريقه وصلنا هذا الدين العظيم، وقد اختاره الله تعالى - و ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ - ليكون المبين لتعاليم هذا الدين، بفعله وقوله، وامتناعه وتركه.

ومن هنا كانت معرفته حتماً لازماً.

وما أروع قول ابن القيم - رحمه الله - في هذا الصدد:

«وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(١).

وقال:

وعلى العبد أن يجعل النبي ﷺ «إمامَه ومعلِّمه، وأستاذَه وشيخه وقدوته» - كما جعله الله نبيَّه ورسولَه وهادياً إليه - فيطالع سيرته

(١) زاد المعاد ١/٦٩.

ومبادىء أمره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه، وآدابه في حركاته وسكونه، ويقظته ومنامه، وعبادته، ومعاشرته لأهله وأصحابه، حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه»[١].

إنها الوصفة الناجعة، والطريق القريب إلى معدن الخير كله.

وكتب السنّة والسيرة هي الطريق إلى هذه المعرفة.

وقد سبق لي ـ بحمد الله تعالى ـ إخراج كتابين في هذا الموضوع:

الأول ـ بعنوان: «من معين السيرة» وفيه بيان جهاده صلّى الله عليه وسلّم ومغازيه.

والثاني ـ بعنوان: «من معين الشمائل» وفيه بيان بعض من أخلاقه وآدابه صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا الكتاب: «من معين الخصائص» وفيه بيان لبعض مكانته عند الله تعالى بدلالة ما اختصه تعالى به من أمور.

وإني لأرجو أن يكون في هذه الكتب بعض التعبير عما تكنه النفس من الحب والإجلال والتقدير لهذا النبي الكريم، فتكون الطريق إلى الانضواء في ظلال حديث أنس رضي الله عنه[٢].

هذا وأرجو أن يجعل الله هذا العمل متقبلاً خالصاً له وكذلك سائر أعمالي وأعمال المسلمين، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

١ ربيع أول ١٤١٩هـ
٢٥ حزيران ١٩٩٨م

كتبه
صالح أحمد الشامي

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٢٦٨.

(٢) أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: (وماذا أعددت لها؟) قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ، فقال: (أنت مع من أحببت).
قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ (أنت مع من أحببت).
قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. [خ ٣٦٨٨، م ٢٦٣٩].



تمهيد

المقصود بالخصائص:

لا بد لنا من كلمة موجزة عما كتب عن رسول الله ﷺ حتى نحدد المقصود بالخصائص.

ومن المعلوم أن ما كتب عنه ﷺ لا يمكن إحصاؤه لكثرته وتنوع موضوعاته. وقد بدأت عملية الكتابة بجمع عام تناول كل ما يتعلق به، ثم بدأت عملية التمييز، بحيث انضوى كل نوع تحت عنوان خاص به يميزه عن غيره.

فكان من نتيجة ذلك ظهور فرعين كبيرين: السنّة، والسيرة.

الأول: السنّة.

السنّة أو علم الحديث، ويتناول أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته. وما تفرع عن ذلك من علوم شتى. غايتها التثبت من صحة النص ونفي الكذب عنه والدخيل.

ولهذا كان: «علم الحديث أوسع العلوم على الإطلاق:

ـ ولتقريب الطريق للوصول إلى علومه، وضع المحدثون علم الفهرسة والفهارس..

ـ ولمعرفة متن الحديث لفظاً، وضعوا الأطراف.

ـ ولمعرفته لغة، وضعوا المعاجم.

ـ ولمعرفته حكماً، وضعوا الجوامع.
ـ ولمعرفة سند الحديث جرحاً وتعديلاً، وضعوا معاجم الرجال.
ـ ولمعرفته صحة وضعفاً، وضعوا التخاريج.
ـ ولمعرفته اصطلاحاً وضعوا أصول الحديث..»[1].

ولكثرة كتب السنّة وعلوم الحديث، الأمر الذي يصعب معه الإلمام بها، قام العلاّمة محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ) بوضع رسالته المشهورة للدلالة على هذه الكتب وقد أسماها: «الرسالة المستطرفة، لبيان مشهور كتب السنّة المشرفة» وقد اشتملت على أربعمائة وألف كتاب من مشهور كتب علوم الحديث، وعلى قريب من ستمائة ترجمة من مشهور تراجم علماء الحديث.

الثاني: السيرة.

وتتناول سيرة النبي ﷺ ابتداء من ولادته وحتى وفاته، بحسب التسلسل الزمني، وتعرج على بيان سلوكه في تلك الوقائع والأحداث، وما صاحب ذلك من معجزات ودلائل على نبوته ﷺ، مع بيان للمعارك التي خاضها. والاتفاقات التي أبرمها، وبيان للوفود التي وفدت عليه.. إلخ.

وقد تفرعت الكتابة في السيرة أيضاً إلى فروع متنوعة، تناول كل واحد منها جانباً معيناً من سيرته ﷺ، واستقل تحت عنوان خاص به. ومن ذلك:

١ ـ المغازي: والمراد بها غزوات النبي ﷺ:

وقد اقتصرت بعض الكتب على بيان هذا الجانب من حياته ﷺ.

---

(١) مقدمة الرسالة المستطرفة ص ٨ للشيخ المنتصر الكتاني.
وقد طبعت الرسالة الطبعة الخامسة بدار البشائر الإسلامية ـ بيروت. عام ١٤١٤هـ.

وأشهر ما ألف في هذا الباب: «مغازي ابن إسحاق» و «مغازي الواقدي».

وقد ذكر الدكتور المنجد في كتابه «معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ» ثلاثة وثلاثين كتاباً، كلها يحمل هذا العنوان.

٢ ـ السير:

وهذا النوع من الكتب يلتقي مع كتب المغازي في ذكر الغزوات. إلا أنه يعرج على الأحكام الفقهية المستنبطة من ذلك. من عرض الإسلام على الأعداء قبل بدء القتال، وكيفية توزيع الغنائم، وأحكام الجزية، وأحكام الذميين، وأحكام الأمان...

ومما ألف في هذا الباب: «السير» للإمام الأوزاعي، و «السير الكبير» و «السير الصغير» للإمام محمد بن الحسن الشيباني.

٣ ـ دلائل النبوة:

وتحت هذا العنوان أفرد المؤلفون، كل ما فيه دلالة على نبوته ﷺ من أحداث أو أخبار أو معجزات، ومن الكتب المشهورة في هذا الباب كتاب: «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصفهاني، و «دلائل النبوة» للإمام البيهقي.

وقد ذكر الدكتور المنجد أكثر من أربعين كتاباً تحت هذا العنوان.

٤ ـ الخصائص:

وقد تناول المؤلفون تحت هذا العنوان، ما كان النبي ﷺ مختصاً به. مثل كونه خاتم النبيين، ونزول القرآن عليه، واختصاصه بعدم التقيد بعدد الزوجات، وما اختصت به هذه الأمة من جعل الأرض مسجداً وطهوراً.



وللسيوطي كتاب كبير في هذا الباب معروف باسم «الخصائص الكبرى».

وقد ذكر الدكتور المنجد ثلاثين كتاباً في هذا الباب.

٥ ـ السيرة النبوية:

ويشمل هذا النوع من الكتب ذكر حياته ﷺ ابتداء من الولادة، وحتى الوفاة، وأشهر الحوادث، بما في ذلك الغزوات. ومن أشهر الكتب في هذا الباب: «السيرة النبوية» لابن هشام. والكتب في هذا الباب كثيرة. استغرق ذكرها من كتاب الدكتور المنجد أكثر من ثلاثين صفحة.

٦ ـ حقوق النبي ﷺ:

ومن أشهر الكتب في هذا الباب كتاب: «الشفا في تعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض. وأكثر الكتب في هذا الباب، هي شروح لهذا الكتاب.

٧ ـ الشمائل والأخلاق:

وقد تناول المؤلفون تحت هذا العنوان أخلاق النبي ﷺ وآدابه. وكذلك وصف جسمه والأدوات التي كان يستعملها. ومن أشهر الكتب في هذا الباب كتاب: «الشمائل» للإمام الترمذي، وكتاب: «الأنوار في شمائل النبي المختار» للبغوي.

وإذا كانت هذه الكتب قد أفردت لكل موضوع أبوابه الخاصة به، فكثيراً ما يحصل التداخل بينها. فكتب السنّة تشتمل على أحداث السيرة، وفي كتب السيرة كثير من الأحاديث، وكتب الشمائل كثيراً ما تناولت المعجزات والخصائص، وهكذا.

والسبب واضح في هذا الأمر، وهو أن جميع هذه الكتب



موضوعها هو شخصية الرسول ﷺ. وقد تكون الواقعة الواحدة تشتمل على الخلق الكريم، وعلى الخصوصية، وعلى المعجزة.. وهكذا يتكرر ذكرها في الكتب المتنوعة[1].

وبعد تحديد موقع «الخصائص» على خارطة كتب السنّة والسيرة، أعود إلى بيان المقصود بالخصائص.

فالخصائص: جمع خصوصية. وهي ما انفرد به صاحبه دون غيره.

والخصائص في اصطلاح الفقهاء وكتّاب السيرة تطلق على ثلاثة أمور:

الأول: المسائل التي انفرد بها ﷺ في الحكم عن عامة المسلمين.

والمثال على ذلك: إباحة تعدد الزوجات إلى أكثر من أربع.

الثاني: المسائل التي انفرد بها ﷺ في الحكم عمن سبقه من الأنبياء.

والمثال على ذلك: إباحة الغنائم له ولأمته، ولم تحل لنبي قبله.

والثالث: ما خصَّ به تشريفاً وتفضيلاً منه سبحانه وتعالى له.

---

(١) ولكثرة كتب السيرة في فروعها المختلفة، كانت بحاجة إلى فهرس ومرجع يستطيع الباحث التعرف عليها من خلاله.
وقد قام بهذا العمل الجليل. كل من: الدكتور صلاح الدين المنجد، والدكتور محمد ماهر حماد.
واسم كتاب الدكتور المنجد: «معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ» وطبعته دار الكتاب الجديد ـ بيروت. وصدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٢هـ.
واسم كتاب الدكتور حمادة: «مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ» وطبعته دار العلوم. الرياض. وصدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٢هـ.

والمثال على ذلك: عموم رسالته في الدنيا، والشفاعة في الآخرة.

يضاف إلى ذلك:

ما خصت به أمته ﷺ إكراماً له، وبانتسابها إليه. مثل كونها شاهدة على الأمم يوم القيامة.

وبناءً على هذا التفصيل: فإن الخصائص في جملتها ترجع إلى نوعين:

خصائص الأحكام.

وخصائص الفضائل.

وقد يجتمع في الخصوصية الواحدة الأمران معاً.

كتب الخصائص:

نستطيع الرجوع في البحث عن الخصائص إلى عدة أنواع من الكتب.

١ ـ كتب التاريخ العام، مثل كتاب: «البداية والنهاية» لابن كثير. حيث أفرد جزءاً من كتابه للمعجزات ودلائل النبوة والخصائص، عندما انتهى من بحث السيرة النبوية.

٢ ـ كتب السيرة العامة، مثل كتاب «المواهب اللدنية» للقسطلاني حيث أفرد مقصداً من مقاصد كتابه للمعجزات والخصائص.

٣ ـ كتب جمعت بين دلائل النبوة والخصائص، مثل: «الخصائص الكبرى» للسيوطي. فقد بدأ كتابه بذكر المعجزات تبعاً لتسلسل أحداث السيرة، ثم ذكر المعجزات التي لا ارتباط لها بذلك التسلسل، ثم ختم كتابه بذكر الخصائص.

٤ ـ كتب موضوعية أفردت الخصائص بالحديث. وهي كثيرة منها كتاب: «غاية السول» لابن الملقن. وكتاب: «مرشد المحتار» لابن طولون، وكتاب «اللفظ المكرم» للخيضري.

٥ ـ كتب الفقه: تحدثت كتب الفقه الكبيرة عن الخصائص وأفردت لها فصلاً، عند حديثها عن كتاب النكاح، وسبب ذلك أن عدداً لا بأس به من الخصائص يرجع إلى مسائل النكاح. والمثال على ذلك كتاب: «روضة الطالبين» للإمام النووي حيث أفرد فصلاً في أول كتاب النكاح لذلك.

٦ ـ وهناك بعض كتب الحديث التي أفردت لعلامات النبوة كتباً خاصة ذكرت ضمنها بعض الخصائص، مثل كتاب: «مجمع الزوائد» للحافظ الهيثمي.

«وكان أول من تكلم في الخصائص: الإمام الشافعي، واقتفى أثره أبو العباس بن القاص، وأبو بكر البيهقي، إلا أن ذلك لم يكن في تصنيف خاص.

وأول من أفردها بالتصنيف: العلامة ابن دحية الكلبي، المتوفى سنة ٦٣٣هـ في كتابه: «نهاية السول في خصائص الرسول»»(١).

تضخم كتب الخصائص والمعجزات:

وتلاحظ سمة التضخم والورم على بعض كتب الخصائص والمعجزات، وذلك راجع إلى عدد من الأسباب. منها:

١ ـ التساهل في قبول النصوص:

فقد تساهل معظم كتاب السيرة في قبول الأحاديث الضعيفة بل

---

(١) مقدمة كتاب مرشد المحتار، للدكتور بهاء محمد شاهد.

والضعيفة جداً، بل وأعلنوا ذلك صراحة، حتى بات عندهم أمراً مقبولاً في هذا الباب. وأذكر أمثلة على ذلك:

جاء في كتاب: «المواهب اللدنية» ١/ ١٥٤ وفي «الخصائص الكبرى» ١/ ٩١:

«وأخرج البيهقي والصابوني في (المأتين) والخطيب وابن عساكر في تاريخه، وابن طغربك السياف في «النطق المفهوم» عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله، دعاني للدخول في دينك أمارة لنبوتك، رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال. قال: إني كنت أحدثه ويحدثني، ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش».

قال البيهقي: تفرد به أحمد بن إبراهيم الجيلي وهو مجهول.

وقال الصابوني: هذا حديث غريب الإسناد والمتن. وهو في المعجزات حسن. انتهى.

فانظر إلى قول الصابوني بعد حكمه على الحديث: «وهو في المعجزات حسن». أي أن باب المعجزات مفتوح لكل ما يوضع فيه بغض النظر عن درجة الحديث.

وانظر إلى فعل كل من «القسطلاني» و «السيوطي» في إثبات هذا النص في كتابيهما. فإنه موافقة ضمنية على ما قاله الصابوني.

وما أظنهما أنه يخفى عليهما أن الحديث من الموضوعات.

ومثال آخر:

جاء في فتح الباري ٨/ ٦٧٣.

«وأخرج العقيلي وابن منده وغيرهما، وذكره أبو عمر بغير سند من طريق لهب بن مالك الليثي قال: ذكرتُ عند النبي ﷺ الكهانة،

فقلت: نحن أول من عرف حراسة السماء، ورجم الشياطين، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم، وذلك أنا اجتمعنا عند كاهن لنا يقال له خطر بن مالك، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتان وست وثمانون سنة، فقلنا: يا خطر، هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها، فإنا فزعنا منها وخفنا سوء عاقبتها؟..

الحديث بطوله..

قال أبوعمر: سنده ضعيف جداً ولولا فيه حِكَم لما ذكرته، لكونه علماً من أعلام النبوة والأصول» انتهى فتح الباري.

فانظر إلى قول أبي عمر: «لكونه علماً من أعلام النبوة والأصول» فهذا هو المبرر لقبول حديث سنده ضعيف جداً. وأي أصول هذه التي تثبت بالأحاديث الضعيفة جداً؟!.

وجاء في مقدمة «تهذيب الخصائص الكبرى» للشيخ عبد الله التليدي:

«ولأمر ما تواطأ السابقون واللاحقون على التساهل في السيرة والخصائص، عن قصد وبدونه، والسيوطي المحدث، والذي يقول في مقدمة كتابه: (أوردت فيه كل ما ورد، ونزهته عن الأخبار الموضوعة وما يرد) يتابع سلفه، ويأخذه ما أخذ سابقيه، ففي كتابه من الخبر الضعيف أكثر من نصف الكتاب، ومن الموضوعات والمنكرات ما لا يظن بالسيوطي الغفلة أو التغافل عنه» انتهى.

وهكذا لم يستطع السيوطي الالتزام بما قال، وجرفه تيار التساهل بقوة عنيفة.

٢ ـ القول بالخصوصية لأدنى احتمال:

والمثال على ذلك الخلاف في الصلاة على الميت الغائب.

«فقد قال الشافعي وأحمد وجمهور السلف بالصلاة على الغائب استدلالاً بالصلاة على النجاشي.

وقال الحنفية والمالكية: لا يشرع ذلك. واعتذروا عن قصة النجاشي بأمور.. منها..

ومن ذلك قول المهلب: أن ذلك خاص بالنجاشي، لأنه لم يثبت أنه ﷺ صلى على ميت غائب غيره.

قال النووي ـ في الرد على ذلك ـ: لو فتح هذا الباب ـ أي القول بالخصوص ـ لانسد كثير من ظواهر الشرع، مع أنه لو كان شيء مما ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله.

وقال ابن العربي: قال المالكية: ليس ذلك إلا لمحمد ﷺ.

قلنا: وما عمل به محمد ﷺ تعمل به أمته، يعني لأن الأصل عدم الخصوصية.

قالوا: طويت له الأرض، وأحضرت الجنازة بين يديه.

قلنا: إن ربنا لقادر، وإن نبينا لأهل لذلك، ولكن لا تقولوا إلا ما رويتم، ولا تخترعوا حديثاً من عند أنفسكم، ولا تحدثوا إلا بالثابتات ودعوا الضعاف، فإنها سبيل إلى إتلاف ما ليس له تلافٍ»[(١)].

هكذا تُدَّعَى الخصوصية لأدنى الأغراض، ولإثبات قول تالف لا دليل عليه، وفي قضية واضحة وردت بأحاديث صحيحة.

وقد كان قول النووي فصل الخطاب: بأنه لو فتح باب القول بالخصوص لانسد كثير من ظواهر الشرع.

٣ ـ كثرة التفريعات:

والأمثلة على ذلك كثيرة:

---

(١) المواهب اللدنية ٤/٣٠٧ ـ ٣٠٨.

ففي مسألة القول بوجوب صلاة الضحى عليه ﷺ، وبعد كلام طويل في هذا الموضوع، قالوا:

وإذا قلنا بوجوبها.. فهل كان الواجب عليه: أقل الضحى؟ أو أكثرها؟ أو أدنى كمالها؟.

وبعد مناقشة ذلك خاضوا في حكم صلاة الضحى في حق الأمة.. وأنه قد اختلف فيها على ستة أقوال.

ثم أوردت الأقوال الستة بأدلتها..

ثم محاولة الجمع بينها[1].

ومثال آخر: عند الحديث على أنه وجب عليه تخيير زوجاته ﷺ.. وبعد إشباع القول في قضية ليست محلاً للمناقشة.. قالوا في جملة ما قالوا:

هل حرم على النبي ﷺ طلاق زوجاته بعد اختيارهن له؟ وفيه وجهان..

وتمَّ ذكر الوجهين وأدلتهما والتعقيب عليهما..

ثم قالوا: لو قدر أن واحدة منهن اختارت الدنيا، هل كان يحصل الفراق بنفس الاختيار؟ فيه وجهان..

وتمَّ ذكر الوجهين مع أدلتهما..

ثم قالوا: هل يعتبر جوابهن على الفور؟ فيه وجهان..

وتم ذكر الوجهين مع أدلتهما..

ثم قالوا: إذا قلنا بأن الجواب على الفور، فهل يمتد امتداد المجلس؟ أو يكتفى بما يعدّ جواباً؟ على وجهين[2]..

---

(١) مرشد المحتار ص ٦٥ ـ ٦٨، واللفظ المكرم ١/ ٧٢ ـ ٨٦.

(٢) مرشد المحتار ص ١٢٧ ـ ١٣٢.

وهكذا.. في مسألة انتهت بانتهاء حياته ﷺ في الدنيا.. علماً بأنه لم يطلق ولم تختر واحدة منهن الدنيا.. فما فائدة هذه التفريعات العبثية؟!.

٤ ـ التسابق إلى استدراك بعض الخصائص:

فقد أصبح لدى بعض المؤلفين هدف الاستدراك على من سبقه وإضافة خصائص لم يسبق إليها...

ومن أمثلة ذلك: ما جاء في الخصائص الكبرى.

قال السيوطي: باب اختصاصه ﷺ بما سمي به من أسماء الله تعالى.

قال القاضي عياض: قد خص الله نبيه ﷺ بأن سماه من أسمائه بنحوٍ من ثلاثين اسماً وهي:.. ثم ذكرها.

قلت ـ أي السيوطي ـ: قد وقع لنا عدَّة أسماء أخر زيادة على ذلك.. وذكر ثلاثة وأربعين اسماً[1].

❁ ❁ ❁

هذه الأسباب وغيرها جعلت من كتب الخصائص والفضائل وأعلام النبوة مرتعاً خصباً لدخول الأخبار المنكرة والموضوعة والباطلة.

وهذا ما أتاح «لابن سبع أن يكتب في أعلام النبوة والخصائص خمسة عشر مجلداً، ولابن فطيس أن يكتب عشرة أجزاء، وللدمشقي أن يكتب أربع مجلدات، ففي هذه الكثرة ما يغني عن التعليق»[2].

وينبغي أن نضيف سبباً آخر خاصاً بالمعجزات وأعلام النبوة.

(١) الخصائص الكبرى ١/١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) مقدمة تهذيب الخصائص الكبرى ص ١٣.

وهو: أن المعجزات أمر خارق للعادة، وبالتالي فهو غير خاضع للمحاكمة العقلية ولذلك كان دخول الأباطيل إليه سهلاً ميسوراً، فالله قادر على كل شيء، وتحت هذه المظلة امتلأت كتب أعلام النبوة بكثير من الباطل، حتى أصبح لجميع الحيوانات مشاركة فعالة في هذه المعجزات، وخصت بباب اقتصر عليها في المؤلفات[1]..

القواعد والضوابط:

هناك عامل آخر من عوامل التضخم في كتب الخصائص، ألا وهو غياب الالتزام بقواعد وضوابط التخصيص.

فمن المعلوم أن الخصائص نوعان: خصائص الأحكام، وخصائص الفضائل.

والغاية من دراسة خصائص الأحكام، هي إيضاح وبيان الأحكام التي اختص بها ﷺ، والتي ليست محلاً للتأسي به فيها.

إذ الأصل العام: أنه على المسلمين التأسي بالنبي ﷺ في كل ما يفعله ولقد قرر القرآن الكريم ذلك واضحاً في قوله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

وإذاً فكل أفعاله ﷺ محل للتأسي بها، إلا ما قام الدليل على استثنائه من هذه القاعدة العامة.

ودليل الاستثناء والتخصيص لا يكون إلا نصاً من كتاب أو سنة، ولا محلَّ هنا للاجتهاد والقياس، وقد نص العلماء على ذلك.

---

(١) انظر على سبيل المثال الخصائص الكبرى ٢/ ٩٤ وما بعدها: ذكر معجزاته ﷺ في ضروب الحيوانات.

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢١).



قال ابن الملقن تعقيباً على استدلال بعضهم بحديث ضعيف لخاصية من الخصائص:

«فإن الذي ينبغي ولا يُعدَل إلى غيره: أن لا تثبت خصوصية إلا بدليل صحيح»(١).

وقال صاحب «المواهب اللدنية»، نقلاً عن شرح تقريب الأسانيد:

«والخصائص لا تثبت إلا بدليل صحيح»(٢).

ورأينا من قبل رأي ابن العربي في رفض القول بالخصوصية إلا بدليل صحيح. وقال: وما عمل به محمد ﷺ تعمل به أمته، يعني أن الأصل عدم الخصوصية(٣).

وقال ابن الملقن في رفض الأقيسة في الخصائص:

«فإن الأقيسة لا مجال لها في ذلك ـ أي التخصيص ـ وإنما المتبع فيه النصوص، وما لا نص فيه، فالاختيار في ذلك هجوم على غيب بلا فائدة»(٤).

نخلص من هذا إلى إثبات ضابطين عن القول بالتخصيص، وفقاً لما قرره العلماء، وما عملوا به:

١ ـ رفض القياس والاجتهاد في ذلك.

٢ ـ وجود الدليل الصحيح، وهو إما آية كريمة أو حديث صحيح، ولا مجال لقبول الأحاديث الضعيفة.

---

(١) غاية السول ص ٧٩.
(٢) المواهب اللدنية ٢/٦٠٠.
(٣) المواهب اللدنية ٤/٣٠٨.
(٤) غاية السول ص ٦٩.



لأن إثبات خصوصية له ﷺ بناءً على حديث ضعيف، أو بناءً على قياس، يعني حرمان الأمة ومنعها من التأسي به في تلك المسألة، وهو جرم كبير يرتبط بحق المسلمين جميعاً.

هذا في مجال خصائص الأحكام.

وخصائص الفضائل لا تختلف عن خصائص الأحكام في شيء، وطريقة إثباتها هي الطريقة نفسها.

بل إن إثبات خصائص الفضائل بناءً على الاجتهادات والأقيسة والأحاديث الضعيفة أشد خطراً في النتائج من النوع الأول، وذلك لما يترتب عليه من إساءة إلى شخصيته صلّى الله عليه وسلّم.

قال الشيخ عبد الله التليدي في صدد الإساءة إلى الرسول ﷺ:

«شيء مؤسف جداً أن نرى المسلم يسيء إلى رسوله، وإلى الدين الذي يحمل، ويظلم الإنسانية بصرفها عن الحق والسلام والخير، وحجب معالم الكمال والنضج المعرفي والروحي والإنساني في دين الله الإسلام.

فالحقيقة أن الكاتبين في الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام، في بعض مؤلفاتهم منكرات وموضوعات، يكشف عنها النقد وقواعد الحديث، وللأسف فإن الشك[1] في مثل هذه المصنفات والاغترار بها، حجب عن الأمة الصورة الصحيحة لرسول الله، في صفاته وأخلاقه، وملامح النبوة في حياته وجهاده، وتسللت إلى الأمة الكثير من خرافات الإسرائيليين، وضلالات القاصرين، ومفتريات الوضاعين، وهام القراء طويلاً بين أساطير الروايات، التي تنتقل بالرسول من إنسانيته ونبوته المشرقة. إلى رمز للغوامض، ومتجمع للغرائب، هكذا

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: الثقة.

تريد بعض مؤلفات المسلمين لرسول الله، أن يعرفه الناس، وأن يؤمنوا به!! واختلط الأمر، فلم تعرف حقيقة من افتراء، ولا معجزة من أسطورة، بله واقع من خيال»[١].

أقول: وفي ظل غياب الالتزام بالضوابط التي ذكرتها، حدث ما أوضحه الشيخ التليدي، ولنضرب الأمثلة على ذلك:

قالوا: للنبي ﷺ أن يأخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج إليهما، وعلى صاحبهما البذل.

وقالوا: من خصائصه ﷺ أنه لو رغب في نكاح امرأة، فإن كانت خلية لزمها الإجابة.

وإن كانت مزوجة، وجب على زوجها طلاقها لينكحها.

وقالوا: واختص ﷺ بأنه يباح له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه.

وقالوا: واختص ﷺ بإباحة القتل له بعد الأمان.

وقالوا.. وقالوا.

أقول: أخي القارئ، افتح عينيك جيداً، وأعد قراءة هذه المسائل فلعلك لم تصدق عينيك. أعد القراءة لتتأكد من هذه الخصائص.

فإنها لم تذكر على اعتبارها خصائص لجبَّار أو طاغيه، ولا على اعتبارها خصائص لمارق لا يعرف شيئاً يسمى «الأخلاق» ولا على اعتبارها خصائص لرئيس عصابة تقوم بقطع الطريق على الناس، وسرقة ممتلكاتهم والاعتداء على أعراضهم.

---

(١) مقدمة تهذيب الخصائص الكبرى ص ٧.



إنها خصائص لرسول الله!! رسول الله الذي جاء ليكمل مكارم الأخلاق، رسول الله الذي وصفه الله فقال فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾!!؟.

ما نشك في دين الذين قالوا ذلك، فهم علماء مسلمون، لهم الكثير من الفضل، ولكن ما حدث كان نتيجة لعدم الالتزام بالقواعد، وللإغراق في التفريعات الفقهية، حتى نسيت الأصول، والحقائق الكبرى لهذا الدين، والصفات العظيمة لهذا الرسول الكريم، صلوات ربي وسلامه عليه.

إنه لا مجال للعقل والخيال والاجتهاد والقياس في رسم صورة شخصية الرسول ﷺ، حتى ولا للأحاديث الضعيفة. ذلك أنه ﷺ الأسوة والقدوة والمبلغ عن الله سبحانه وتعالى. وقد تكفلت لنا الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة ببيان معالم شخصيته ﷺ وهي المصدر الذي ينبغي الاعتماد عليه والرجوع إليه، ففي الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة ما يلبي الحاجة بل وأكثر من الحاجة.

وفي ضوء ما سبق، ندرك تماماً عظم الكذب على رسول الله ﷺ الذي تضافرت الأحاديث الصحيحة على التنفير منه.

موقف العلماء من الخصائص:

منع بعض العلماء الكلام في الخصائص، لأنه أمر انقضى فلا معنى للكلام فيه.

وفصَّل بعضهم في الأمر:

قال إمام الحرمين[1]: قال المحققون: ذكر الاختلاف في مسائل

---

(١) إمام الحرمين: هو عبد الملك بن عبد الله.. الجويني، أبو المعالي، أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي، توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة للهجرة.



الخصائص خبط غير مفيد، فإنه لا يتعلق به حكم ناجز تمسُّ إليه حاجة، وإنما يجري الخلاف فيما لا نجد بداً من إثبات حكم فيه، فإن الأقيسة لا مجال لها، والأحكام الخاصة تتبع فيها النصوص، وما لا نص فيه، فتقدير اختيار فيه، هجوم على الغيب من غير فائدة[١].

ومنع ابن خيران[٢] الكلام في الخصائص بالاجتهاد.

وقال إمام الحرمين في النهاية: ليس يجوز إثبات خصائص رسول الله ﷺ بالأقيسة التي تناط بها الأحكام العامة في الناس، ولكن الوجه ما جاء به الشرع من غير ابتغاء مزيد عليه[٣].

وقال النووي: وقال سائر أصحابنا: لا بأس به، وهو الصحيح، لما فيه من زيادة العلم، فهذا كلام الأصحاب. والصواب: الجزم بجواز ذلك، بل استحبابه، بل لو قيل بوجوبه، لم يكن بعيداً، لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتة في الحديث الصحيح، فعمل به أخذاً بأصل التأسي، فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها، وأي فائدة أهم من هذه، وأما ما يقع في ضمن الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل، لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الأدلة، وتحقيق الشيء على ما هو عليه[٤].

هذه نماذج من أقوال العلماء في هذا الموضوع.

وما ذهب إليه إمام الحرمين وابن خيران: هو الوقوف عند النصوص، وإذا التزم هذا المنهج في البحث فلن يكون خلاف. وهو الصواب.

---

(١) روضة الطالبين ٧/ ١٧.

(٢) ابن خيران: هو أبو علي الحسين بن صالح بن خيران البغدادي، فقيه شافعي ورع، توفي سنة عشر وثلاثمائة هجرية.

(٣) مرشد المحتار ص ٥٥ ـ ٥٦.

(٤) روضة الطالبين ٧/ ١٧ ـ ١٨.

وما سعى إليه الإمام النووي من خلال فتحه الباب على مصراعيه في الخوض في البحث والخلاف.. متحقق بالمنهج الذي ذهب إليه ابن خيران وإمام الحرمين.. فما فائدة ملء الصفحات بالاختلافات التي تبنى في كثير من الأحيان على مسائل متخيلة لا وجود لها في الواقع؟!.

كان ذلك في الماضي.

أما في وقتنا الحاضر، وقد خاض الناس، وجمعوا الحق والباطل جنباً إلى جنب، فلا بد من قيام العلماء بواجب البيان، وتميز ما هو حق عن غيره.

وأضرب مثلاً على ذلك:

فكتاب «الخصائص الكبرى» والذي فيه ما فيه، لم يقم أحد حتى تاريخ كتابة الأسطر بتخريج أحاديثه. وأخباره، وبيان الصحيح من الضعيف من الموضوع.

وقد صدر تهذيب له قام به الشيخ عبد الله التليدي جزاه الله خيراً اقتصر فيه على الصحيح والحسن.

وهو جهد طيب يشكر عليه، ولكن الكتاب الأصل ما زال يحتل مكانه. فندعو الله أن يهيء له ولأمثاله من الكتب، من ينهض بعبء دراستها وإخراجها وقد وضح فيها وجه الحق والصواب. وأسدل الستار فيها على المنكرات والأباطيل.

طريقة الكتب في عرض الخصائص:

غالباً ما يكون أسلوب عرض الأفكار محققاً لهدف يسعى إليه الكاتب أو المؤلف.

ولهذا يحسن بنا أن نتعرف على الطريقة التي عرضت بها الخصائص.



يبدو أن الحديث عن الخصائص إنما نشأ وترعرع في ظلال علم الفقه فالإمام الشافعي أول من تكلم في الخصائص..

ولهذا كان التقسيم الفقهي هو المسيطر عليه:

فقد ذهبت كتب الفقه إلى تقسيم الخصائص بحسب أحكامها إلى أربع فئات.

- خصائص الواجبات.
- وخصائص المحظورات.
- وخصائص المباحات.
- وخصائص الكرامات[1].

وقسم بعضهم كل فئة إلى نوعين: ما يتعلق بالنكاح، وما لا علاقة له به وذلك لكثرة خصائص النكاح.

وقالوا في حكمة الواجبات: التي هي واجبات في حق الرسول ﷺ ولكنها في حق غيره من المندوبات.

قالوا: والحكمة فيه زيادة الزلفى والدرجات، فلن يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم. قال إمام الحرمين: قال بعض علمائنا: الفريضة يزيد ثوابها على ثواب النافلة بسبعين درجة[2].

وقالوا في حكمة المحرمات: إنما كانت تكرمة له، فإن أجر ترك المحرم أكثر من أجر ترك المكروه وفعل المندوب. إذ المحرم في المنهيات، كالواجب في المأمورات[3].

---

(١) انظر روضة الطالبين ٧/ ١ ـ ١٨، ومطالب أولي النهى ٥/ ٢٩ ـ ٤٦.
(٢) روضة الطالبين ٧/ ٣.
(٣) غاية السول ص ١٢٥.

وقالوا في حكمة المباحات: إنما كانت توسعة عليه ﷺ، وتنبيهاً على أنه ما خصّ به من الإباحة لا تلهيه عن طاعة الله، وإن ألهى غيره، ومثالها ما أبيح له من الزوجات أكثر من أربع[1].

ولم تخرج كتب الخصائص إجمالاً عن هذا التقسيم.

ولكن صاحب المواهب ألحق بالقسم الرابع: فضائل أمته ﷺ.

ونجد عند ابن طولون تفصيلاً أوسع فقد أضاف إلى الأقسام السابقة أربعة أقسام أخرى هي:

- فيما اختص به ﷺ في ذاته في الدنيا.
- فيما اختص به في شرعه وأمته في الدنيا.
- فيما اختص به في ذاته في الآخرة.
- فيما اختص به في أمته في الآخرة.

والحقيقة أن هذه الأقسام إنما هي تفريعات عن القسم الرابع.

نستطيع القول: أن أسلوباً واحداً هو المسيطر على عرض الخصائص وهو عرضها من خلال أحكامها.

وينبغي أن ننبه إلى أن كل قسم من هذه الأقسام يشتمل على الصحيح وغير الصحيح. فلا تمييز بين النوعين. وكثيراً ما تعرض الخصائص ـ وخاصة في كتب الفقه ـ على أنها مسلمات.

هذا الكتاب:

هذا الكتاب هو الجزء الثالث من سلسلة «معين السيرة» سبقه كتابان:

---

(١) غاية السول ص ١٥٥.

الأول: من معين السيرة.

والثاني: من معين الشمائل.

والثالث: من معين الخصائص.

وهدف هذا الكتاب ـ كما كان شأن الكتابين السابقين ـ الوقوف عند الصحيح من سيرته ﷺ مما تشهد له الأدلة الصحيحة، بعيداً عن المبالغات أو الهالات التي اعتمدت على الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة.

وما كان ﷺ بحاجة أن تعمل العقول لتضيف إليه الفضائل، ففضائله أكثر من أن تحصى. وثناء الله تعالى عليه أكبر من كل ثناء.

والواجب علينا هو الوقوف عند ما جاء في الصحيح عنه ﷺ قولاً، وفعلاً ووصفاً. فذاك الذي يعطينا الصورة الصحيحة عنه، وإدخال أي شيء آخر غير ذلك فإنه يشوه الصورة، وقد مضت الأمثلة على ذلك.

وقد كانت كتب الخصائص والمعجزات مرتعاً واسعاً لدخول الطفيليات، التي حملها بعض الكتّاب إلى السيرة عن حسن نية وغفلة، وبعضهم عن جهل وعدم تقدير للعواقب المترتبة عليها. الأمر الذي أتاح للمستشرقين من بعد، وأعداء الإسلام، أن يجدوا مادة يبنون عليها طعونهم وأكاذيبهم، وهم لم يكونوا بحاجة إلى أكثر من حبة لبناء قبة عليها، فما بالهم وقد وجدوا صاعاً في بعض الكتب.. بل قفيزاً في بعضها الأخرى.

ورسول الله ﷺ عندما قال في الحديث المتواتر عنه.. (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) لم يكن يقصد ميدان القول فقط. فالقول على لسانه كذب، وإسناد فعل إليه وهو لم يفعله كذب، ووصفه بوصف ليس فيه كذب.

ولهذا كان الوقوف عند الصحيح هو الصواب بل هو الواجب، ولا حاجة بنا إلى الضعيف هنا في ميدان السيرة حيث الارتباط بذات الرسول ﷺ. وإنما قبل الفقهاء الحديث الضعيف بشروط كثيرة وقدموه على الرأي في الأمور الفرعية التي لا ترتقي إلى مستوى الأصول.

أما ونحن نكتب عنه ﷺ فينبغي أن تكون هيبته قائمة في أذهاننا، وثناء الله تعالى عليه محيط بتفكيرنا، فلا نسجل عنه إلا ما صح حتى لا نكون في حرج من أمرنا، عندما يقوم الناس لرب العالمين.

وقد قسمت الكتاب إلى ستة أبواب:

الباب الأول: في خصائص الأحكام ويشتمل على خمسة فصول:

- **الأول**: في الخصائص التي انفرد بها ﷺ.
- **الثاني**: في خصائص اشترك فيها مع الأنبياء.
- **الثالث**: في خصائص مختلف فيها.
- **الرابع**: في خصائص نظرية متخيلة.
- **الخامس**: خصائص مزعومة...؟؟!!.

والباب الثاني: في خصائص الفضائل، ويشتمل على خمسة فصول:

- **الأول**: فيما اختص به ﷺ في الدنيا.
- **الثاني**: فيما اختص به ﷺ في الآخرة.
- **الثالث**: فيما اختصت به أمته ﷺ في الدنيا والآخرة.
- **الرابع**: خصائص لا دليل عليها.
- **الخامس**: في خصائص هذا الدين.

والباب الثالث: في خصائص التكريم بالخطاب القرآني ويشتمل على ستة فصول.

- الأول: ظاهرة الخطاب في النص القرآني.
- الثاني: أطر السور القرآنية.
- الثالث: آيات وسور وردت في تعظيم قدره ﷺ.
- الرابع: آيات وردت في التشريف بمقام العبودية لله تعالى.
- الخامس: التوجيه القرآني إلى الأدب في خطابه ﷺ.
- السادس: أدب السلف في تعظيم السنة.

والباب الرابع: في حكم من سب النبي ﷺ، ويشتمل على ثلاثة فصول.

- الأول: مقتضيات الإيمان بالرسول ﷺ.
- الثاني: النفاق والإيذاء.
- الثالث: حكم من سب النبي ﷺ.

والباب الخامس: في المعجزات، وفيه خمسة فصول:

- الأول: التعريف بالمعجزة.
- الثاني: معجزته ﷺ القرآن.
- الثالث: القرآن ومعجزات الأنبياء.
- الرابع: الدخيل على المعجزات.
- الخامس: معجزاته ﷺ غير القرآن.

والباب السادس: في المعجزات الواردة في الصحيحين وفيه ستة فصول:

- الأول: الإسراء والمعراج.
- الثاني: معجزات تكثير الطعام.
- الثالث: معجزات تكثير الماء.
- الرابع: معجزات الإخبار عن أمور في المستقبل.

ـ الخامس: معجزات الإخبار عن أمور كانت في الماضي.

ـ السادس: معجزات متنوعة.

ويلاحظ أني لم أسلك في تقسيمي طريقة كتب الخصائص، ذلك أني حرصت على فصل الخصائص الصحيحة ذات الدليل على خصوصيتها عن غيرها. ففي الباب الأول مثلاً، جاءت الخصائص الصحيحة في الفصلين الأول والثاني، والفصول الثلاثة الأخرى لبيان بطلان ما قيل بخصوصيته.

وفي الباب الثاني، كان الفصل الرابع لبيان ذلك أيضاً.

أما المعجزات: فليس المقصود الاستفاضة في بحثها كما تفعل كتب دلائل النبوة، وإنما على اعتبارها تمثل جانباً من بحث الخصائص.

وقصدت من الباب السادس بيان كثرة المعجزات التي جاءت في الصحيح من الأحاديث، مما يغني عن النظر في الضعيف وغيره.

هذا، وأرجو أن يجعل الله أعمالنا خالصة له، إنه نعم المسؤول.





الجديد
NEW & EXCLUSIVE




الباب الأول

خصائص الأحكام





شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
NEW & EXCLUSIVE



الفصل الأول
الخصائص التي انفرد بها النبي ﷺ

نذكر في هذا الفصل الخصائص التي انفرد بها النبي ﷺ، والتي يعضدها الدليل المعتمد، والتي لم يشاركه الأنبياء فيها.

١ ـ تحريم الصدقات عليه ﷺ

من خصائصه ﷺ أنه تحرم عليه الصدقات، ويشاركه في هذا التحريم آله من بني هاشم وبني المطلب وكذا زوجاته، وكذا مواليه.

والمراد بالصدقات: الزكاة الواجبة، والصدقة المتطوَّع بها، وصدقة الفطر، ويلحق بذلك النذور والكفارات.

وذلك بدلالة النصوص الآتية:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ (كخ، كخ) ليطرحها، ثم قال: (أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة) وفي رواية (أما علمت أن آل محمد ﷺ لا يأكلون الصدقة)(١).

٢ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بتمرة في الطريق، قال: (لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها)(٢).

---

(١) متفق عليه (خ ١٤٨٥، ١٤٩١، م ١٠٦٩).

(٢) متفق عليه (خ ٢٤٣١، م ١٠٧١).



٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام سأل عنه: (أهدية أم صدقة؟) فإن قيل صدقة، قال لأصحابه: (كلوا) ولم يأكل، وإن قيل هدية ضرب بيده ﷺ فأكل معهم[١].

ويدخل في هذا التحريم العمل على الصدقات:

فعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب، فقالا: والله! لو بعثنا هذين الغلامين ـ قالا لي وللفضل بن عباس ـ إلى رسول الله ﷺ فكلماه، فأمَّرهما على هذه الصدقات، فأديا ما يؤدي الناس، وأصابا مما يصيب الناس.

قال: فبينما هما في ذلك جاء علي بن أبي طالب فوقف عليهما، فذكرا له ذلك فقال علي: لا تفعلا، فوالله ما هو بفاعل، فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال: والله، ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا، فوالله لقد نلت صهر رسول الله ﷺ فما نفسناه عليك، قال علي: أرسلوهما.

فانطلقا واضطجع علي، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة، فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا، ثم قال: (أخرجا ما تصرِّرَان) ثم دخل ودخلنا عليه، وهو يومئذٍ عند زينب بنت جحش.

قال: فتواكلنا الكلام، ثم تكلم أحدنا فقال: يا رسول الله، أنت أبرُّ الناس وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح، فجئنا لتؤمِّرنا على بعض هذه الصدقات، فنؤدي إليك كما يؤدي الناس، ونصيب كما يصيبون.

قال: فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه.. ثم قال: (إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس)[٢].

---

(١) متفق عليه (خ ٢٥٧٦، م ١٠٧٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠٧٢).



وعن أبي رافع أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة، فقال لأبي رافع: اصحبني كيما تصيب منها، فقال: لا، حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله، وانطلق إلى النبي ﷺ فسأله، فقال: (إن الصدقة لا تحل لنا، وإن موالي القوم من أنفسهم)[1].

وقد قال العلماء في تعليل هذا الحكم:

إن الصدقة أوساخ الناس ـ كما في الحديث السابق ـ ومنصبه ﷺ منزه عن ذلك.

وقالوا: جاء في الحديث: (اليد العليا خير من اليد السفلى)[2]، ويد الرسول ﷺ هي العليا في كل كمال.

وقالوا: إن الصدقة تنشأ عن رحمة الدافع لمن يتصدق عليه، فلم يرد الله أن يكون نبيه ﷺ مرحوم غيره.

تنبيه أول: اختلف علماء السلف: هل شاركه في ذلك الأنبياء، أم اختص به دونهم؟ فقال بالأول: الحسن البصري، وبالثاني: سفيان بن عيينة[3].

تنبيه ثان: هل يحرم عليهم الاستفادة من الصدقات العامة، كالمساجد، ومياه الآبار؟.

والحقيقة أن مثل ذلك لا يدخل تحت عنوان الصدقة، ذلك بأنه بمجرد التبرع به أصبح ملكاً عاماً للمسلمين. وقد أكل الرسول ﷺ من لحم تُصدِق به على بريرة وقال: (هو لها صدقة، وهو لنا هدية)[4].

---

(١) أخرجه أحمد ٦/٨ وأبو داود (١٦٥٠) والترمذي (٥٨١) والنسائي (٢٦١١).
(٢) متفق عليه (خ ١٤٢٩، م ١٠٣٣).
(٣) غاية السول، لابن الملقن ص ١٢٦.
(٤) متفق عليه (خ ١٤٩٥، م ١٠٧٤).



٢ ـ وجوب تخيير نسائه ﷺ

من خصائص النبي ﷺ أنه أمر بتخيير نسائه بين الصبر على ضيق العيش وبين أن يفارقهن. جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية:

«هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره، ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن ـ رضي الله عنهن وأرضاهن ـ الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة».

قالوا: فالخصوصية في أن الأمر في حقه ﷺ للوجوب، ولا يجب ذلك على غيره من أمته(٢).

وسبب ذلك: ما أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه، لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (٢٨ ـ ٢٩).

(٢) قال ابن طولون: «وحكى الحناطي وجهاً: أن التخيير لم يكن واجباً عليه، إنما كان مندوباً، ويقول: إن الأمر أمر إرشاد في مصالح الدنيا، فلم يكن للوجوب، فإن صيغة «افعل» ترد للندب في مثل ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ولا يجب الإشهاد في البيع [مرشد المحتار ص ١٠٧].

فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه، واجماً ساكتاً، فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ. فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة، سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: (هنَّ حولي كما ترى، يسألنني النفقة).

فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده.

ثم اعتزلهن شهراً، أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ حتى بلغ ﴿لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

قال: فبدأ بعائشة، فقال: (يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه، حتى تستشيري أبويك) قالت: وما هو، يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية.

قالت: أفيك ـ يا رسول الله ـ أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلتُ.

قال: (لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها. إن الله لم يبعثني معنّتاً ولا متعنّتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً)[١].

ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة[٢].

وقد أطالت كتب الخصائص في ذكر أسباب أخرى[٣] والذي يناسب سياق الآية الكريمة ما ذكرته.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥١٩١).

(٣) انظر في ذلك بداية السول ص ١٠٩ ـ ١١٢، ومرشد المحتار ص ١٠٧ ـ ١١١.





كما أطالت هذه الكتب في تفريعات مفترضة وأقيسة كثيرة[1]، وهو أمر يخرج عن موضوع الخصائص الذي هو تسجيل للوقائع كما كانت.

والخلاصة في هذه الخصوصية: انفراده ﷺ بكون التخيير واجباً عليه تنفيذاً للآية الكريمة. وليست الخصوصية بانفراده بهذا الأمر إذ لكل إنسان أن يخير زوجته إذا رغب في ذلك.

٣ ـ إباحة النكاح له ﷺ بالهبة

والمراد أن تهب امرأة نفسها للنبي ﷺ.

وقد نص القرآن الكريم على هذه الخصوصية بقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾[2].

قالت عائشة رضي الله عنها: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها[3]؟.

وجاء في رواية للبخاري: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ[4].

وهاتان الروايتان في الصحيح تؤكدان أن الهبة وقعت وأكثر من مرة، ومن أكثر من امرأة.

ولكن الرسول ﷺ لم يقبل ذلك.

---

(١) انظر في ذلك بداية السول ص ١١٣ ـ ١٢٤، ومرشد المحتار ص ١١٢ ـ ١٣٢.
(٢) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).
(٣) متفق عليه (خ ٤٧٨٨، م ١٤٦٤).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٥١١٣).





«قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: أخرج الطبري عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له» قال: وإسناده حسن.

قال والمراد أنه لم يدخل بواحدة ممن وهبت نفسها له، وإن كان مباحاً له، لأنه رجع إلى إرادته، لقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾.»[1].

وقد أطال الفقهاء وكتَّاب الخصائص الوقوف هنا، للبحث عن اللواتي وهبن أنفسهن، وبيان أسمائهن، وللبحث في صحة عقد النكاح بلفظ الهبة، وهل همزة ﴿إِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا﴾ هل هي مفتوحة أم مكسورة، مما لا طائل تحته، بعد أن نص القرآن الكريم على خصوصية الموضوع، وبعد أن عرفنا أن الأمر لم يحدث.

٤ ـ حل المرأة بتزويج الله له

وهذه حالة خاصة وقعت مرة واحدة بشأن زينب بنت جحش رضي الله عنها.

وقد نص القرآن الكريم عليها بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾[2].

جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد (فاذكرها علي) قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري،

---

(١) فتح الباري ٨/٥٢٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٣٧). والوطر: الحاجة.



حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أنَّ رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب، أرسل رسول الله يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن»[١].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾: وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عزّ وجلّ، بمعنى أنه أوحى أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر.

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات»[٢].

٥ ـ إباحة النكاح بغير ولي ولا شهود

ومن خصائصه ﷺ انعقاد نكاحه بغير ولي ولا شهود، وهي مسألة أخرى غير مسألة زينب.

وهو استثناء من القاعدة العامة التي وردت في قوله ﷺ: (لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل)[٣].

وذلك لأن اشتراط الولي للمحافظة على الكفاءة، والرسول ﷺ فوق الأكفاء وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما ورد ذلك في الآية الكريمة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٢٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٠).
(٣) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني وابن حبان وغيرهم.

واعتبار الشهود، إنما كان ضماناً لأمن الجحود، وهو أمر غير متصور منه ﷺ ومن تطبيقات هذه المسألة: زواجه ﷺ بصفية.

فقد أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً، يُبْنَى عليه بصفية بنت حيي، فدعوت المسلمين إلى وليمته، فما كان فيها من خبز ولا لحم، أمر بالأنطاع، فألقي فيها من التمر والأقط والسمن، فكانت وليمته، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين، أو مما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطَّى لها خلفه ومد الحجاب بينها وبين الناس[١].

فالصحابة رضي الله عنهم لم يعرفوا أنها من أمهات المؤمنين إلا بعد أن مدَّ عليها الحجاب. وهذا يدل على عدم وجود الولي والشهود.

ومن أمثلة ذلك:

ما أخرجه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: وقعت جويرية بنت الحارث بن المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس، أو ابن عم له، فكاتبت على نفسها، وكانت امرأة ملاحة، تأخذها العين، قالت عائشة رضي الله عنها، فجاءت تسأل رسول الله ﷺ في كتابتها، فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها، وعرفت أن رسول الله ﷺ سيرى منها الذي رأيت. فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، وإنما كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، وإني كاتبت على نفسي، فجئتك أسألك في كتابتي. فقال رسول الله ﷺ: (فهل لك إلى ما هو خير منه؟) قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: (أؤدي عنك كتابتك

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٨٥).

وأتزوجك) قالت: قد فعلت. قالت: فتسامع ـ تعني الناس ـ أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية، فأرسلوا ما في أيديهم من السبي، فأعتقوهم، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فما رأينا امرأة أعم بركة على قومها منها، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق[1].

فليس في الحديث ذكر وجود ولي ولا شهود.

وقد يقال إن حدوث ذلك أمام الناس يقوم مقام الشهود. وكذلك في قضية صفية.

٦ ـ إباحة القتل في الحرم ساعة من نهار

هذه واحدة من خصائصه ﷺ، وهي إباحة القتل في الحرم.

ففي الحديث المتفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم افتتح مكة: (لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عَرَّفها ولا يختلى خلاها)[2].

فالحديث فيه النص الواضح على هذه الخصوصية ولوقت محدود. هو ساعة من نهار، والتي كان فيها قتل ابن خطل وكان متعلقاً بأستار الكعبة.

وقد اختلف العلماء في إقامة حد القتل في الحرم:

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٩٣١).

(٢) متفق عليه (خ ١٨٣٤، م ١٣٥٣). والخلا: هو الرطب من الكلأ، أي لا يقطع.



قال ابن حجر: «واستدل به على تحريم القتل والقتال بالحرم، فأما القتل فنقل بعضهم الاتفاق على جواز إقامة حد القتل فيها على من أوقعه فيها.

وخص الخلاف بمن قتل في الحل ثم لجأ إلى الحرم.

وممن نقل الإجماع على ذلك ابن الجوزي.

واحتج بعضهم بقتل ابن خطل بها، ولا حجة فيه لأن ذلك كان في الوقت الذي أحلت فيه للنبي ﷺ.

وزعم ابن حزم أن مقتضى قول ابن عمر وابن عباس وغيرهما، أنه لا يجوز القتل فيها مطلقاً، ونقل التفصيل عن مجاهد وعطاء.

وقال أبو حنيفة: لا يقتل في الحرم حتى يخرج إلى الحل باختياره، لكن لا يجالس ولا يكلم، ويوعظ ويذكر حتى يخرج.

وقال أبو يوسف: يخرج مضطراً إلى الحل.

وفعله ابن الزبير.

وروى ابن أبي شيبة من طريق طاوس عن ابن عباس: «من أصاب حداً ثم دخل الحرم، لم يجالس ولم يبايع».

وعن مالك والشافعي: يجوز إقامة الحد مطلقاً فيه، لأن العاصي هتك حرمة نفسه فأبطل ما جعل الله له من الأمن»[١].

وقد كان العرب قبل الإسلام يخرجون من أرادوا قتله من الحرم إلى الحل، وهو ما فعلوه عندما أرادوا قتل خبيب بن عدي رضي الله عنه.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قصة أصحاب يوم الرجيع

---

(١) فتح الباري ٤/٤٩.



وفيها: «فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين..»[1].

وقد بينت سيرة ابن هشام أنهم خرجوا به إلى التنعيم[2]. وهو الموضع الذي أقيم فيه مسجد التنعيم، كما قال موسى بن عقبة[3].

تنبيه: قال ابن الملقن في صدد حديثه عن هذه الخصوصية: «المسألة الخاصة: القتل في الحرم، فإنه قتل ابن خطل[4] وهو متعلق بأستار الكعبة، كذا رأيت في التلخيص لابن القاص وتبعه القضاعي وقال: إنه خص من بين سائر الأنبياء.

وفي الخصوصية نظر: لأن ابن خطل صاحب جرم، والحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة، كما ثبت في الصحيح» انتهى.

والكلام فيه إيهام من وجهين:

الأول: التشكيك في الخصوصية، وقد تبين إثبات ذلك كما ورد بنص الحديث الشريف من قول النبي ﷺ.

الثاني: في قوله: «والحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة، كما ثبت في الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٤٥).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ١٧٢.

(٣) فتح الباري ٧/ ٣٨٣.

(٤) ابن خطل، هو عبد الله، رجل من بني تميم، إنما أمر بقتله أنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً ـ أي جامعاً للصدقات ـ وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى يخدمه، وكان مسلماً، فنزل ـ منزلاً ـ وأمر المولى أن يذبح تيساً، فيصنع له طعاماً، فنام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ... (سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

فكلامه يشعر أن هذا من كلام رسول الله ﷺ، وخاصة عندما أورده كدليل على أن قتل ابن خطل كان حداً وقصاصاً.

وليس الأمر كذلك، فهذا من كلام عمرو بن سعيد ولا حجة فيه ويحسن بنا أن نورد النص بكامله لبيان هذا الأمر الذي وقع فيه ابن الملقن.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي شريح العدوي: أنه قال لعمرو بن سعيد[(١)]، وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً، قام به رسول الله ﷺ للغد من يوم الفتح، فسمعته أذناي ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ، فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب).

فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟.

قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصياً، ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة ـ خربة: بلية ـ[(٢)].

وعلق ابن القيم رحمه الله على قول عمرو بن سعيد بقوله: «عارض عمرو بن سعيد الفاسق وشيعته نص رسول الله ﷺ برأيه وهواه..»[(٣)].

---

(١) هو عمرو بن سعيد بن العاصي يعرف بالأشدق، ليست له صحبة، ولا كان من التابعين بإحسان، وهو والي يزيد على المدينة، فكان يرسل الجيوش لقتال ابن الزبير (فتح الباري ١/١٧٦).

(٢) متفق عليه (خ ١٨٣٢، م ١٣٥٤).

(٣) زاد المعاد ٣/٤٤٣.

فاستشهاد ابن الملقن بقول عمرو وعزوه إلى الصحيح دون بيان، أمر موهم كان لا بد من بيانه.

٧ ـ إباحة وصال الصوم

الوصال في الصوم من خصائصه صلّى الله عليه وسلّم.

والوصال: هو ترك تناول المفطرات في ليالي الصيام قصداً.

والأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تواصلوا) قالوا: إنك تواصل؟ قال: (لست كأحد منكم، إني أطعم وأسقى، أو إني أبيت أطعم وأسقى)(١).

وفي رواية قال: واصل النبي ﷺ آخر الشهر، وواصل أناس من الناس، فبلغ النبي ﷺ فقال: (لو مدَّ بي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم، إني لست مثلكم، إني أظل يطعمني ربي ويسقين)(٢).

وفي رواية: فقال النبي ﷺ: (ما بال رجال يواصلون، إنكم لستم مثلي، أما والله، لو تمادَّ لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم)(٣).

٢ ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ واصل فواصل الناس فشق عليهم، فنهاهم، قالوا: إنك تواصل، قال: (لست كهيئتكم إني أظل أطعم وأسقى)(٤).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٩٦١).
(٢) متفق عليه (خ ٧٢٤١، م ١١٠٤).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١١٠٤).
(٤) متفق عليه (خ ١٩٢٢، م ١١٠٢).

٣ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، قال:(إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقين)[١].

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟ قال: (وأيكم مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين) فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم يوماً، ثم يوماً، ثم رأوا الهلال فقال: (لو تأخر لزدتكم) كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا[٢].

وفي رواية قال: (إياكم والوصال) مرتين قيل..

٥ ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لا تواصلوا، فأيكم إذا أراد أن يواصل فليواصل حتى السَّحَر)[٣].

٦ ـ وقد أخرج أحمد والطبراني وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما بإسناد صحيح، إلى ليلى امرأة بشير بن الخصاصية قالت: أردت أن أصوم يومين مواصلة، فمنعني بشير وقال: إن النبي ﷺ نهى عن هذا وقال: (يفعل ذلك النصارى، ولكن صوموا كما أمركم الله تعالى، أتموا الصيام إلى الليل، فإذا كان الليل فأفطروا)[٤].

هذه النصوص وغيرها تثبت خصوصيته ﷺ بذلك.

قال القضاعي: دون غيره من الأنبياء[٥].

---

(١) متفق عليه (خ ١٩٦٤، م ١١٠٥).
(٢) متفق عليه (خ ١٩٦٥، م ١١٠٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٩٦٣).
(٤) فتح الباري ٤/ ٢٠٢.
(٥) بداية السول ص ١٥٦.

قال الإمام ابن حجر: «واستدل بمجموع هذه الأحاديث على أن الوصال من خصائصه ﷺ، وعلى أن غيره ممنوع منه، إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن فيه إلى السحر»[1].

والأدلة على ما قاله ابن حجر واضحة كل الوضوح في الأحاديث السابقة من قوله صلّى الله عليه وسلّم:

(لا تواصلوا).

(لست كأحد منكم).

(إني أظل يطعمني ربي ويسقين).

(ما بال رجال يواصلون).

(إياكم والوصال).

ثم بعد كل ذلك رخص لمن أراد ذلك بالوصال إلى السحر. فكان السحر هو آخر وقت يسمح بالمواصلة إليه.

«وذهب الأكثرون إلى تحريم الوصال، ونص الشافعي في الأم على أنه محظور، وصرح ابن حزم بتحريمه»[2].

وقد نقل عن بعض السلف، أنهم كانوا يواصلون، ويبدو أنه لم تصلهم هذه الأحاديث الصحيحة، أو أنهم اجتهدوا فأخطأوا.

وأما إلحاح الصحابة على المواصلة، فمرجع ذلك إلى حبهم العظيم للنبي ﷺ والرغبة في التأسي به في كل كبيرة وصغيرة، وربما لم يعلموا خصوصيته في ذلك في بدء الأمر، مما اضطره ﷺ إلى إيضاح ذلك بعبارات لا لبس فيها.

---

(١) فتح الباري ٤/ ٢٠٤.

(٢) فتح الباري ٤/ ٢٠٤.



وربما كان ترخيصه لهم بالوصال إلى السحر، إنما كان ليتيح لهم بعض المشاركة في هذه المسألة، من الوصال الجزئي، الأمر الذي يشعرهم بكمال التأسي به ﷺ، الأمر الذي يدخل الفرح والطمأنينة على نفوسهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

٨ ـ صلاة ركعتين بعد العصر

جاءت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في النهي عن الصلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس.

ونذكر حديثاً واحداً من هذه الأحاديث:

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس)[١].

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى ركعتين بعد العصر:

فقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ يدعهما، سراً ولا علانية، ركعتان قبل صلاة الصبح وركعتان بعد العصر[٢].

وفي رواية لهما، قالت: ما ترك النبي ﷺ السجدتين بعد العصر عندي قط[٣].

وجاءت أحاديث أخرى تبين سبب صلاته ﷺ لهاتين الركعتين.

---

(١) متفق عليه (خ ٥٨٦، م ٨٢٧).
(٢) متفق عليه (خ ٥٩٢، م ٨٣٥).
(٣) متفق عليه (خ ٥٩١، م ٨٣٥).



فقد أخرج مسلم عن أبي سلمة أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن السجدتين اللتين كان رسول الله ﷺ يصليهما بعد العصر؟ فقالت: كان يصليهما قبل العصر، ثم إنه شغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتهما، وكان إذا صلى صلاة أثبتها[1].

وأخرج الشيخان عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن الركعتين بعد العصر، فأخبرت أنها سألت رسول الله عنهما فقالت: يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما؟ فقال: (يا بنت أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتاني ناس من عبد القيس، فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان)[2].

وقال ابن عباس: كنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها[3].

وأخرج أبو داود من حديث عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يصلي بعد العصر وينهى عنها، ويواصل وينهى عن الوصال[4].

وبناءً على هذه الأحاديث قال العلماء بأنه ﷺ اختص بإباحة الصلاة بعد العصر.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: وأما مواظبته ﷺ على ذلك فهو من خصائصه وقال البيهقي: الذي اختص به ﷺ المداومة على ذلك، لا أصل القضاء[5].

وقد أخرج الدارمي عن سعيد بن المسيب: أنه رأى رجلاً يصلي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٣٥).
(٢) متفق عليه (خ ١٢٣٣، م ٨٣٤).
(٣) متفق عليه (خ ١٢٣٣، م ٨٣٤).
(٤) أخرجه أبو داود برقم (١٢٨٠).
(٥) فتح الباري ٢/ ٦٤.



بعد العصر الركعتين، فقال الرجل: يا أبا محمد؛ أيعذبني الله على الصلاة؟ قال: لا، ولكن يعذبك الله بخلاف السنّة[1].

٩ ـ إباحة ترك القسم بين زوجاته

ذهب طائفة من العلماء منهم الماوردي والغزالي: إلى أن القسم لم يكن واجباً عليه لقوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾[2] أي تبعد من تشاء فلا تقسم لها، وتقرب من تشاء فتقسم لها.

ونقل ابن الجوزي عن أكثر العلماء أن الآية نزلت مبيحة ترك ذلك. وأن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في الساعة الواحدة، كما أخرجه البخاري من حديث أنس[3] وذلك ينافي وجوبه عليه[4].

وذهب فريق آخر: إلى أنه واجب لأنه ﷺ كان يطاف به في مرضه على نسائه حتى حللنه. وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد وجعه استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي فأذن له[5].

والواقع: أن في هذه المسألة رأيان، ومحور الموضوع يدور على تفسير الآية الكريمة:

قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية:

روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت

---

(١) سنن الدارمي برقم (٤٣٦).
(٢) سورة الأحزاب، الآية (٥٦).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٢١٥).
(٤) غاية السول ص ٢٠٧.
(٥) أخرجه البخاري برقم (٥٢١٧).



تغير من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ قالت: ألا تستحي المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ الآية، قالت إني أرى ربك يسارع لك في هواك.

وأخرجه البخاري عن هشام بن عروة[1].. فدل على أن المراد بقوله ﴿تُرْجِى﴾ أي تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أي من الواهبات ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها، ومن رددتها أنت فيها أيضاً بالخيار بعد ذلك.

وقال آخرون: بل المراد بالآية بقوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أي من أزواجك، لا حرج عليك أن تترك القسم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت.

ذهب إلى هذا ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبو رزين وغيرهم.

ومع هذا كان النبي ﷺ يقسم لهن.

ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه ﷺ واحتجوا بهذه الآية الكريمة.

وأخرج البخاري عن معاذة عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأةِ منا، بعد أن أنزلت هذه الآيـــة: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذاك إلي. فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً[2].

---

(١) متفق عليه (خ ٤٧٨٨، م ١٤٦٤).

(٢) متفق عليه (خ ٤٧٨٩، م ١٤٧٦).

هذا الحديث يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم، وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات.

ومن هاهنا اختار ابن جرير: أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده، أنه مخير فيهن، إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم.

وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ أي إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم.. ا هـ ابن كثير.

نخلص من هذا إلى أن القول بأن القسم لم يكن واجباً عليه بعد نزول الآية المذكورة، هو القول المقدم، ولا يعارض ذلك التزامه ﷺ بالقسم حتى آخر حياته. فقد كان ذلك مباحاً له، ولكنه لم يعمل به.

وبغير القول بخصوصية الإباحة لا يمكن الجمع بين النصوص.

١٠ ـ للنبي ﷺ أن يأمر بالقتل

ومن خصوصياته ﷺ ما أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي برزة، حيث قال:

كنت عند أبي بكر رضي الله عنه، فتغيظ على رجل فاشتد عليه، فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله ﷺ أضرب عنقه؟ قال: فأذهبت كلمتي غضبه، فقام فدخل، فأرسل إلي فقال: ما الذي قلت آنفاً؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه.

قال: أكنت فاعلاً لو أمرتك؟

قلت: نعم.

قال: لا والله، ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ.



زاد أبو داود في روايته:

قال أبو داود: قال أحمد بن حنبل: أي لم يكن لأبي بكر أن يقتل رجلاً إلا بإحدى الثلاث التي قالها رسول الله ﷺ: (كفر بعد إيمان، أو زناً بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس) وكان للنبي ﷺ أن يقتل[١].

وهكذا نص هذا الحديث على أن من خصوصياته ﷺ أن يأمر بقتل إنسان لم يرتكب إحدى الجنايات الثلاث التي نص عليها الحديث والتي هي موجبات القتل. وأن غيره ليس له ذلك مهما كان شأنه حتى ولو كان الخليفة الأول لرسول الله ﷺ.

إن الحديث ينص على أن هذه المسألة من خصوصياته ﷺ، ولكنه ﷺ لم يفعل ذلك طول حياته ولو مرة واحدة.

وكثيراً ما قال له عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم: دعني أضرب عنقه، ولكنه لم يوافق أيّاً منهم في يوم من الأيام.

وكل الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم، كانت قد صدرت منهم جرائم استحقوا القتل بسببها.

وذكر هذه الخاصية أمر مهم من حيث الأحكام، إذ ليس لخليفة ولا لوالٍ أو أمير أن يأمر بقتل إنسان لم يرتكب إحدى الجنايات الثلاث السابق ذكرها في الحديث.

وكل الخلفاء والولاة والأمراء الذين فعلوا ذلك، هم مخالفون لأمر الشرع ويدخلون في قائمة القتلة الذين يحاسبون على جرائمهم يوم القيامة، والذين سيكونون أحقر وأذل من الذر يوم الحساب كما يقول الإمام الغزالي.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٣٦٣)، والنسائي (٤٠٨٨).



ومن الغريب أن يذكر كُتّاب الخصائص تلك الخصوصية الباطلة وهي: «أن للنبي ﷺ أن يقتل بعد الأمان» ويغفُلوا على هذه الخصوصية الصحيحة التي يؤيدها الحديث الصحيح السابق الذكر.

فكل الكتب التي أتيح لي الاطلاع عليها من كتب الخصائص لم تذكر هذه الخاصية، بينما ذكرت أمر القتل بعد الأمان، ومرجع ذلك إعجاب بعضهم بكل غريب.





الفصل الثاني
خصائص اشترك فيها ﷺ مع الأنبياء

نذكر في هذا الفصل الخصائص التي شارك فيها ﷺ بقية الأنبياء. مما يؤيده الدليل ويثبت صحته.

١ ـ إباحة ما زاد على أربع زوجات

من خصائصه ﷺ أنه أبيح له الجمع بين أكثر من أربع زوجات، وهو أمر مجمع عليه. وقد توفي وعنده تسع.

وهذه الخصوصية يشاركه فيها غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقد ذكر مؤلفو الخصائص وغيرهم حكماً كثيرة لهذا التعدد، وقد أفرد بعضهم ذلك بالتأليف، وهو أمر يخرج عن موضوع الكتاب، ولذا فيكتفى بالرجوع في ذلك إلى مراجعه لمن رغب.

واشتراكه ﷺ مع غيره من الأنبياء في هذه الخصوصية، يخرس كل الأفواه التي تكلمت بأمر شهوانيته ﷺ من أعداء الإسلام من مستشرقين وغيرهم وإذا قيس نبينا ﷺ بغيره من الأنبياء فهو أقلهم من حيث عدد الزوجات ممن تعددت أزواجهم.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: (قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تلد كل امرأة غلاماً



يقاتل في سبيل الله، فقال له المَلَك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان) قال النبي ﷺ: (لو قال: إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته)[١].

وكذلك ذكرت كتب التفسير أنه كان لداود عليه السلام تسع وتسعون زوجة[٢].

والذي يبدو ـ والله أعلم ـ أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يمثلون الكمال الإنساني، فما من شك أن سموهم الروحي والذي يتمثل بقوة الإيمان يبلغ الذروة، ولا يصل إلى ذلك أحد من الناس.

وإذا كانت طاقتهم الروحية بهذا المستوى الرفيع كان لا بد أن يقابلها طاقة جسمية تتناسب مع ذلك، ليتوازن الجانب الروحي مع الجانب المادي. ومن هنا كانت قدرتهم في ميدان تعدد الزوجات، لا تصل إليها قدرات الناس.

٢ ـ أنه ﷺ لا يورث

وردت أحاديث كثيرة في تقرير هذه الخصوصية منها:

عن عائشة رضي الله عنها: أن أزواج النبي ﷺ حين توفي رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قال رسول الله ﷺ: (لا نورث ما تركنا صدقة)[٣].

وفي رواية للبخاري: (لا نورث ما تركنا صدقة ـ يريد بذلك نفسه ـ إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال)[٤].

---

(١) متفق عليه (خ ٥٢٤٢، م ١٦٥٤).
(٢) انظر غاية السول ص ١٨٩ وتفسير القرطبي ١٥/١٧٦.
(٣) متفق عليه (خ ٦٧٣٠، م ١٧٥٨).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٤٠٣٤).



وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (لا نورث ما تركنا صدقة)[1].

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال)[2].

وقد ورد هذا المعنى مشتركاً مع بقية الأنبياء.

ففي مسند الإمام أحمد: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة)[3].

وعند النسائي: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث)[4].

ومن هذه الأحاديث وغيرها يتبين تقرير هذه الخصوصية في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولعل الحكمة في ذلك - والله أعلم - أن يعلم أتباعهم أن شأن الأنبياء أسما من أن يتعلق بالدنيا، فهم يخرجون منها بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى عند الموت. فتنقطع علاقتهم بها وبأموالها كما انقطعت آجالهم وأنفاسهم منها.

ولعل فيما رواه أبو الدرداء بياناً لبعض الحكمة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر)[5].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٦١).
(٢) متفق عليه (خ ٤٢٤٠، م ١٧٥٦).
(٣) المسند ٢/٤٦٣.
(٤) فتح الباري ١٢/٨.
(٥) أخرجه أحمد ٥/٩٦، وأبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢) والترمذي (٢٤٩١) وابن ماجه (٢٢٣) وغيرهم.



٣ ـ خائنة الأعين لا تكون للأنبياء

من الخصائص المشتركة بين الأنبياء: أنه لا ينبغي أن تكون لهم خائنة الأعين.

ودليل ذلك:

١ ـ عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم فتح مكة، أمَّنَ رسول الله ﷺ الناس، إلا أربعة نفر وامرأتين، وسماهم وذكر منهم ابن أبي سرح قال سعد: وأما ابن أبي سرح[١] فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به، حتى أوقفه على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال:

(أما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟).

فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟.

قال: (إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين)[٢].

٢ـ عن أنس رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ حنيناً، فخرج المشركون، فحملوا علينا، حتى رأينا خيلنا وراء

---

(١) عبد الله بن أبي سرح أسلم قبل الفتح، وكتب لرسول الله ﷺ ثم ارتد ثانية وقيل إنه كان أخاً لعثمان بن عفان من الرضاع.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢٦٨٣، ٤٣٥٩) والنسائي برقم (٤٠٧٨) وصححه الألباني. وقال ابن الملقن ـ بعد أن ساق الحديث ـ: رواه أبو داود والنسائي من حديث سعد بن أبي وقاص، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم. (غاية السول ص ١٤٢).

ظهورنا، وفي القوم رجل يحمل علينا، فيدقنا ويحطمنا، فهزمهم الله، وجعل يجاء بهم فيبايعونه على الإسلام.

فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: إن عليَّ نذراً إن جاء الله بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه، فسكت رسول الله ﷺ، وجيء بالرجل فلما رأى رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله تبت إلى الله، فأمسك رسول الله ﷺ لا يبايعه ليفي الآخر بنذره.

قال: فجعل الرجل يتصدى لرسول الله ﷺ ليأمره بقتله، وجعل يهاب رسولَ الله ﷺ أن يقتله. فلما رأى رسول الله ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بايعه.

فقال الرجل: يا رسول الله، نذري؟.

فقال: (إني لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي بنذرك).

فقال: يا رسول الله، ألا أومضت إلي؟!.

فقال النبي ﷺ: (إنه ليس لنبي أن يومض)(١).

ومعنى خائنة الأعين: الإيماء بالعين. وإنما قيل لها خائنة الأعين تشبيهاً بالخيانة من حيث إنه خلاف ما يظهر.

ومعنى يومض: من الإيماض، وهو الرمز بالعين والإيماء بها، ومنه: وميض البرق، وهو لمعانه.

والحكمة واضحة بشأن هذه الخصوصية في حق الأنبياء، فهم يمثلون الذرا الأخلاقية في أقوامهم وأجيالهم وأممهم، وهم معلمو الناس الخير، فما كان لهم أن يتصفوا بمثل هذه الصفة التي تنقص من مكانتهم.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣١٩٤) والترمذي (١٠٣٤) وابن ماجه (١٤٩٤) وهو مختصر عندهما.

وكونها خصوصية لهم، لا يعني أنه ليس لغيرهم أن يتصف بها، بل إن الاتصاف بها من مكارم الأخلاق، ومن كان حريصاً على المحافظة على هذه المكارم فليتأسَ بهم.

٤ ـ تنام عينه ﷺ ولا ينام قلبه

من خصائص النبي ﷺ ـ وكذلك الأنبياء ـ أنه تنام عينه ولا ينام قلبه وينبني على هذه الخاصية خاصية أخرى، وهي:

أنه ﷺ لا ينتقض وضوؤه بالنوم.

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بهذين الأمرين، ونذكر منها كدليل على ذلك:

١ ـ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟.

فقالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً؛ قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟.

فقال: (يا عائشة إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي)[١].

والحديث صريح في الأمر الأول، وهو نوم عينه وعدم نوم قلبه.

وفيه إشارة واضحة إلى أنه إذا نام لا يحتاج إلى وضوء، وذلك في جوابه على مضمون سؤال عائشة.

(١) متفق عليه (خ ١١٤٧، م ٧٣٨).

٢ ـ حدث أنس بن مالك عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة، قال: جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك. فلم يرهم حتى جاؤوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. فتولاه جبريل، ثم عرج به إلى السماء[(١)].

والحديث صريح في اشتراك الأنبياء في هذه الخصوصية.

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بتُّ عند خالتي ميمونة ليلة، فقام النبي ﷺ من الليل، فلما كان في بعض الليل قام النبي ﷺ، فتوضأ من شن معلق وضوأً خفيفاً، وقام يصلي.

فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئت فقمت عن يساره، فحولني فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله، ثم اضطجع فنام حتى نفخ، ثم أتاه المنادي فآذنه بالصلاة، فقام معه إلى الصلاة فصلى ولم يتوضأ.

قال سفيان الثوري: قلنا لعمرو: إن ناساً يقولون: إن رسول الله ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي ثم قرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾[(٢)(٣)].

والحديث يدل دلالة صريحة على أن النبي ﷺ قام إلى صلاة الفجر ولم يتوضأ، مما يثبت خصوصية أن نومه لا ينقض الوضوء بخلاف الناس.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٧٠).
(٢) سورة الصافات، الآية (١٠٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٨).

وقد أيد تعليق عبيد بن عمير أن هذه الخصوصية ناتجة عن الخصوصية الأولى وهي أنه تنام عينه ولا ينام قلبه، وقد استشهد بالآية الكريمة، الأمر الذي يزيل أي إشكال في هذه المسألة.

٥ ـ لا ينزع لأمته حتى يحارب

ومن الخصائص : أنه يحرم عليه ﷺ إذا لبس لأمته أن ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل.

أخرج الإمام أحمد وغيره ـ بسند صحيح ـ عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

(رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقراً تنحر، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير).

قال: فقال لأصحابه: (لو أنا أقمنا بالمدينة، فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم).

فقالوا: يا رسول الله، ما دخل علينا فيها في الجاهلية، فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام[١]؟!.

فقال: (شأنكم إذاً).

قال: فلبس لأمته. قال: فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاؤوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذاً.

فقال: (إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته[٢] أن يضعها حتى يقاتل)[٣].

---

(١) هذه المناقشة كانت بشأن غزوة أُحد.

(٢) اللأمة: هي الدرع، وقيل إنها لباس الحرب.

(٣) أخرجه أحمد ٣/٣٥١ والدارمي (٢١٥٩) وغيرهما.

وقد جاء الحديث من طريق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والحديث واضح في أنه ليس للنبي ﷺ أن يخلع لباس القتال حتى يقاتل، وكذلك الأنبياء عليهم السلام.

وفي هذه المسألة معنى عظيم، وهو نفي التردد بعد العزم على الأمر، فإن ذلك يؤدي إلى الفشل.

وليس معنى المسألة أنه ليس لبقية القادة أن يفعلوا ذلك، بل الأصل أن يستفيدوا من هذا الفقه للمسألة.

ولكن الأمر في حق بقية الناس ليس كشأن الأنبياء من حيث حكم المنع.



الفصل الثالث
خصائص مختلف عليها

نذكر في هذا الفصل الخصائص التي ذكرها بعضهم ولكن لم يقم دليل على إثباتها، وظلت ضمن المسائل المختلف عليها.

والخصوصية ليست محل خلاف ولذا ما ذكر في هذا الفصل لا يعد من الخصائص.

ومن ذلك:

١ ـ وجوب صلاة الضحى
٢ ـ وجوب الأضحية
٣ ـ وجوب الوتر

من المقرر لدى العلماء أن هذه المسائل في حكم السنة والمندوب إليه في حق الأمة، ولكنها في حقه ﷺ واجبات كما قال بعضهم.

وقد استدل لذلك بحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث هن عليَّ فرائض، ولكم تطوع: النحر، والوتر، وركعتا الضحى)[1].

---

(١) قال ابن الملقن: رواه أحمد في مسنده، والبيهقي في سننه، وابن عدي. (غاية السول ص ٧٦).



وقد قال ابن الملقن بعد أن أورد جميع طرق الحديث وناقشها: «فتلخص ضعف الحديث من جميع طرقه، وحينئذ ففي ثبوت خصوصية هذه الثلاثة به نظر»[١].

ومن المعلوم ـ وبالرجوع إلى الأحاديث الواردة بشأن صلاة الضحى ـ أن الرسول ﷺ لم يداوم على فعلها.

ففي صحيح البخاري: عن مورق قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما: أتصلي الضحى؟ قال: لا، قلت: فعمر؟ قال: لا، قلت: فأبو بكر؟ قال: لا، قلت: فالنبي؟ قال: لا إخاله[٢].

وفي صحيح مسلم: عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة أكان النبي ﷺ يصلي الضحى؟ قالت: لا إلا أن يجيء من مغيبه[٣].

وأما بالنسبة للأضحية فقد استدل القائلون بالوجوب بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[٤].

وقد رد على ذلك ابن طولون، بعد أن سرد اختلاف المفسرين في تفسير الآية الكريمة، بقوله:

«فعلى هذا ليس في الآية دلالة من وجهين:

أحدهما: أن غالب أئمة التفسير، ذهبوا إلى أنه ليس المراد نحر الأضحية.

وثانيهما: على تقدير صحة القول بأن الصلاة صلاة يوم العيد، والنحر: الأضحية، فلفظ الأمر ينصرف من الوجوب إلى الندب

---

(١) غاية السول في خصائص الرسول، ص ٧٩.
(٢) أخرجه البخاري برقم ١١٧٥.
(٣) أخرجه مسلم برقم ٧١٧.
(٤) سورة الكوثر، الآية (٢).



بالقرينة، ومن القرينة: ذكر الأضحية مع الصلاة، ولم يقل أحد بوجوب صلاة العيد على النبي ﷺ، فكذلك الأضحية»[1].

وأما بالنسبة إلى وجوب الوتر عليه ﷺ فقد ردَّ العلماء بحديث ابن عمر المتفق عليه: أن النبي ﷺ كان يوتر على البعير[2] فلو كان واجباً عليه لما صلاه على البعير.

نخلص مما سبق: إلى أنه لا خصوصية في هذه المسائل.

٤ ـ وجوب التهجد

قال بعض العلماء: من الواجبات التي خُصَّ بها رسول الله ﷺ: التهجد، وهو قيام الليل، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[3] أي زيادة على الفرائض.

قال الحسن البصري: ليس لأحد نافلة إلا النبي ﷺ، لأن فرائضه كاملة، وأما غيره فلا يخلو عن نقص، فنوافله تكمل فرائضه[4].

ومما ينفي القول بالوجوب حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم. إذ قال لها سعد بن هشام: (أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ: يا أيها المزمل؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله عزّ وجلّ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها إثنى عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة)[5].

---

(١) مرشد المحتار إلى خصائص المختار، لابن طولون ص ٧٢.
(٢) متفق عليه (خ ٩٩٩، م ٧٠٠).
(٣) سورة الإسراء، الآية (٧٩).
(٤) غاية السول ص ٨٧.
(٥) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).





وهذا يبين بوضوح أن قيام الليل لم يكن واجباً على النبي ﷺ، ولا خصوصية في هذه المسألة.

٥ ـ وجوب السواك

قالوا: كان السواك واجباً عليه ﷺ واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاث هنَّ عليّ فرائض، وهنَّ لكم سنّة: الوتر والسواك، وقيام الليل).

واستدلوا به أيضاً للمسألة السابقة.

قال ابن الملقن: وهو حديث ضعيف، أخرجه البيهقي في سننه وخلافياته، وفي سنده موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، قال ابن عدي: منكر الحديث، وقال البيهقي: موسى هذا؛ ضعيف جداً[(١)].

وليس في أحاديث السواك ما يدل على هذه الخصوصية، فكيف دخلت في قائمة الخصائص؟!.

٦ ـ وجوب مشاورة ذوي الأحلام

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[(٢)].

قال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة:

«كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطييباً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه:

---

(١) غاية السول ص ٨٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).





كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير.. وشاورهم أين يكون المنزل؟ حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم.

وشاورهم يوم أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم.

وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذٍ، فأبى عليه السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فترك ذلك.

وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين؟ فقال له الصديق: إنا لم نجىء لقتال، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال.

وقال ﷺ في قصة الإفك: أشيروا عليَّ معشر المسلمين في قوم أبنوا أهلي[١] ورموهم، وأيم الله ما علمت على أهلي من سوء، والله ما علمت إلا خيراً..

وكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها»[٢].

وسواء أقلنا بوجوب الشورى عليه ﷺ أم قلنا بغير ذلك، فالذي فهمه الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون وجوب التأسي به ﷺ في هذا الأمر لمن قلد أمر هذه الأمة.

ولقد شاور أبو بكر رضي الله عنه الصحابة في مدة ولايته، وشاورهم عمر رضي الله عنه، بل إنه منع كبار الصحابة من مغادرة المدينة حرصاً على قربهم منه للاستفادة من آرائهم، وشاور عثمان، وشاور علي رضي الله عنهما.

---

(١) أبنوا أهلي: أي رموهم بخلة سوء.

(٢) تفسير ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة.



وكذلك فعل الولاة الصالحون، ومنهم عمر بن عبد العزيز الذي جمع فقهاء المدينة السبعة عندما تولى إمرتها وجعلهم أهل مشورته.

وهكذا فقد فهم قادة المسلمين أن الشورى أمر مما يتأسى به بفعل النبي ﷺ. فأين الخصوصية إذن؟.

لا يستوقفنا أمر حكمها، فسواء أكانت واجبة أم غير واجبة، فهي ليست من الخصائص، وإنما مثلها مثل بقية الأحكام في الالتزام والعمل بها ممن يتطلب منصبهم ذلك.

«وقد قال الحسن البصري عند قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ علم الله أنه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستن به من بعده»[1].

فأين الخصوصية إذن؟!.

٧ ـ وجوب مصابرة العدو

قال ابن الملقن: كان يجب عليه ﷺ مصابرة العدو وإن كثر عددهم، والأمة إنما يلزمهم الثبات إذا لم يزد عدد الكفار على الضعف. ولم يبوب البيهقي[2] على هذه الخصوصية في سننه[3].

وقال ابن طولون، ولم يذكروا لهذه الخصوصية دليلاً يعتمد عليه[4].

أقول: بل ورد في القرآن الكريم ما يردّ كون هذه المسألة من

---

(١) غاية السول ص (١٠٠).
(٢) أي لم يجعل لها باباً في سننه، أي لم يذكرها.
(٣) غاية السول ص (١٠١ ـ ١٠٢).
(٤) مرشد المحتار ص (٩٠).



الخصائص فقد جاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

فإذا كان الخطاب موجهاً للذين آمنوا، فأين خصوصية الرسول ﷺ في هذا الأمر دونهم؟!.

٨ ـ وجوب تغيير المنكر

قال الرافعي[2]: من الواجبات التي خص بها رسول الله ﷺ: أنه إذا رأى منكراً وجب عليه أن ينكره، بخلاف غيره، فإنه يلزمه ذلك عند الإمكان.

واستدل على ذلك بأن الله تعالى وعده العصمة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3].

والمراد أنه بموجب هذا الآية الكريمة، ينبغي أن لا يخيفه شيء في سبيل تغيير المنكر.

وقد نازعه في هذا الاستدلال بالآية الجلال بن البلقيني[4] فقال: إن مقتضى كلامه: أن ذلك كان واجباً عليه من مبدأ دعوته إلى مماته، وهذه الدعوى عامة والدليل خاص، أخص من ذلك فإن هذه الآية نزلت في الأواخر بالمدينة، ولم يكن الوجوب إلا بسببها على ما زعمه، فكيف يصح الدلالة بالأخص وهو ما بعد نزول الآية على الأعم وهو الزمان المتقدم والمستقبل؟.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٢٠٠).

(٢) هو، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني، فقيه من كبار الشافعية توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة هجرية.

(٣) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٤) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكناني العسقلاني في الأصل، ثم البلقيني المصري، أبو الفضل جلال الدين، من علماء الحديث بمصر، انتهت إليه رئاسة الفتوى بعد وفاة أبيه بالقاهرة، توفي سنة أربع وعشرين وثمانمائة.



قال ابن طولون: وهو بحث جيد، ويعضده أن هذه الآية نزلت بالمدينة ما أخرجه الشيخان[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرق النبي ﷺ ذات ليلة فقال: (ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة) إذ سمعنا صوت السلاح، فقال: (من هذا؟) قال: سعد يا رسول الله، جئت أحرسك، فنام النبي ﷺ حتى سمعنا غطيطه[2].

وأورد النووي في الروضة سؤالاً فقال: قد يقال هذا ليس من الخصائص، بل كل مكلفٍ تمكّن من إزالة المنكر لزمه تغييره.

ثم أجاب: بأن المراد: لا يسقط عنه للخوف فإنه معصوم بخلاف غيره[3].

أقول: والحقيقة إن هذه المسألة ليست من الخصائص، وكل مكلف بإزالة المنكر بحسب قدرته، وكون الرسول ﷺ معصوماً، فإن ذلك لا يخرجه عن القاعدة التي ذكرها النووي، فقدرته ﷺ أعلى القدرات في هذا الميدان، وهو لن يدخرها عند رؤية المنكر.

ولا تكون الخصوصية إلا بنص، ولا نص في المسألة.

٩ ـ وجوب قضاء دين من مات معسراً

نقل ابن طولون عن جمهور الشافعية: أن من الواجبات التي خص بها رسول الله ﷺ قضاء دين من مات من المسلمين معسراً، عند اتساع المال عليه ﷺ وقال: هذا هو الصحيح عند الجمهور[4].

---

(١) متفق عليه (خ ٧٢٣١، م٢٤١٠).
(٢) انظر مرشد المحتار ص ٨٦.
(٣) غاية السول ص ١٠٣.
(٤) مرشد المحتار ص ٩٢.

واستدلوا بالحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى، عليه الدَّين، فيسأل: (هل ترك لدينه فضلاً؟) فإن حدث أنه ترك لدينه وفاءً صلى، وإلا قال للمسلمين: (صلوا على صاحبكم) فلما فتح الله عليه الفتوح قال: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته)[١].

والواقع أن الاتفاق على خصوصية هذه المسألة غير قائم.

فقد حكى إمام الحرمين قولاً لبعضهم في النهاية؛ أن ذلك غير واجب عليه[٢] ثم قال: وهو غير سديد.

وجزم الماوردي[٣]: بأن ذلك لم يكن واجباً عليه، بل كان يفعله تكرماً[٤].

وقال صاحب المواهب: والخلاف وجهان لأصحابنا وغيرهم[٥].

وقال في فتح الباري: قال العلماء: كأن الذي فعله ﷺ من ترك الصلاة على من عليه دين ليحرض الناس على قضاء الديون في حياتهم والوصل إلى البراءة منها لئلا تفوتهم صلاة النبي ﷺ[٦].

وما جاء في فتح الباري هو الصواب في هذه المسألة، وقد كنت توصلت إلى هذا الرأي قبل أن أراه في الفتح، أثناء دراستي للوضع

---

(١) متفق عليه (خ ٢٢٩٨، م ١٦١٩).
(٢) مرشد المحتار ص ٩٣.
(٣) هو: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة، توفي في بغداد سنة (٤٥٠هـ).
(٤) غاية السول ص ١٠٣.
(٥) المواهب اللدنية للقسطلاني ٢/٦٠٢ ومراده أن الأمر مختلف فيه عند الشافعية وعند غيرهم.
(٦) فتح الباري ٤/٤٧٨.

الاقتصادي في المدينة إبان حياته ﷺ وبيان الخطوات التربوية التي اتخذها في هذا الميدان والتي غايتها الوصول إلى الاكتفاء الذاتي لكل فرد، وذلك في الأزمة الاقتصادية التي كانت في السنوات الأولى بعد الهجرة. وكان مما قلته بعد ذكر هذا الحديث:

«وإذا علمنا كم هو حرص كل صحابي إذا مات أن يصلي عليه رسول الله ﷺ، بل حرص المسلمين كلهم، تبين لنا أن هناك إرشاداً نبوياً كريماً غير مباشر بالابتعاد عن الدَّين، وهذه قضية كما وضحنا تحتاج إلى اتخاذ العدة لها من صبر أحياناً وتنازل عن بعض الحاجيات أو الضروريات أحياناً أخرى»[1].

كان ذلك لمدة معينة، فلما مضى وقت الشدة وفتحت خيبر، وكما جاء في الحديث: (فلما فتح الله عليه الفتوح) أعلن انتهاء ذلك التدبير المؤقت.

ومهما يكن من أمر، فليس للخصوصية وجه في هذه المسألة، وعندما نقول: إن ذلك واجب عليه، فيلزم أن تُجَرَّ القضية ويقال: إنه أيضاً واجب على الإمام أو الدولة أن تقوم بذلك تأسياً بفعله ﷺ. فليس هناك نص يخصه بالوجوب دون غيره ممن يقومون بشؤون المسلمين.

١٠ - يجب عليه إذا رأى ما يعجبه أن يقول: لبيك إن العيش عيش الآخرة

جزم بذلك ابن القاص[2] وجماعة منهم البيهقي في سننه[3].

---

(١) السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، للمؤلف ص ٢٥١.

(٢) ابن القاص، هو الفقيه أحمد بن أبي أحمد، أبو العباس المطيري، صاحب التلخيص والمفتاح وأدب القاضي والمواقيت وغيرها توفي سنة (٣٣٥هـ).

(٣) مرشد المحتار ص ٩٦.

قال ابن القاص: كان ﷺ إذا رأى شيئاً يعجبه قال: (لبيك إن العيش عيش الآخرة) ثم قال: هذه كلمة صدرت من رسول الله ﷺ في أنعم حاله يوم حجه بعرفة، ثم ساقه بإسناده، وفي أشد حاله يوم الخندق، ثم ساقه بإسناده[1].

قال البيهقي عن حديث التلبية مرسل[2]. وبغض النظر عن السند فليس هناك ما يدل على الوجوب أو يدل على الخصوص.

ولذا ذكره في الروضة بلفظ: قيل.

١١ ـ وجوب أداء فرض الصلاة كاملة

قال الماوردي: من الواجبات التي خص بها رسول الله ﷺ: أداء فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها، لأنه ﷺ معصوم عن تطرق الخلل من تلاعب الشيطان إلى مفروضاته بخلاف غيره[3].

والأسئلة التي يمكن طرحها حول هذه المسألة:

ـ أي الخصوصية في هذه المسألة؟.

ـ ولماذا الصلاة وحدها وليس جميع الفرائض؟.

ـ ومن أين استدل على الوجوب، وهل بقية المسلمين لا يطلب منهم أداء فرائضهم كاملة[4]؟.

---

(١) غاية السول ص ١٠٦.
(٢) مرشد المحتار ص ٩٦.
(٣) المرجع قبله ص ٩٧ ـ ٩٨.
(٤) والغريب أن هذه المسألة وأمثالها مما لا دليل عليه، مذكور في معظم كتب الخصائص انظر إن شئت: المواهب اللدنية ٢/ ٦٠٥، وغاية السول ص ١٠٧ ومرشد المحتار ص ٩٧، واللفظ المكرم للخيضري ١/ ١٤٠.

١٢ ـ وجوب الوفاء بالوعد

قال ابن طولون: ومن الواجبات التي خص بها رسول الله ﷺ: الوفاء بالوعد، بخلاف غيره من الأمة، وهو فرع حسن ذكره ابن الجوزي[١].

وصرح به المهلب في شرح البخاري، عند قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما جاءه مال من البحرين: «من كان له عند النبي عِدَة أو دين ليأتنا»[٢].

قال: إنما عمل الصديق ذلك لأن الوعد منه عليه الصلاة والسلام يلزم فيه الإنجاز لأنه من مكارم الأخلاق، وجعلوا فرقاً بينه وبين غيره من الأمة ممن يجوز أن يفي أو لا يفي[٣].

والنص الذي بين أيدينا ليس فيه دلالة على الخصوصية، أو أن الحكم في الوفاء بالوعد بشأن عامة المسلمين غيره بشأن النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث:

«لما قام أبو بكر مقام النبي ﷺ تكفل بما كان عليه من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك، لزمه أن يوفي جميع ما عليه من دين أو عدة، وكان ﷺ يحب الوفاء بالوعد، فنفذ أبو بكر ذلك.

وقد عدَّ بعض الشافعية من خصائصه ﷺ وجوب الوفاء بالوعد أخذاً من هذا الحديث. ولا دلالة في سياقه على الخصوصية، ولا على الوجوب»[٤].

---

(١) ابن الجوزي: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، علامة عصره في التاريخ والحديث، توفي سنة (٥٩٧هـ).
(٢) متفق عليه (خ ٢٢٩٦، م ٢٣١٤).
(٣) انظر مرشد المحتار ص ٩٥.
(٤) فتح الباري ٤/ ٤٧٥.

والأمر الخطير في المسألة أن نجعل فرقاً بين ما ينبغي أن يلتزم به النبي ﷺ وبين ما يلتزم به الفرد المسلم، علماً بأن الخطاب واحد:

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)(١).

وعن عبد الله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال: (أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)(٢).

ففي هذين الحديثين النص على أن إخلاف الوعد من صفات المنافقين والرسول ﷺ هو الأسوة وهو المبين للأحكام، فكيف يكون له حكم مغاير لحكم بقية المسلمين، ولا دليل على التخصيص؟! إنه الأمر الخطير.

١٣ ـ تحريم أكل ما له رائحة كريهة

قال الماوردي: اختص رسول الله ﷺ بتحريم أكل ما تؤذي رائحته من البقول كالثوم والبصل والكراث(٣).

واستدل بعضهم لذلك بالحديث المتفق عليه عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: (من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا ـ أو قال: فليعتزل مسجدنا ـ وليقعد في بيته) وأن النبي ﷺ أتي بقدر فيه خَضِرات من بقول، فوجد لها ريحاً، فسأل فأخبر بما فيها من البقول،

---

(١) متفق عليه (خ ٣٣، م ٥٩).
(٢) متفق عليه (خ ٢٤٥٩، م ٥٨).
(٣) انظر مرشد المحتار ص ١٤١، واللفظ المكرم ١/ ٢٠٥.



فقال: (قربوها) إلى بعض أصحابه كان معه، فلما رآه كره أكلها، قال: (كل فإني أناجي من لا تناجي)(١).

وليس في الحديث أصلاً ما يشير إلى الخصوصية من قريب أو بعيد.

ويُبْعِد القول بالتحريم، ما ورد في الأحاديث الأخرى من نفي ذلك:

فعن أبي سعيد قال: لم نعدُ أن فتحت خيبر، فوقعنا ـ أصحابَ رسول الله ﷺ في تلك البقلة، الثوم، والناس جياع، فأكلنا منها أكلاً شديداً، ثم رحنا إلى المسجد، فوجد رسول الله ﷺ الريح، فقال: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنًا في المسجد) فقال الناس: حرمت حرمت، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (أيها الناس، إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها)(٢).

فهذا نص بنفي التحريم بالنسبة له ولغيره، وذلك واضح في قوله: (إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي) فقوله: (لي) ينفي أن يكون له حكم خاص به في هذه المسألة يختلف عن حكم غيره من الناس. وإنما كان امتناعه ﷺ من تناولها للأسباب التي سبق ذكرها.

١٤ ـ تحريم الأكل متكئاً

قالوا: اختص رسول الله ﷺ بتحريم الأكل متكئاً، وجزم بذلك أبو العباس بن القاص، صاحب التلخيص. ونقله عنه البيهقي في الشعب(٣).

---

(١) متفق عليه (خ ٨٥٥، م٥٦٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٦٥).

(٣) انظر مرشد المحتار ص ١٤٥.



واستدل عليه، بما أخرجه البخاري عن أبي جحيفة قال: كنت عند النبي ﷺ فقال لرجل عنده: (لا آكل وأنا متكئ)[1].

والجمهور على كراهة ذلك لما ثبت من قوله وفعله ﷺ.

وإنما قالوا بالكراهة لعدم ما يثبت التحريم، فالحكم التأسي به ﷺ، وأن يحرص المسلم أن لا يأكل متكئاً.

أما القول بالتحريم فقول غريب إذ التحريم لا يكون إلا بنص.

وأما القول بالخصوص فهو في الغرابة أكثر من القول بالتحريم، لأنه لو ثبت التحريم بالنسبة إليه ﷺ لكان حراماً في حق أمته. ما لم يثبت نص بالخصوصية.

١٥ ـ تحريم المنّ ليستكثر

قالوا: كان يحرم عليه ﷺ أن يمنّ ليستكثر، ومعناه أن يعطي شيئاً ليأخذ أكثر منه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[2].

قال المفسرون: ذلك خاص به عليه الصلاة والسلام كما نقله الرافعي[3].

والحقيقة: أن المفسرين لم يتفقوا على ذلك.

قال الزمخشري في الكشاف ـ كما نقله ابن طولون ـ: في النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون نهياً خاصاً برسول الله ﷺ فيحرم عليه المنّ، والثاني: أن يكون نهي تنزيه لا تحريم، له ولأمته.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٣٩٩).
(٢) سورة المدثر، الآية (٩).
(٣) بداية السول ص ١٤٥.

وقال ابن كثير في تفسيره عند الآية الكريمة:

قال الحسن البصري: لا تمنن بعملك على ربك تستكثره، وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير.

وقال مجاهد: لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف.

وقال ابن زيد: لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضاً من الدنيا.

وقال ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها. ورجح ابن كثير هذا القول.

هذا ما ذكره ابن كثير.

وإذن فالمفسرون ليسوا على اتفاق على ما ذهب إليه الرافعي فأين الخصوصية إذن.

ثم لماذا تقطع هذه الآية من سياق الآيات لتعطى هذا الحكم الخاص.

فالسورة تبدأ بالشكل الآتي:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[1].

إنها أوامر عطف بعضها على بعض، فلماذا خصت هذه الآية بالخصوصية دون سواها؟.

وما ذهب إليه الزمخشري في قوله الثاني هو الصواب، فالخطاب له ﷺ وعلى أمته أن تتأسى به. وليست المسألة من الخصائص، والله أعلم.

---

(١) سورة المدثر، الآيات (١ ـ ٧).



١٦ ـ تحريم إمساك من كرهت نكاحه

واستدل لذلك بما رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: أن ابنة الجون، لما أُدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: (لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك)[(١)].

قال ابن الملقن ـ بعد أن ساق الحديث ـ: وفهم مما ذكرناه أنه حرم عليه نكاح كل امرأة كرهت صحبته، وجدير أن يكون الأمر كذلك لما فيه من الإيذاء، ويشهد لذلك إيجاب التخيير.

ومن أصحابنا ـ أي الشافعية ـ من قال: إنما كان يفارقها تكرماً. وهو غريب كما في الرافعي[(٢)].

وإذا أمعنا النظر في هذا الحديث والأحاديث الأخرى التي سجلت هذه الواقعة، فلن يكون في الأمر أكثر من تصرف صدر عن من وصفه القرآن بصاحب الخلق العظيم.

فهو ﷺ بفعله هذا تصرف تصرف الرجل الكريم، وسجل واقعة ليتأسى بها الناس.

فمن أين أتى حكم التحريم، ومن الذي حكم به، والمشرع لم يقل أكثر من: (لقد عذت بمعاذ، الحقي بأهلك)؟.

وما ذهب إليه بعض الشافعية ـ واستغربه الرافعي ـ من أنه فارقها تكرماً هو الصواب، والغريب حقاً هو استغراب الرافعي لذلك.

وخلاصة القول: ليست المسألة من أمر الخصائص في شيء، وإنما هي مسألة تدخل في ميدان السلوك الأخلاقي الكريم، الذي بعث ﷺ ليكمله، وقد فعل.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٥٤).

(٢) بداية السول ص ١٤٧.



١٧ ـ دخول مكة بغير إحرام

قالوا: من خصائصه ﷺ إباحة دخول مكة بغير إحرام، وفي جوازه لغيره من غير عذر خلاف.

وذكر القضاعي[١] أن ذلك مما خص به دون من قبله من الأنبياء[٢].

ودليل ذلك ما أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[٣].

وليس في هذا الحديث ولا في غيره ما يشعر بالخصوصية، سواء أكان ذلك بالنسبة للناس، أم بالنسبة للأنبياء.

قال سيد سابق في كتابه فقه السنّة:

«يجوز دخول مكة بغير إحرام، لمن لم يُرِدْ حجاً ولا عمرة، سواء أكان دخوله لحاجة تتكرر كالحطاب والحشاش والسَّقاء والصياد وغيرهم، أم لم تتكرر، كالتاجر والزائر وغيرهما، وسواء أكان آمنا أم خائفاً.

وهذا أصح القولين للشافعي، وبه يفتي أصحابه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه رجع من بعض الطريق فدخل مكة غير محرم.

وعن ابن شهاب قال: لا بأس بدخول مكة بغير إحرام.

---

(١) القضاعي: محمد بن سلامة بن جعفر، أبو عبد الله القضاعي، مؤرخ مفسر من علماء الشافعية، توفي سنة (٤٥٤) هـ.

(٢) مرشد المحتار ص ٢٠٨.

(٣) أخرجه مسلم برقم(١٣٥٨).





وقال ابن حزم: دخول مكة بلا إحرام جائز.

لأن النبي ﷺ إنما جعل المواقيت لمن مرَّ بهنَّ، يريد حجاً أو عمرة، ولم يجعلها لمن لم يرد حجاً ولا عمرة.

فلم يأمر الله تعالى قط، ولا رسوله عليه الصلاة والسلام بأن لا يدخل مكة إلا بإحرام.

فهذا إلزام ما لم يأت في الشرع إلزامه» اهـ[1].

فأين الخصوصية إذن؟! وما بنى الفقهاء الأحكام في دخول مكة بغير إحرام إلا على الحديث المذكور، إذ فعلُه ﷺ تشريع للناس.

١٨ ـ الحكم بغير دعوى ولا بينة

قال ابن دحية[2] في الخصائص: اختصَّ ﷺ بإباحة الحكم بغير دعوى ولا بينة، حتى كان له قتل من اتهم بالزنا. ولا يجوز ذلك لغيره[3].

احتج لذلك بما في صحيح مسلم، عن أنس: أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعلي: (اذهب فاضرب عنقه) فأتاه علي فإذا هو في ركي[4] يتبرد فيها، فقال له علي اخرج، فناوله يده فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكفَّ علي عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه مجبوب، ما له ذكر[5].

---

(١) فقه السنة: بحث الحج. فقرة: دخول مكة بغير إحرام.
(٢) ابن دحية، هو عمر بن الحسن بن علي، أبو الخطاب ابن دحية الكلبي، أديب مؤرخ حافظ للحديث من أهل بلنسية بالأندلس، توفي بالقاهرة سنة (٦٣٣هـ).
(٣) مرشد المحتار ص ٢٢١.
(٤) الركي: البئر.
(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٧٧١).



والحقيقة: أن هذا الحديث ليس دليلاً على الحكم بغير دعوى ولا بينة، وبالتالي ليس من الخصوصيات في شيء.

فالحديث يدل على أن علياً رضي الله عنه كان عالماً بسبب الأمر بالقتل، مما يدل على أن الشائعة قد انتشرت بين الناس، فلم يحتج النبي ﷺ أن يبين لعلي سبب الأمر بالقتل. فلما ذهب علي ورآه مجبوباً امتنع عن قتله.

ثم إن عقوبة الزنا ليست القتل بالسيف.

ثم كان ينبغي أن يأمر برجم أم الولد.

كل هذه الأمور تبين أن الرسول ﷺ أراد أن يقضي على الشائعة المنتشرة ببيان علنيّ واضح، فعلم وجود الرجل يتبرد في البئر، فعندها أمر علياً بقتله.. فلما ذهب واستخرجه منها وجده مجبوباً وهكذا قضي على الفرية التي روَّج لها المنافقون، كما فعلوا في حادثة الإفك.

وبهذا تبين حكمته ﷺ في معالجة الأمور.

قال الإمام ابن حزم في كتابه الانتصار، كما نقله عنه ابن طولون:

«من ظن أنه ﷺ أمر بقتله حقيقة بغير إقرار ولا بينة فقد جهل، وإنما كان النبي ﷺ يعلم أنه يرى ما نسب إليه ورمي به، وإن الذي نسب إليه كذب، فأراد ﷺ إظهار الناس على براءته، وأن يوقفهم على ذلك مشاهدة، فبعث علياً هو ومن معه فشاهدوه مجبوباً»[(١)].

١٩ ـ أنه ﷺ لا يشهد على جور

قال القضاعي: اختص ﷺ بأنه لا يشهد على جور بخلاف غيره[(٢)].

---

(١) مرشد المحتار ص ٢٢٣.

(٢) المرجع قبله ص ٢٢٨، واللفظ المكرم ١/ ٢٤٥.

واستدل لذلك بما في الصحيحين عن النعمان بن بشير قال: سألت أمي أبي بعض الموهبة لي من ماله، ثم بدا له فوهبها لي، فقالت: لا أرضى حتى تشهد النبي ﷺ، فأخذ بيدي وأنا غلام، فأتى بي النبي ﷺ فقال: إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا، قال: (ألك ولد سواه؟) قال: نعم قال: فأراه قال: (لا تشهدني على جور) وفي رواية للبخاري: (لا أشهد على جور)(١).

وفي رواية لمسلم: (فأشهد على هذا غيري)(٢) فقال بعضهم: هذا دليل على أنه ليس بحرام على غيره أن يشهد؟.

ومن الغريب أن يجعل هذا الأمر من خصوصياته ﷺ وإنما بعث فيما بعث لإقامة العدل وإحقاق الحق بين الناس، فكيف يقوم هذا الحق إذا كان لغيره أن يساهم بشهادته على إقامة الجور؟.

إن الجمع بين روايات الحديث المتعددة تبين أن ما ذهب إليه القضاعي أمر يجانب الصواب.

ففي رواية للحديث: (أكلَّ ولدك نحلت مثله؟) قال: لا، قال: (فأرجعه)(٣).

وفي رواية قال: (أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟) قال: لا، قال: (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) فرجع فردَّ عطيته(٤).

وفي رواية: (أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟) قال: بلى، قال: (فلا إذاً).

وفي رواية: (أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا؟) قال بلى، قال: (فإني لا أشهد)(٥).

---

(١) متفق عليه (خ ٢٦٥٠، م١٦٢٣).
(٢) أخرجه مسلم برقم (١٦٢٣).
(٣) متفق عليه (خ ٢٥٨٦، م ١٦٢٣).
(٤) متفق عليه (خ ٢٥٨٧، م ١٦٢٣).
(٥) هذه الرواية والتي قبلها عند مسلم برقم (١٦٢٣).

وفي رواية: (فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق)[1].

والناظر في هذه الروايات يدرك بوضوح أن قوله ﷺ: (لا أشهد على جور) وقوله: (فأشهد على هذا غيري) ليس المراد منه أبداً أن يشهد غيره، أو أن غيره ﷺ يحق له أن يشهد على جور، وإنما هي صيغة استعملت لتنفيره من هذا العمل، وأنه لا أحد يقبل أن يشهد عليه، وكيف يشهد مسلم على أمر امتنع رسول الله ﷺ من الشهادة عليه؟!.

«قال الإمام ابن حجر: (أشهد على هذا غيري) أما قوله ـ أي القائل ـ إن قوله «أشهد» صيغة إذنٍ فليس كذلك، بل هو للتوبيخ يدل عليه بقية ألفاظ الحديث، وبذلك صرح الجمهور في هذا الموضع.

وقال ابن حبان: قوله: «أشهد» صيغةُ أمر، والمراد به نفي الجواز»[2].

والخلاصة: ليس في الحديث أي دلالة على الخصوصية، بل فيه لفت نظر السائل على عِظَم ما أقدم عليه، وأنه لن يجد من يشهد على فعله.

٢٠ ـ أنه ﷺ يقضي بعلمه

قال ابن الملقن: كان له ﷺ أن يقضي بعلمه وفي غيره خلاف، واستدل له البيهقي بقصة هند في الصحيحين[3].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٢٤).
(٢) فتح الباري ٥/ ٢١٥.
(٣) بداية السول ص ١٧٢.



وحديث الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت هند بنت عتبة، قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، فقال: (خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف)[١].

قالوا: فقد قضى ﷺ في الواقعة بغير بينة ولا إشهاد، اعتماداً على علمه، وهذا أمر خاص به، ولا يصح من غيره، وهو دليل على القضاء على الغائب.

وقد رد العلماء هذا القول وقالوا: إنه إفتاء لا قضاء.

«قال النووي: ولا يصح الاستدلال ـ بأن الواقعة قضاء على غائب ـ لأن هذه القصة كانت بمكة، وكان أبو سفيان حاضراً بها، وشرط القضاء على الغائب أن يكون غائباً عن البلد، أو مستتراً لا يقدر عليه، ولم يكن هذا الشرط في أبي سفيان موجوداً، فلا يكون قضاء على الغائب، بل هو إفتاء.

وقد وقع في كلام الرافعي في عدة مواضع أنه كان إفتاء»[٢].

قال ابن حجر: «وحجة من منع ـ أن تكون الواقعة قضاء ـ قوله في حديث أم سلمة: (إنما أقضي له بما أسمع)[٣] ولم يقل بما أعلم، وقال للحضرمي: (شاهداك أو يمينه) وفيه: (وليس لك إلا ذاك)[٤]»[٥].

من هذا يتبين: أن الواقعة لم تكن قضاء، وأنه ﷺ لم يقض بعلمه، وإنما هي فتوى في بيان الحلال والحرام.

وبهذا ينتفي القول بالخصوصية.

---

(١) متفق عليه (خ ٥٣٦٤، م ١٧١٤).
(٢) فتح الباري ٩/ ٥١٠.
(٣) متفق عليه (خ ٦٩٦٧، م ١٧١٣).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٣٩).
(٥) فتح الباري ١٣/ ١٣٩.





٢١ ـ إباحة الشهادة لنفسه ولولده

قالوا: اختص ﷺ بإباحة الشهادة لنفسه ولولده، ويقبل شهادة من شهد له، وإذا جاز ذلك جاز أن يحكم لولده، وولد ولده. وقد ذكر البيهقي ذلك في سننه[١].

واستدل بحديث عمارة بن خزيمة: أن عمه حدثه، وهو من أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعته، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال: (أو ليس قد ابتعتُه منك!) فقال الأعرابي: لا، والله ما بعتكه، فقال النبي ﷺ: (بلى قد ابتعتُه منك) فطفق الأعرابي يقول: هلمَّ شهيداً. فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: (بِمَ تشهد؟) فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين[٢].

ويؤكد صحة حديث أبي داود ما جاء في البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: نسخت الصحف في المصاحف، ففقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فلم أجدها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين. وهو قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[٣][٤].

---

(١) مرشد المحتار ص ٢٢٤، واللفظ المكرم ١/ ٣٤٠.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٠٧).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢٣).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٧).



وأقول: أين موضوع شهادة النبي ﷺ لنفسه وولده، وأين الحكم لنفسه وولده، والحديث لم يبين ماذا حدث بعد شهادة خزيمة، هل أمضى رسول الله ﷺ البيع، أم تركه؟.

وكل ما في الواقعة هو إثبات هذه المزية لخزيمة، كما ثبتت صفة (أمين الأمة) لأبي عبيدة، وهذه المزية ليست قاصرة على شهادته لرسول الله ﷺ، بل هي في حقه وحق غيره، ولهذا قبل زيد بن ثابت آية الأحزاب التي معه لهذا المعنى، واعتبر شهادته بشهادة رجلين، وكان زيد لا يقبل الآية إلا بعد شهادة رجلين، وقبل هذه الآية بشهادة خزيمة وحده.

وإذن، فليس في هذه المسألة خصوصية. ويؤكد هذا أن أبا داود عنْوَنَ لهذا الحديث بقوله: «باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز له أن يحكم به» مما يدل على أنه لم ينظر لها على أنها خصوصية.

وخزيمة رضي الله عنه لم يشهد هنا على الواقعة، وإنما شهد على أصل عام وهو صدق النبي ﷺ وأنه لا يقول إلا حقاً. فشهادته تدخل ضمن هذا الأصل العام.

قال ابن حجر: وفيه فضيلة الفطنة في الأمور، وأنها ترفع منزلة صاحبها، لأن السبب الذي أبداه خزيمة حاصل في نفس الأمر، يعرفه غيره من الصحابة، إنما هو لما اختص بتفطنه لما غفل عنه غيره مع وضوحه، جوزي على ذلك بأن خص بفضيلة من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه[١].

---

(١) فتح الباري ٨/٥١٩.

٢٢ ـ عقد النكاح في الإحرام

قالوا: ومن خصائصه إباحة عقد النكاح في حالة الإحرام خلافاً للحكم العام الذي ثبت بحديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يَنْكِح المحرمُ ولا يُنْكَح ولا يَخْطُب)[١].

واستدلوا لذلك بحديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم[٢].

وقد اختلف العلماء في التوفيق بين الأمرين علماً بأن الإمام مسلماً قد أخرج عن يزيد بن الأصم: أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال. قال: وكانت خالتي وخالة ابن عباس[٣].

وهكذا فحديث ابن عباس معارَض بحديث عثمان وحديث يزيد.

وذهب بعضهم للتخلص من التعارض بادعاء أن حديث ابن عباس من خصائص النبي ﷺ.

ولكن ادعاء الخصوصية غير مسلم، فقد قال ابن حجر رحمه الله:

«قال الأثرم: قلت لأحمد: إن أبا ثور يقول: بأي شيء يدفع حديث ابن عباس ـ أي مع صحته ـ؟ قال: فقال: الله المستعان، ابن المسيب يقول: وَهِمَ ابن عباس، وميمونة تقول: تزوجني وهو حلال.

وقال ابن عبد البر: اختلفت الآثار في هذا الحكم، لكن الرواية: أنه تزوجها وهو حلال جاءت من طرق شتى، وحديث ابن عباس صحيح الإسناد، لكن الوهم إلى الواحد أقرب إلى الوهم من الجماعة،

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٠٩).
(٢) متفق عليه (خ ١٨٣٧، م ١٤١٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٤١١).



فأقل أحوال الخبرين أن يتعارضا، فتطلب الحجة في غيرهما، وحديث عثمان صحيح في منع نكاح المحرم فهو المعتمد.

وقد أخرج الترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أبي رافع: أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال، وبنى بها وهو حلال، وكنت أنا الرسول بينهما»[١].

وقد فسر بعضهم قول ابن عباس: تزوج ميمونة وهو محرم: أي داخل الحرام أو في الشهر الحرام، قال الأعشى:

قتلوا كسرى بليل محرماً

أي في الشهر الحرام. وقال آخر:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً

أي في البلد الحرام. وإلى هذا جنح ابن حبان، فجزم به في صحيحه[٢].

أقول: وإزاء هذه الأقوال، القوية بحجتها، لا تقبل دعوى الخصوصية التي لا دليل عليها.

٢٣ ـ يباح له أن يزوج المرأة ممن شاء

قال ابن طولون: واختص ﷺ بأنه كان يباح له أن يزوج المرأة بمن شاء من الرجال بغير إذنها وإذن وليها.

قال: ولم يذكروا لذلك دليلاً، ويمكن أن يستدل بحديث سهل بن سعد في الواهبة نفسها[٣].

---

(١) فتح الباري ٩/١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) فتح الباري ٩/١٦٦.

(٣) مرشد المحتار ص ٣١١.





وخلاصة حديث سهل: أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي.. فقال: (ما لي بالنساء حاجة) فقال رجل: يا رسول الله زوجنيها فقال: (زوجتكها بما معك من القرآن)[1].

ولم ينقل أنه استأذنها أو استأذن أحداً من أوليائها.

وقيل في الجواب على ذلك: إنها لما قالت وهبت نفسي لك، فقد فوضت أمرها إليه، وقد كانت حاضرة حينما قال الرجل: زوجنيها، فلم تنكر واستمرت على الرضى، فكان هذا دليلاً على موافقتها.

على أن رواية النسائي عن أبي هريرة في هذا الموضوع تحل الإشكال:

قال ابن حجر: «ووقع في حديث أبي هريرة عند النسائي بعد قوله: (لا حاجة لي) (ولكن تملكيني أمرك؟) قالت: نعم، فنظر في وجوه القوم فدعا رجلاً فقال: (إني أريد أن أزوجكِ هذا إن رضيتِ) قالت: ما رضيتَ لي فقد رضيتُ»[2].

وسواء أكانت الحادثة نفسها أم كانت قصة أخرى، فالملاحظ أن الرسول ﷺ طلب موافقة المرأة صراحة، وهذا متوافق مع منهجه العام في هذا الأمر من استئمار الثيب واستئذان البكر، الأمر الذي ينفي أن يكون في قصة الواهبة نفسها دليل على أصل المسألة.

وبغض النظر عن إذن الولي، فأين في المسألة أن الزواج في الحديثين: حديث سهل وحديث أبي هريرة تم بغير رضى المرأة كما تقول المسألة؟.

---

(١) الحديث أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم بألفاظ متقاربة.

(٢) فتح الباري ٩/٢٠٧.





ولا شك بأن المسألة محلُّ البحث متخيلة لا تطبيق لها في الواقع، فأين الخصوصية إذن؟!.

٢٤ ـ إباحة المكث في المسجد جنباً

قال ابن القاص في التلخيص: كان يجوز له ﷺ أن يدخل المسجد جنباً[(١)].

واستشهد لذلك بحديث أخرجه الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: (يا علي، لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسمع مني محمد بن إسماعيل ـ البخاري ـ هذا الحديث فاستغربه[(٢)].

قال ابن الملقن: قلت وفي حسنه نظر، ففيه سالم بن أبي حفصة، وعطية العوفي، وهما ضعيفان جداً، شيعيان متهمان. ومقتضى الحديث اشتراك علي رضي الله عنه معه في ذلك، ولم يقل به أحد من العلماء.

وقال إمام الحرمين: هذا الذي قاله صاحب التلخيص هوس، لا ندري من أين قاله؟ ولا إلى أي أصل أسنده، فالوجه القول بتخطئته[(٣)].

---

(١) غاية السول ص ١٨١.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٢٧).

(٣) غاية السول ص ١٨١.



٢٥ ـ تحريم مد العين إلى ما متع به الناس

قالوا: كان يحرم عليه مد العين إلى ما متع به الناس. بدليل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

قال ابن الملقن: «نقله الرافعي عن صاحب الإفصاح[٣] وجزم به ابن القاص في التلخيص، ولذا جزم به النووي في أصل الروضة»[٤].

ومعنى ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ـ كما جاء في التفاسير ـ: أي لا تمدن نظر عينيك، ومد النظر تطويله، وأنه لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه، وإعجاباً به، وتمنياً أن يكون له، كما فعل نظارة قارون حين قالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع، وأن من أبصر شيئاً أحب أن يمد نظره إليه، ويملأ منه عينيه، قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

---

(١) سورة طه، الآية (١٣١).

(٢) سورة الحجر، الآية (٨٧ ـ ٨٨).

(٣) هو الإمام الحسين بن القاسم الطبري، والإفصاح كتاب له في فروع الشافعية.

(٤) غاية السول ص ١٤٠ ـ ١٤١.



ومعنى ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ أي أصنافاً من أصحاب النعيم والغنى.

والذين قالوا بالخصوصية لم يأتوا بدليل على ما ذهبوا إليه. ومن المقرر أن التخصيص لا يثبت إلا بنص.

وما من شك بأن هذا النص القرآني الكريم موجه إلى النبي وأمته، شأنه شأن كل النصوص القرآنية. وسواء أقلنا إن موجب النهي هنا التحريم أم قلنا بالكراهة فهو خطاب لهذه الأمة عن طريق رسولها ﷺ.

ويؤكد عدم الخصوصية عشرات الأحاديث الصحيحة التي قالها ﷺ موضحاً حقيقة الدنيا، وداعياً فيها إلى صرف الهمم إلى الآخرة، وما هذه الأحاديث إلا الشرح والبيان لهاتين الآيتين وغيرهما مما هو في معناهما، وكذلك هي بيان لعلة صرف النظر عن زهرة الحياة الدنيا.

ولو كان النهي خاصاً بالنبي ﷺ لما كان بحاجة إلى هذا البيان العريض المتكرر.

٢٦ ـ وجوب إتمام كل تطوع شرع به

قالوا: يلزمه ﷺ كل تطوع يبتدئ به. وليس كذلك أمته.

حكى هذا القول الإمام البغوي عن بعضهم، وذكره ابن الملقن نقلاً عن ابن القاص[(١)].

وما من شك بأن عدَّ هذه المسألة في قائمة الخصائص فيه نظر، لعدم الدليل المؤيد، بل قد قام الدليل على عكس ذلك.

فقد أخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) مرشد المحتار ص ٩٨.



«قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: (يا عائشة هل عندكم شيء؟).

قالت: فقلت: يا رسول الله، ما عندنا شيء.

قال: (فإني صائم).

قالت: فخرج رسول الله ﷺ، فأهديت لنا هدية، قالت: فلما رجع رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، أهديت لنا هدية، وقد خبأت لك شيئاً.

قال: (ما هو؟).

قلت: حيس.

قال: (هاتيه).

فجئت به فأكل، ثم قال: (قد كنت أصبحت صائماً).

قال طلحة بن يحيى: فحدثت مجاهداً بهذا الحديث فقال: ذاك بمنزلة الرجل يخرج الصدقة من ماله، فإن شاء أمضاها، وإن شاء أمسكها»[1].

فهذا الحديث الشريف ينفي أصل المسألة، فأين الخصوصية؟!.

٢٧ ـ وجوب الدفع بالتي هي أحسن

قال ابن القاص: من الواجبات التي خص بها رسول الله ﷺ: أن يدفع بالتي هي أحسن[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٥٤).

(٢) مرشد المحتار ص ٩٩.

واستدل بقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

وعدُّ هذه المسألة من الخصائص أمر غريب حقاً، فليس في الآية ما يدل على أن الخطاب فيها للرسول ﷺ وحده. بل سياق الآيات دليل على أن الخطاب لجميع المسلمين.

والآيات واردة في ميدان الحض على الفضائل، والدعوة إليها، ولنستمع إلى بعض هذه الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ إلى آخر الآيات[2].

فأين خصوصية الخطاب للرسول ﷺ، حتى يقال بخصوصية الحكم؟!!.

٢٨ ـ نفقة زوجاته ﷺ

قال بعض الفقهاء: إن نفقة زوجاته ﷺ لم تكن واجبة عليه، وهذه خصوصية له دون غيره من الناس[3].

قال النووي: وهل كان يلزمه نفقة زوجاته، فيه وجهان بناءً على المهر. قلت: الصحيح الوجوب[4].

---

(١) سورة فصلت، الآية (٣٤).
(٢) سورة فصلت، الآيات (٣٣ ـ ٣٥).
(٣) مرشد المحتار ص ٣١٣.
(٤) روضة الطالبين ٧/ ١٠.

ولم يذكر أصحاب القول بالخصوصية دليلاً، وإنما بنوا ذلك على مسألة أخرى، وهي: هل كان يجب عليه للواهبة نفسها مهراً؟.

ومن المعلوم أنه لم يكن عنده امرأة من الواهبات أنفسهن.

وإذن فالأصل أن حكمه ﷺ حكم غيره من الناس وهو الوجوب، يؤيد هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة)[1] فإذا كان يجب أن ينفق مما تركه على زوجاته بعد وفاته، كيف لا تجب النفقة لهن في حال حياته[2].

أخرج الترمذي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان يقول: (إن أمركن مما يهمني بعدي، ولن يصبر عليكن إلا الصابرون) قال: ثم تقول عائشة: فسقى الله أباك من سلسبيل الجنة، تريد عبد الرحمن بن عوف. وكان قد وصل أزواج النبي ﷺ بمال[3] بيعت بأربعين ألفاً[4].

٢٩ ـ خصوصية تحريم الكتابة عليه

قالوا: واختص ﷺ بتحريم الكتابة عليه.

ثم قالوا: إنما يكون التحريم على من يحسنها وهو لا يحسنها.

قال الإمام النووي: المراد تحريم التوصل إليها[5].

والحقيقة أن هذه المسألة لا علاقة لها بالخصائص، وقد كان

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٧٢٩).
(٢) مرشد المحتار ص ٣١٣.
(٣) المقصود بالمال: حديقة، كما جاء في الحديث الآخر.
(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٤٩) وحسنه.
(٥) روضة الطالبين ٧/ ٥.

معظم الناس عندما بعث الرسول ﷺ لا يحسنون الكتابة، والذين يقرؤون قلة قليلة فأين الخصوصية.

ثم لنرجع إلى الآيات الكريمة المتعلقة بالموضوع:

قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1].

فالآية الكريمة إنما تصف الواقع القائم وهو أنه ﷺ ما كان يحسن القراءة والكتابة.

قال ابن كثير:

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ﴾ كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ﴾ يعني العرب من قريش وغيرهم.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟﴾ أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة. كما قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان (٤٧ ـ ٤٨).

وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وهكذا كان رسول الله ﷺ دائماً إلى يوم القيامة لا يحسن الكتابة، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم. ا هـ ابن كثير.

فالآية الكريمة تبين وصف الرسول ﷺ في واقع الحال، وهو عدم معرفته القراءة والكتابة، وأهل مكة يعرفون ذلك تماماً.

ثم إن هذا الوصف هو الموافق لما جاء في صفة النبي ﷺ في الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، ولذلك سارع علماؤهم كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي إلى الإيمان به.

فقد جاءت آية سورة الأعراف بالأوصاف المذكورة للرسول ﷺ في التوراة والإنجيل، ومنها: (النبي الأمي) أي الذي لا يحسن القراءة والكتابة.

وخلاصة القول: فإن أمر عدم معرفته الكتابة ﷺ ليس من بحث الخصائص كما هو واضح.

وهذه الصفة هي من تقدير الله لبيان الإعجاز في هذا القرآن وأنه من عند الله تعالى، لم تشبهُ شائبة، ذلك أن النبي الذي أنزل عليه هذا القرآن لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

٣٠ ـ خصوصية تحريم الشعر عليه

وقالوا في الشعر ما قالوا في الكتابة.

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٧).



قالوا: اختص ﷺ بأنه يحرم عليه الشعر.

ومن المتفق عليه: أنه ﷺ كان لا يحسن نظم الشعر.

ولذا قالوا: المراد: تحريم التوصل إليه[1].

وكما هو الشأن في الكتابة، فالواقع أنه ﷺ ما كان يحسن الشعر، ومعظم الناس لا يحسنون الشعر، فليست المسألة من باب الخصوصيات.

قال تعالى:

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[2].

وهكذا فالآية الكريمة تسجل الواقع القائم.

قال ابن كثير: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي ما هو في طبعه، فلا يحسنه، ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته، ولهذا ورد أنه ﷺ كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم.

وقال: روى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال: إن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت:

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله.

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

قال أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما: أشهد أنك رسول الله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾.

---

(١) روضة الطالبين ٧/ ٥.

(٢) سورة يس، الآية (٦٩).



وهكذا روى البيهقي في الدلائل: أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه: أنت القائل:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

فقال: إنما هو بين عيينة والأقرع.

فقال ﷺ: (الكل سواء) يعني في المعنى.

إن الشعر بما يشتمل عليه من خيالات وأكاذيب وأباطيل يتنافى مع النبوة، وقد قال تعالى عن الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[١].

٣١ ـ جعل العتق صداقاً

قالوا: واختص ﷺ بإباحة عتقه للأمة وتزوجها وجعل عتقها صداقها.

واستدلوا: بما أخرجه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه قال: أعتق النبي ﷺ صفية وتزوجها وجعل عتقها صداقها[٢].

وقالوا: هذا خاص بالنبي ﷺ وهو مما خصه الله به في النكاح دون الأمة. وهذا قول الأئمة الثلاثة ومن وافقهم[٣].

وذهب ابن حزم إلى عدم الاختصاص به ﷺ، بل ما وقع في الحديث سنة صحيحة لكل من أراد أن يفعل ذلك إلى يوم القيامة[٤].

وأيد ابن القيم قول ابن حزم وقال: لأن الأصل عدم الاختصاص

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان (٢٢٥ ـ ٢٢٦).
(٢) متفق عليه (خ ٥٠٨٦، ٥١٦٨، م ١٣٦٥).
(٣) زاد المعاد لابن القيم ١/١١٢.
(٤) مرشد المحتار ص ٣١٦.



حتى يقوم عليه دليل. وهذا القول هو ظاهر مذهب أحمد وكثير من أهل الحديث[(١)].

وما ذهب إليه ابن القيم وابن حزم ـ والذي هو ظاهر مذهب أحمد ـ هو الصواب لعدم وجود دليل على التخصيص، والأصل أن تتأسى الأمة به ﷺ.

ودليل من قال بالخصوصية القياس، والقياس ليس دليلاً في أمر التخصيص[(٢)].

٣٢ ـ تحريم الإغارة إذا سمع التكبير

نقل السيوطي وصاحب المواهب عن ابن سبع: أن من خصائصه تحريم الإغارة إذا سمع التكبير[(٣)].

قال السيوطي: واستدل له بما أخرجه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قوماً، لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً، أغار عليهم[(٤)].

والواقع أنه لا يدرى هل كان السيوطي رحمه الله يستدل بالحديث للحكم، أم للخصوصية؟.

فإن كان يستدل للخصوصية ـ وهو ما يقتضيه سياق كلامه ـ فلا دليل فيه. وأنى يكون الدليل؟ وإنما الحديث نقل لسلوك الرسول ﷺ

---

(١) زاد المعاد ١/ ١١٢.

(٢) انظر في تفصيل ذلك مرشد المحتار ص ٣١٦.

(٣) الخصائص الكبرى ٢/ ٤١٥، والمواهب اللدنية ٢/ ٦١٢.

(٤) متفق عليه (خ ٦١٠، م ٣٨٢).



وفعله في واقعة معينة، ينبغي على المسلمين اتباعه فيها والتأسي به في فعل مثل ما يفعل.

ولهذا فقد نص الفقهاء على هذا الحكم في كتبهم، وعدّوا التقيد والالتزام به واجباً من واجبات المجاهدين.

وقد بوب البخاري رحمه الله لهذا الحديث بقوله: «باب ما يحقن بالأذان من الدماء»[1].

فأين الخصوصية إذن؟!.

٣٣ ـ تحريم الاستعانة بالمشركين

قال السيوطي: ومن خصائصه ـ فيما ذكر القضاعي ـ أنه ﷺ كان يحرم عليه قبول الاستعانة بالمشركين.

قال: أخرج البخاري في تاريخه عن حبيب بن يساف قال: خرج النبي ﷺ وجهاً فأتيته أنا ورجل من قومي قلنا: إنا نكره أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم، فقال: (أسلمتما؟) قلنا: لا، قال: (لا، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين)[2].

هذا ما ذكره السيوطي في هذه المسألة، وليس فيها أي دليل أو شبهة دليل على الخصوصية. بل هو حكم عام في هذه المسألة دوَّنه الفقهاء رحمهم الله في كتبهم ولو فهموا منه الخصوصية لما فعلوا ذلك.

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قِبَلَ بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل، قد كان

---

(١) فتح الباري ٢/ ١٩.

(٢) الخصائص الكبرى ٢/ ٤١٦.

يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه، قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله ﷺ: (تؤمن بالله ورسوله؟) قال: لا، قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك)[1].

قال ابن قدامة في بحث الجهاد: «ولا يأذن ـ الإمام ـ لمشرك، لما روت عائشة..» وذكر الحديث[2].

إنه لا دليل على الخصوصية.

٣٤ ـ القبلة للصائم

قال السيوطي: باب اختصاصه ﷺ بجواز القبلة وهو صائم مع قوة شهوته وذلك حرام على غيره[3].

وقد وردت في فعله ﷺ أحاديث منها:

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنْ كان رسول الله ﷺ ليقبل بعض أزواجه وهو صائم ثم ضحكت.

وفي رواية لهما قالت: وكان أملككم لإربه[4].

وأخرج مسلم عن حفصة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم[5].

وعن عمر بن أبي سلمة أنه سأل رسول الله ﷺ: أيقبل الصائم؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١٧).
(٢) الكافي لابن قدامة ٤/ ٢٦٣، طبعة المكتب الإسلامي.
(٣) الخصائص الكبرى ٢/ ٤٢٣.
(٤) متفق عليه (خ ١٩٢٧، ١٩٢٨، م ١١٠٦).
(٥) أخرجه مسلم برقم (١١٠٧).

فقال له رسول الله ﷺ: (سل هذه) - لأم سلمة - فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك. فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فقال له رسول الله ﷺ: (أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له)[1].

وهذه الأحاديث تنفي القول بالخصوصية وبخاصة حديث عمر بن أبي سلمة. فلو كان الأمر خاصاً به ﷺ لم يقل له: (سل هذه) ثم إنه لما قال له عمر: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر - وإنما يريد عمر بهذا القول خصوصية الرسول ﷺ بذلك - قال له: (أما والله، إني لأتقاكم لله) وهذا ينفي تماماً القول بالخصوصية.

وينفي ذلك أيضاً ما رواه مالك في الموطأ: أن عائشة بنت طلحة كانت عند عائشة رضي الله عنها، فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك، فتلاعبها وتقبلها؟ قال: أقبلها وأنا صائم؟ قالت: نعم[2].

وقال الفقهاء في هذه المسألة بالإباحة لمن يكون مالكاً لنفسه دون من لا يأمن الوقوع فيها على تفصيل في ذلك. ولم يقل أحد منهم بالخصوصية[3].

٣٥ - تحريم التكني بكنية النبي ﷺ

قالوا: ليس لأحد أن يكتني بأبي القاسم سواء كان اسمه محمداً أم لا.

واستدلوا: بما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٠٨).
(٢) المواهب اللدنية ٢/ ٦١٤.
(٣) فتح الباري ٤/ ١٥٢.

دعا بالبقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبي ﷺ فقال: لم أعنك، قال: (سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم، فقالت الأنصار: لا نكنيك أبا القاسم ولا ننعمك عيناً، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام فسميته القاسم، فقالت الأنصار: لا نكنيك أبا القاسم ولا ننعمك عيناً، فقال النبي ﷺ: (أحسنت الأنصار، سموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي)[2].

وللعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

قال الشافعي رحمه الله: ليس لأحد أن يكتني بأبي القاسم سواء كان اسمه محمداً أم لا. استدلالاً بأحاديث الباب.

وقال مالك رحمه الله: يجوز التكني بأبي القاسم مطلقاً، لمن اسمه محمد ولغيره وقال: النهي مختص بحياته ﷺ، لأن سبب النهي أن اليهود تكنوا به، وكانوا ينادون: يا أبا القاسم، فإذا التفت النبي ﷺ قالوا: لم نعنِك إظهاراً للإيذاء، وقد زال ذلك المعنى.

والقول الثالث: قال الرافعي: ومنهم من حمله على كراهية الجمع بين الاسم والكنية، وجوَّز الإفراد.

فيجوز التكني بأبي القاسم لمن ليس اسمه محمداً[3].

وإذا كانت المسألة مختلفاً فيها، فلا ينبغي أن تعدَّ من مسائل الخصائص. لفقدان النص القاطع بخصوصيتها.

---

(١) متفق عليه (خ ٢١٢١، م ٢١٣١).
(٢) متفق عليه (خ ٣١١٥، م ٢١٢٣).
(٣) روضة الطالبين ٧/ ١٥، وغاية السول ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.



٣٦ ـ اختصاصه ﷺ بخمس الخمس

قالوا: واختص ﷺ بخمس الخمس من الغنيمة.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[١].

فالغنيمة تقسم إلى خمسة أقسام: أربعة منها للمجاهدين الذين شهدوا المعركة، والخمس الباقي يقسم أيضاً إلى خمسة أقسام، واحد منها للرسول ﷺ.

والذين قالوا بالخصوصية قالوا: إنه بعد موته ﷺ يقسم الخمس إلى أربعة أقسام لا إلى خمسة. وهو قول الإمام أبي حنيفة.

وقال الإمام الشافعي وغيره: إن سهم النبي ﷺ يخلفه فيه الإمام، ويصرفه إلى مصالح المسلمين[٢].

ويؤيد هذا القول ما جاء في البخاري من قول عمر رضي الله عنه: (ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فقبضها أبو بكر فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ) ثم عمل فيها عمر بعمل رسول الله ﷺ[٣].

وإذا كان الأمر كذلك فلا نستطيع أن نعد هذه المسألة من خصائصه ﷺ . بل هي من المسائل التي يتأسى بها بفعله كما فعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٤١).

(٢) مرشد المحتار ص ٢٠٤.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٠٩٤).



٣٧ ـ وضع الجريدة على القبر

أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال: (إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير) ثم قال: (بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله) قال: ثم أخذ عوداً رطباً، فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)[١].

وأخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمره أن يقطع من شجرتين من كل منهما غصناً، ثم يضعه حيث أمره ﷺ، ثم قال: قد فعلت، يا رسول الله، فَعَمَّ ذاك؟ قال: (إني مررت بقبرين يعذبان، فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين)[٢].

وروى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة: أنه ﷺ مر بقبر فوقف عليه فقال، (ائتوني بجريدتين، فجعل أحدهما عند رأسه، والأخرى عند رجليه)[٣].

وأخرج أحمد والطبراني بإسناد صحيح عن أبي بكرة أنه ﷺ مرَّ بقبرين.. الحديث، وكذلك أخرجا عن يعلى بن شبابه أنه ﷺ مر على قبر.. الحديث قال ابن حجر: ورواته موثقون[٤].

هذه النصوص وغيرها، تثبت أنه ﷺ وضع جريدة أو عوداً رطباً على قبر.

وقد اختلف العلماء: هل هي حادثة واحدة، أم تكررت القصة، ويبدو أن سياق الأحاديث، يؤيد تكرر القصة.

---

(١) متفق عليه (خ ١٣٧٨، م ٢٩٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٠١٢).
(٣) فتح الباري ١/ ٣١٩.
(٤) فتح الباري ١٠/ ٤٧٠ ـ ٤٧١.



كما اختلف العلماء: هل كان فعله ﷺ ذاك مما يتأسى به فيه. أم هو خصوصية من خصوصياته؟!.

وممن قال بالخصوصية الإمام الخطابي ومن تبعه، وقد استنكر وضع الناس الجريد ونحوه في القبر عملاً بهذه الأحاديث.

قال الطرطوشي: لأن ذلك خاص ببركة يده ﷺ.

وقال القاضي عياض: لأنه علل غرزهما على القبر بأمر مغيب، وهو قوله: «ليعذبان».

قال ابن حجر رحمه الله في مناقشة هذه الأقوال:

قلت: لا يلزم من كوننا لا نعلم أيعذب أم لا، أن لا نتسبب له في أمر يخفف عنه العذاب أن لو عذب.

كما لا يمنع كوننا لا ندري أرحمَ أم لا، أن لا ندعو له بالرحمة.

وليس في السياق ما يقطع على أنه ﷺ باشر الوضع بيده الكريمة. بل يحتمل أن يكون أمر به[١].

وقد تأسى بريدة بن الحصيب الصحابي بذلك، فأوصى أن يوضع على قبره جريدتان. وهو أولى أن يتبع من غيره[٢].

وقد أيد القائلون بالخصوصية قولهم بأن صاحبي القبرين كانا كافرين.

فرد على ذلك ابن العطار، وجزم في شرح العمدة بأنهما كانا مسلمين، وقال: لا يجوز أن يقال إنهما كانا كافرين لأنهما لو كانا

---

(١) أقول وهذا ما صرح به حديث جابر عند مسلم.

(٢) فتح الباري ١/ ٣٢٠.



كافرين، لم يدعُ لهما بتخفيف العذاب، ولا ترجَّاه لهما. ولو كان ذلك من خصائصه لبينه(١).

هذه خلاصة لأقوال كثيرة وردت في هذا الموضوع.

والذي نخلص إليه من ذلك: هو وجود الخلاف في هذه المسألة. وما كان من المسائل محل خلاف فلا يصلح للقول بخصوصيته. لأن الأصل والقاعدة العامة: التأسي به ﷺ فيما يفعل ويقول، ولا يقال بالخروج عن هذه القاعدة إلا عند وجود نص بالتخصيص، ولا نص في ذلك.

٣٨ ـ إباحة النظر إلى الأجنبيات

قالوا: ومن خصائصه ﷺ إباحة النظر إلى الأجنبيات، والخلوة بهن(٢).

واستدلوا لذلك:

١ ـ بما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت. فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه، فنام(٣).

٢ ـ وبما أخرجه الشيخان أيضاً عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له، فقال: (إني أرحمها، قتل أخوها معي)(٤).

---

(١) فتح الباري ١/ ٣٢١.
(٢) المواهب اللدنية ٢/ ٦١٥، والخصائص الكبرى ١/ ٤٣١.
(٣) متفق عليه (خ ٢٧٨٨، م ١٩١٢).
(٤) متفق عليه (خ ٢٨٤٤، م ٢٤٥٥).



ومحل الشاهد: أنه ﷺ كان يدخل عليهما وينظر إليهما. وهو دليل على خصوصيته في ذلك.

وقد توقف العلماء أمام هذين الحديثين.

فقال ابن عبد البر: أظن أن أم حرام أرضعت رسول الله ﷺ أو أختها أم سليم فصارت كل منهما أمه أو خالته من الرضاعة، فلذلك كان ينام عندها وتنال منه ما يجوز للمحرم أن يناله من محارمه.

ثم ساق بسنده إلى يحيى بن إبراهيم بن مزين قال: إنما استجاز رسول الله ﷺ أن تفلي أم حرام رأسه، لأنها كانت منه ذات محرم من قبل خالاته لأم أم عبد المطلب جده كانت من بني النجار.

وذهب إلى ذلك أبو القاسم بن الجوهري والداودي والمهلب.

وقال آخرون: كان النبي معصوماً يملك إربه، فيكون ذلك من خصائصه.

ورد عياض ذلك: بأن الخصائص لا تثبت بالاحتمال، وثبوت العصمة مسلَّم، لكن الأصل عدم الخصوصية.

ونفى الدمياطي المحرمية، وقال أيضاً: ليس في الحديث ما دل على الخلوة بأم حرام[١].

ولعله مما يؤيد المحرمية ما جاء في رواية أبي داود، وفيها:

«نام النبي ﷺ فاستيقظ، وكانت تغسل رأسها، فاستيقظ وهو يضحك، فقالت: يا رسول الله، أتضحك من رأسي؟ قال: (لا) وساق الحديث[٢].

---

(١) هذه الأقوال ملخصة من فتح الباري ١١/٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢٤٩٢).

وإذا كان ابن حجر يجزم بأن الحادثة بعد الحجاب[1]، فكيف تكشف رأسها وتغسله أمام رسول الله ﷺ، حتى ظننت أنه يضحك من رأسها إن لم تكن هناك محرمية ما.

وأمر آخر يرجح جانب المحرمية وينفي الخصوصية، وهو: أنه ﷺ لم يفعل ذلك، فيدخل على أحد من النساء غير هاتين الأختين فلو كان الأمر خصوصية له، لدخل كثيراً من بيوت أصحابه، ولكان الأمر مباحاً له يدخل على أي امرأة من نساء الصحابة، ولكن هذا لم يحدث فكيف تكون خصوصية.

وتظل المسألة من المسائل المختلف فيها، وهي مسألة نظرية بعد وفاته ﷺ ولا يترتب عليها حكم شرعي، سواء أقلنا بالخصوصية أم قلنا بالمحرمية.

٣٩ ـ خصوصية زواجه ﷺ بعائشة

قال ابن الملقن: صح أنه ﷺ تزوج عائشة رضي الله عنها لست سنين أو سبع فذهب ابن شُبْرُمَة[2] ـ فيما حكاه ابن حزم ـ إلى أن ذلك خاص بالنبي ﷺ، وأنه لا يجوز للأب إنكاح ابنته حتى تبلغ.

قال: وقد خالف الجمهور، فإنهم قالوا: إن ذلك يجوز لكل واحد، وإنه ليس من الخصائص، بل نقل ابن المنذر الإجماع عليه[3].

وقال الإمام ابن حجر: أجمعوا أنه يجوز للأب تزويج ابنته

---

(١) فتح الباري ٧٨/١١.

(٢) ابن شبرمة: عبد الله بن شبرمة الضبي القاضي، روى عن أنس والتابعين. قال أحمد العجلي: كان عفيفاً صارماً عاقلاً يشبه النساك، شاعراً جواداً. وهو فقيه الكوفة، توفي سنة أربع وأربعين ومائة للهجرة (شذرات الذهب).

(٣) غاية السول ص ٢٢٢.

الصغيرة البكر، ولو كانت لا يوطأ مثلها، إلا أن الطحاوي حكى عن ابن شبرمة منعه فيمن لا توطأ. وحكى ابن حزم عن ابن شبرمة مطلقاً: أن الأب لا يزوج بنته البكر الصغيرة، حتى تبلغ وتأذن، وزعم أن تزويج النبي ﷺ عائشة، وهي بنت ست سنين كان من خصائصه[1].

ويتبين من النصين أن ابن شبرمة يرى عدم صحة عقد النكاح إذا كان سن المعقود عليها أقل من سن البلوغ. وذلك لأن غاية عقد النكاح إقامة الحياة الزوجية بين الزوجين، وهذا الأمر لا يمكن تحقيقه بالنسبة للصغيرة، ولذلك رأى عدم صحة العقد، لعدم تحقق ثمرته.

وبناءً على ذلك عدَّ زواج النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها من الخصوصيات التي اختص بها.

ولعل الذي ساعده على هذا الرأي، ما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (رأيتك في المنام، يجيء بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا هي أنت، فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه).

وفي رواية للبخاري: (أريتك في المنام مرتين).

وفي رواية لمسلم: (رأيتك في المنام ثلاث ليال..)[2].

ورؤيا الأنبياء نوع من الوحي. فكان عقد هذا الزواج تنفيذاً لما جاء به الوحي، ولعل هذا يفسر لنا العقد المبكر على عائشة قبل سنتين أو أكثر من الدخول، عندما جاء الوحي.

ويؤيد هذا ما جاء في بعض الروايات في وصف زفاف عائشة

---

(١) فتح الباري ٩/ ١٩٠.

(٢) متفق عليه (خ ٣٨٩٥، ٥١٢٥، م ٢٤٣٨).

رضي الله عنها. فقد أخرج مسلم عنها: أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت سبع سنين وزفت إليه وهي بنت تسع سنين ولعبها معها[1].

وكان للعبها هذه دور في حياتها الأولى بعد زواجها والأحاديث الصحيحة في هذا الشأن متوفرة وكثيرة.

ربما كانت هذه الأمور وغيرها هي التي دفعت ابن شبرمة إلى القول بالخصوصية.

وذهب الجمهور إلى عدم الخصوصية واستدلوا بفعل الرسول ﷺ في زواجه من عائشة رضي الله عنها، وبقوله تعالى:

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾[2].

فقد قال المفسرون عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ الصغار اللائي لم يبلغن سن الحيض.

فالآية تتحدث عن عدة النساء في حال الطلاق. فذكرت أولاً اللائي يئسن من المحيض، ثم ذكرت نوعاً آخر وهو اللاتي لم يحضن ـ الصغيرات ـ وقالت بأن عدتهن ثلاثة أشهر.

فتفسير اللائي لم يحضن بالصغيرات يثبت حدوث الزواج لهن، إذ لا يكون الطلاق إلا بعد زواج.

وبهذا يتقرر أن الزواج من الصغيرات أمر مباح لكل الناس. وليس أمراً خاصاً بالرسول ﷺ كما ذهب إليه ابن شبرمة.

وقد استقر هذا التفسير وأخذ أبعاده لدى المحدثين أيضاً، حيث بوب إمام الأئمة البخاري لحديث زواج عائشة وهي بنت ست بقوله:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٤٢٢).
(٢) سورة الطلاق، الآية (٤).

«٣٨ ـ باب إنكاح الرجل ولده الصغار لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ فجعل عدتها ثلاثة أشهر قبل البلوغ»[١].

هذا مجمل ما جاء في هذه المسألة.

ولا بد لي من كلمة في ختام هذه المسألة:

إن حديث زواج عائشة وهي بنت ست والذي نصه:

«عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع»[٢].

دليل قوي بيد الجمهور.

ولكن إذا نظرنا إلى الملابسات التي تحيط به، من مجيء الملك بصورتها، ومن اللعب التي حملت معها، وبقيت في بيتها إلى مدة غير قصيرة، ومن تسريب النبي ﷺ لصديقاتها البنات يلعبن معها.. كل هذه الملابسات عندما يجمع بعضها إلى بعض، تجعل لاجتهاد ابن شبرمة قوة لا تقل عن قوة الجمهور فيما ذهب إليه.

أما ما جاء في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ فهي وإن فسرت بالصغيرات، فهناك احتمال آخر قائم في تفسيرها:

ألا وهو أن كثيراً من الفقهاء ذكروا في أبواب الحيض من كتبهم: أنه وجد من النساء من لا تحيض أصلاً.

وعليه فلم يعد تفسير الآيات قاصراً على الصغيرات، بل لا بد وأن يشمل الكبيرات اللواتي لم يأتهن الحيض[٣].

---

(١) هذا التبويب وقع عند الحديث (٥١٣٣).

(٢) متفق عليه (خ ٥١٣٣، م ١٤٢٢).

(٣) لقد تأكدت من قول الفقهاء بنفسي فقد سألت عدداً كبيراً من الأطباء عن هذا الأمر ـ وهو وجود من لا تحيض ـ وقد أخبرني أحدهم وهو ممن أثق به: أنه=

٤٠ ـ ما ذكره السيوطي

نختم هذا الفصل بذكر بعض الخصائص في الأحكام مما لم أذكره، مما لا دليل عليه، أو قام الدليل ضده، دون أن أقف عند مناقشتها، ذلك أنها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى مناقشة...

وأحب أن أذكر ببعض الملاحظات قبل بدء تعداد ما ظنوه خصائص:

١ ـ إن بعض الأحاديث جاءت مرغبة ببعض الأعمال ـ وحاثَّةً على عملها ـ بذكر فضل تلك الأعمال، وبعض هذه الأحاديث في الصحيح، وأكثرها في الضعيف مما عني به أصحاب كتب الترغيب والترهيب ومن كان على طريقتهم. وجاء المهتمون بجمع الغرائب فعدوا كل ذلك من الخصائص.

والفضيلة شيء والخصيصة شيء آخر، ولا شك بأن هناك خصائص في الفضائل، ولكنها أمور قام الدليل على خصوصيتها.

٢ ـ إن بعض العلماء أطلقوا لأفكارهم العنان في تخيل الفضائل والخصائص، دون أي دليل يستندون إليه. وهذا كثير.

٣ ـ وجاء السيوطي رحمه الله لينقل كل شيء حتى ولو كان باطلاً معارضاً للصحيح وهو يصرح بذلك. قال:

«واعلم أني أذكر كل ما قال فيه عالم إنه من خصائصه.

= يعرف عن طريق زوجته وجود فتاتين لم يحضن، بلغت إحداهن الخامسة والعشرين، والثانية بلغت الخامسة والثلاثين، وأن أخاً لإحداهن تزوج ولم ينجب، وأنهما لم تتزوجا لسبب واحد، هو أن الأهل كانوا يبينون هذا الأمر للخاطب عندما يحضر، فيرغب عن الزواج خوفاً من عدم الإنجاب. وقد قال لي هذا الطبيب: إنه على استعداد للذهاب معي إلى أهل الفتاتين، لأكون على يقين من الأمر.

سواء كان عليه أصحابنا ـ الشافعية ـ أم لا.

مصححاً أم لا؟؟!.

فإن ذلك دأب المتتبعين المستوعبين، وإن كان الجهلة القاصرون إذا رأوا مثل ذلك بادروا إلى الإنكار على مورده!!»[1].

ولنذكر طائفة من المسائل مكتفين بالإشارة إليها، علماً بأن السيوطي يذكرها ولا يذكر دليلاً لها أصلاً.

ـ منها: أنه كان مطالباً برؤية مشاهدة الحق مع معاشرة الناس بالنفس والكلام.

ـ ومنها: أنه كلف من العلم وحده ما كلفه الناس بأجمعهم.

ـ ومنها: أنه كان يغان على قلبه فيستغفر الله كل يوم سبعين مرة[2].

ـ ومنها: وجوب ركعتي الفجر.

ـ ومنها: غسل الجمعة.

ـ ومنها: أنه خص بصلاة خمسين صلاة في كل يوم وليلة ـ غير الخمس ـ فبلغت مائة ركعة.

ـ ومنها: أنه كان إذا مر بنائم في وقت الصلاة أيقظه.

ـ ومنها: خص بوجوب العقيقة.

ـ ومنها: الإثابة على الهدية.

ـ ومنها: الإغلاظ على الكفار.

(١) الخصائص الكبرى ٢/٣٩٦.
(٢) الخصائص الكبرى ٢/ ٤٠٤.



ـ ومنها: تحريض المؤمنين على القتال.

ـ ومنها: أنه يجب عليه التوكل، ويحرم عليه الادخار.

ـ ومنها: الصبر على ما يكره.

ـ ومنها: صبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي.

ـ ومنها: الرفق وترك الغلظة.

ـ ومنها: إبلاغ كل ما أنزل عليه.

ـ ومنها: خطاب الناس بما يعقلون.

ـ ومنها: الدعاء لمن أدى صدقة ماله.

ـ ومنها: أن لا يعد وعداً ولا يعلق أمراً على غد بغير استثناء.

ـ ومنها: كان يجب عليه حفظ أموال المسلمين.

ـ ومنها: أنه لا يقر على السهو والغلط[(١)].

ـ واختص بتحريم أكل ثمن أحد من ولد إسماعيل.

ـ وكره الضب، يعني كراهة تحريم.

ـ وأنه لا يقبل هدية مشرك، ولا يستعين به.

ـ وحرم عليه الخمر من أول ما بعث قبل أن تحرم على الناس بنحو عشرين سنة، فلم يبح له قط.

ـ ونهي عن التعري وكشف العورة قبل أن يبعث.

ـ وكان لا يصلي على من غل ولا من قتل نفسه[(٢)].

ـ وخص بإباحة استقبال القبلة واستدبارها في حال قضاء الحاجة.

---

(١) مرشد المحتار ص ١٣٢ ـ ١٣٥.

(٢) مرشد المحتار ص ١٩٠ ـ ١٩١.



- والصلاة على القبر.
- وبجواز استخلافه في الإمامة.
- وبأنه يصلي الركعة الواحدة بعضها من قيام وبعضها من قعود.
- والصوم جنباً.
- واستمرار الطيب بعد الإحرام.
- وكان له أن يستثني في كلامه بعد حين منفصلاً.
- وأنه لم يكن يملك الأموال، إنما كان له التصرف والأخذ بقدر كفايته.
- وقبول الهدية بخلاف غيره من الحكام.
- ولا يكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب.
- وكان له قتل من اتهمه بالزنا من غير بينة؟؟!.
- وضحى عن أمته وليس لأحد أن يضحي عن الغير إلا بإذنه؟!.
- وله قتل من سبه أو هجاه!! عدَّ هذه ابن سبع[1].
- وخصَّ.. وخصَّ[2].

ولو ذهبت أسجل كل ما جاء عند السيوطي مما انفرد به عن غيره، لم نجد باباً من أبواب الفقه إلا وهناك خصوصية، الأمر الذي يذكرنا بقول النووي رحمه الله. «لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع»[3].

ولكنها أمثلة تبين أسباب التضخم الذي أصاب كتب الخصائص.



---

(١) مرشد المحتار ص ٣١٩ ـ ٣٢٢.

(٢) مرشد المحتار ص ٣٥٢ ـ ٣٨٥ حيث ذكر ابن طولون ما جاء عند السيوطي زيادة على ما ذكره غيره في خصائص الفضائل والكرامات.. وفيها أمور عجيبة غريبة.

(٣) المواهب اللدنية ٤/٣٠٨.



الفصل الرابع
خصائص نظرية متخيلة

نذكر في هذا الفصل أمثلة لخصائص تخيلها العلماء نتيجة تفريعاتهم الفقهية.

وهي مسائل لم تلامس واقع الحياة، ولكن سودت بها صفحات كثيرة.

أحببت الاقتصار على هذه الأمثلة دون الإكثار منها، ومن رجع إلى كتب الخصائص وجد نماذج أخرى كثيرة.

١ ـ أنه ﷺ يقضي لنفسه

قال ابن الملقن: كان له ﷺ أن يحكم لنفسه ولولده على الأصح، لأنه معصوم. حكاه الماوردي.

وجعل القضاعي هذه الخصوصية. مما يخصه ﷺ دون سائر الأنبياء[١] هذا ما نقله ابن الملقن وبنى عليه بعض التفريعات.

أما القول بعصمته ﷺ ـ الذي هو علة المسألة هنا ـ فلا خلاف عليه، ولكن الأمر الغريب هو طرح أصل المسألة.

فالخصائص إنما تدرس باعتبارها وقائع مستثناة من القواعد

(١) بداية السول ص ١٧٢.



العامة، ولا بد فيها من دليل صحيح قادر على إثبات الخصوصية.

والواقعة هنا منعدمة لا وجود لها إلا في عالم التصور والخيال، فكيف أمكن إدراجها في قائمة الخصائص.

إنه الأمر الغريب حقاً!!.

ولو كان الأمر كذلك، لأراح النبي ﷺ نفسه من قبول شهادة خزيمة الذي كانت شهادته بشهادتين، وقضى لنفسه بأمر الفرس، وسبق ذكر هذه الواقعة[1].

٢ ـ يباح له ﷺ أن يزوج المرأة لنفسه

ذكر ذلك ابن الملقن دون دليل أو شرح[2].

وقال ابن طولون: واختص ﷺ بإباحة تزويج المرأة لنفسه، وبتولي الطرفين بغير إذنها وإذن وليها، لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[3] وقال الحناطي: يحتمل أن يقال: كان لا يجوز إلا بإذنها، واحتماله مردود بهذه الآية[4].

وهذا الأمر لم يحدث، بل إن الوقائع تنفيه، فجويرية بنت الحارث حينما جاءته تستشيره بأمر نفسها إثر غزوة بني المصطلق، قال لها: (فهل لك إلى ما هو خير منه؟) قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: (أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك) قالت: قد فعلت[5].

فاستئذانه لجويرية صريح، وما نظن ـ بل إننا على يقين ـ من أنها

---

(١) وانظر تفصيل ذلك في المسألة (٢١) من الفصل الثالث.
(٢) بداية السول ص ٢١١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية (٦).
(٤) مرشد المحتار ص ٣١٢.
(٥) وانظر تفصيل ذلك في المسألة الخامسة من الفصل الأول.

لو رفضت ذلك، لما تم هذا الزواج، فكرم أخلاقه ﷺ يأبى أن يكرهها على أمر لا رغبة لها فيه.

والحقيقة: أن البحث في هذ المسألة من فضول القول الذي لا طائل تحته، إلا ضياع الوقت في أمر لم يكن.

٣ ـ إباحة نكاح المعتدة

قالوا: كان يحل له ﷺ نكاح المعتدة من غيره، على وجه حكاه البغوي والرافعي:

قال ابن الملقن: وهو غلط لم يذكره الجمهور، وغلَّطوا من ذكره.

والصواب ـ كما قال النووي في الروضة ـ القطع بالمنع[١].

قال النووي: بل الصواب القطع بامتناع المعتدة من غيره[٢]،.

قال ابن الصلاح: قال الغزالي في الخلاصة: وهو غلط منكر، وددت محوه منه. وتبعه فيه صاحب مختصر الجويني[٣].

ويلاحظ كم أتعب صاحبُ هذا القول العلماء في الرد عليه، في مسألة غير قابلة للاجتهاد وذلك لمنع ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾[٤]. ولم يثبت ما يدل على خصوصية الرسول ﷺ في هذا الأمر، ولذا فهو ﷺ داخل في الخطاب الذي ورد في الآية الكريمة دخولاً أكيداً لأنه ﷺ هو المبين بعمله وقوله الكتاب الكريم.

---

(١) بداية السول ص ٢١٤.

(٢) روضة الطالبين: ٧/ ١٠.

(٣) بداية السول ص ٢١٤.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٣٥).

٤ ـ إباحة الطلاق فوق ثلاث

قالوا: واختص ﷺ بأنه يباح له في طلاقه الزيادة على الثلاث[١].

قال ابن البلقيني[٢]؛ والذي ظهر لي في مدرك ذلك: أن الطلاق في صدر الإسلام كان غير منحصر في الثلاث، ثم حصر في الثلاث لما قصد بعض الناس المضارة بذلك. فإن نظرنا إلى عموم اللفظ في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾[٣] وقوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾[٤] حصرنا، وإن نظرنا إلى خصوص السبب: وهو قصد المضارة فلا حصر لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤون من قصد المضارة[٥].

تلك هي القضية: وهي إنما حصر الطلاق بالثلاث حتى لا يكون حيف على المرأة، وبما أن الحيف لا يقع من الرسول ﷺ فلا حاجة لحصر الطلاق بالثلاث.

وإذا علمنا أن هذا الطلاق لم يقع من الرسول ﷺ أصلاً، تبين أنه لا حاجة للتفتيش عن الدليل، إذ لا دليل على الخصوص، والأصل أن الرسول ﷺ محكوم بالأحكام العامة مثله في ذلك مثل بقية المسلمين، ما لم يوجد دليل التخصيص.

ومعظم الفقهاء لم يقولوا بالخصوصية في هذه المسألة.

---

(١) قال بذلك أبو ثور والمزني وأبو بكر الدقاق من فقهاء الشافعية (مرشد المحتار ص ٢٧٨).

(٢) هو عبد الرحمن بن عمر، من علماء الحديث بمصر، انتهت إليه الفتوى، توفي بالقاهرة سنة (٨٢٤هـ).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢٩).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٣٠).

(٥) مرشد المحتار ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

وبناءً على ذلك قال الماوردي[1]: وإذا قلنا ينحصر طلاقه، فلو طلق طلقة واحدة ثلاثاً، هل تحل له من غير أن تنكح غيره؟ فيه وجهان: أحدهما نعم، لما خص به من تحريم نسائه على غيره، والثاني لا تحل له أبداً لما فيه من التغليظ في أسباب التحريم[2].

فانظر إلى هذا التفريع على مسألة أصلها غير موجود.

ألا يعدّ ذلك من عبث القول وضياع الوقت في بحث مسائل يستحيل وقوعها؟ بلى.

والحقيقة أن النصوص العامة في الشريعة يدخل فيها الرسول ﷺ، فهو القدوة والأسوة للمسلمين، وهو أول من يطبق أحكام الله تعالى.

٥ ـ هل كان يحل له الجمع بين المرأة وعمتها
٦ ـ لم يكن له الجمع بين الأختين، والأم والبنت

ذكرت كتب الخصائص هاتين المسألتين بهذا الأسلوب في العنوان.

وهذه المسائل ليست محل خلاف عند الجمهور، في أنه لا مجال للخصوصية فيها.

ولكن قال بالمسألة الأولى ابن القطان: بناءً على أن المخاطِب هل يدخل في الخطاب؟ لأنه قال ﷺ: (لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها)[3].

---

(١) هو علي بن محمد، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، له تصانيف نافعة، توفي ببغداد سنة (٤٥٠هـ).

(٢) مرشد المحتار ص ٢٧٨.

(٣) جاء في هذا المعنى عدة أحاديث عند البخاري منها: (نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها) رقم (٥١٠٨)، و (لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها) رقم(٥١٠٩).

وقال بالمسألة الثانية: الحناطي[1].

وهو قول باطل: فعن أم حبيبة قالت: قلت: يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان. قال: (وتحبين؟) قلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: (إن ذلك لا يحل لي) قلت: يا رسول الله فوالله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة. قال: (بنت أم سلمة؟) فقلت: نعم، قال: (فوالله لو لم تكن في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة. فلا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن)[2].

والحقيقة أن هاتين المسألتين ليستا محل خلاف، وإنما كان ذكرهما في الخصائص لبيان الباطل في قول من قال بهما.

والملاحظ:

١ ـ أن هذه القضايا لم تقع.

٢ ـ أنه لا دليل على الخصوصية فيها.

وإنما جاء القول بها نتيجة لأقيسة فاسدة.

ولذلك قال الإمام فخر الدين الرازي في التعليق على المسألة الأولى: «هذه المسألة من الكلام في الخصائص بالاجتهاد، وهو باطل، ولم يقع مثل ذلك من النبي ﷺ، ولم يذكره الجمهور، وإنما نسب ذلك إلى خط بعض المفتين نقلاً عن ابن القطان، ومثل ذلك لا تثبت به الوجوه، فالصواب القطع بإبطال هذا»[3].

وهكذا نجد أن الكلام فيهما لبيان الباطل وتنبيهاً عليه.

---

(١) انظر في المسألتين غاية السول ص ٢١٤ ـ ٢١٥، واللفظ المكرم ١/ ٥١٥ ـ ٥١٦.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥١٠٧).

(٣) مرشد المحتار ص ٣١٧.

٧ ـ تحريم نكاح الأمة المسلمة

قالوا: واختص ﷺ بتحريم نكاح الأمة المسلمة. لأن جوازه مشروط بخوف العنت، وهو ﷺ معصوم، ولأن من نكح أمة كان ولده منها رقيقاً، ومنصبه منزه عن ذلك[1].

ومن المعلوم فقهاً: أن المسلم لا يحق له الزواج من الأمة إلا بتحقق شرطين:

١ ـ خوف العنت على نفسه، وهو هنا الزنا.

٢ ـ عدم الطول، وهو عدم وجود مهر الحرة.

وهذا المنع إنما كان لما يترتب على هذا الزواج من رق الأبناء وكونهم في المستقبل أرقاء لمن يملك الأمة المزوجة.

وهذا الزواج لم يحدث من الرسول ﷺ فلماذا البحث فيه؟

وإذا كان النبي ﷺ لن يخشى العنت، ففي هذه الحالة حكمه حكم أمته، فلماذا نفرد له حكماً خاصاً ونجعل المسألة من مسائل الخصائص؟!.

وهكذا تنضم هذه المسألة إلى ما سبقها من المسائل التي لا طائل في البحث فيها.

٨ ـ تحريم نكاح الحرة الكتابية

قالوا: يحرم عليه نكاح الحرة الكتابية.

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[2]، فأزواجه أمهات

---

(١) تهذيب الخصائص الكبرى، لعبد الله التليدي ص ٤١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٦).

المؤمنين. وهن زوجاته في الجنة. والجنة حرام على الكافرين، فكيف يتزوج امرأة كتابية؟!.

وذهب إلى حل ذلك الإمام أبو إسحاق الشيرازي مؤلف المهذب، فقال: لا يحرم عليه نكاحها كما في حق الأمة، وحكمه عليه الصلاة والسلام في النكاح أوسع من حكم أمته، وهي حلال لهم فله أولى[1].

ومعرفة الحكم في هذه المسألة والجهل به سواء، لأنه لا طائل وراءه، وليس له أثر في مجال التطبيق العلمي.

والنبي ﷺ لم ينكح امرأة كتابية، ولم يرد نص يخصصه في هذه المسألة، ولذا فالأصل تطبيق القواعد العامة الواردة في الشريعة في حقه. ولو حدث هذا منه لكان له في التشريع حكم!.



(١) غاية السول ص ١٤٩.



الفصل الخامس
خصائص مزعومة..؟؟!!

نذكر في هذا الفصل نموذجاً من المسائل الغريبة، وهي من نوعية ما ذكر في الفصل الرابع من المسائل المتخيلة ولكنها تحمل عناصر الإساءة للنبي الكريم ﷺ وتصوره بما لا ينبغي، وبما يتعارض مع ما وصفه به الله تعالى من الخلق العظيم.

والحق أنها نقائص ينبغي أن ينزه عنها كتاب مثل كتابنا هذا، ولكنه كان لا بد من ذكرها لبيان الخطأ الفادح الذي تحمله. وللتنبيه على خطرها، وبخاصة أن معظم كتب الخصائص قد ذكرتها.

١ ـ أخذ الطعام والشراب من مالكهما

قال الإمام النووي:

«و ـ للنبي ﷺ ـ أن يأخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج إليهما، وعلى صاحبهما البذل، ويفدي بمهجته مهجة رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[١]».

قلت ـ أي الإمام النووي ـ: ومثله ما ذكره الفوراني وإبراهيم

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦).





المروذي وغيرهما: أنه لو قصده ظالم وجب على من حضره أن يبذل نفسه دونه صلّى الله عليه وسلّم»[1].

وقد تناقلت هذا النص كتب الخصائص[2].

وجاء في كتاب «مطالب أولي النهى»:

«وجعل ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾.

ويلزم كل أحد أحد أن يقيه بنفسه وماله، وله طلب ذلك حتى من المحتاج، ويفدي بمهجته مهجته ﷺ، فإنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ومثله لو قصده ظالم: فعلى من حضره أن يبذل نفسه دونه»[3].

والإمام النووي إنما يقرر المذهب بقوله. وقد عزا الخيضري النص نفسه إلى الرافعي[4].

أقول:

ما من شك أن من واجب المسلمين أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم وكل ما يملكون.. دون رسول الله ﷺ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه...

وقد فعل جيل الصحابة الذي عايش الرسول ﷺ كل ذلك، وكتب السيرة مليئة بالشواهد على ذلك مما يشهد لهذا الجيل الفريد بالخيرية المطلقة على بقية الأجيال.

---

(١) روضة الطالبين، للإمام النووي. ٧/٨.

(٢) انظر: (غاية السول ص ١٧٥)، و (المواهب اللدنية ٢/٦١٤)، و (مرشد المحتار ص ٢٣٤).

(٣) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ٥/٣٨.

(٤) اللفظ المكرم ١/٣٥٩.



والمسلمون كلهم على اختلاف أزمانهم على قدم الصحابة في هذا الأمر من احترام الرسول ﷺ وفدائه بأنفسهم وأموالهم، والشواهد على ذلك كثيرة أيضاً.

ولكن عرض المسألة بهذا الأسلوب يتنافى مع المنهج الأخلاقي الذي جاء به الرسول ﷺ.

ولو قيل هذا الكلام بحق غيره لكان منقصة ومذمة.

تصور معي إنساناً معه طعام وشراب وهو محتاج إليه بحيث لو أخذا منه لأدى ذلك إلى موته، فجاء إنسان آخر في مثل حالة الأول وليس معه طعام ولا شراب، فلم يجد بداً من أخذ ما مع الأول من طعام وشراب للإبقاء على حياة نفسه، وترك الأول يموت جوعاً وعطشاً.

فما هو حكم فعل الرجل الثاني في نظر الأخلاق ونظر الفقه.

هذه هي الخصوصية التي نتحدث عنها في هذه المسألة.

لا شك بأن فعل الرجل الثاني غير مقبول في لغة الفقهاء، ولا في لغة الأخلاق فكيف يكون خصوصية للرسول ﷺ؟!.

لا شك بأن الرجل الأول لو بذل للثاني ما معه لكان ذلك فضيلة أخلاقية رفيعة لهذا الرجل تعبر عن الإيثار في أعلى درجاته، كما جاء ذلك في وصف الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

أما الأمر المعترض عليه في هذه المسألة، فهو أن يكون الرسول ﷺ في مقام الرجل الثاني في المثال المذكور.

إن هذا الأمر غير متخيل منه حدوثه ﷺ لتعارضه مع ما عرف

---

(١) سورة الحشر، الآية (٩).

عنه من الأخلاق الرفيعة التي نص عليها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

فهو الذي يحمل الكَّل، ويكسب المعدوم، ويعين على نوائب الحق.. كما قالت السيدة خديجة رضي الله عنها.

وهو الذي كان يسير في الرجوع من الغزوات والسفر في آخر القوم، يعين الضعيف ويساعد أصحاب الحاجات..

فهو ﷺ دائماً وفي وقت الأزمات في موقف العطاء، لا في موقف الأخذ. ودائماً يده العليا.

وإذا كانت الصدقات عليه محرمة، وهي إنما تحلُّ في وقت الحاجة، فكيف نتج لخيالنا أن نقبل للرسول ﷺ صورة الغاصب؟!! في وقت الحاجة.

إن هذه الخاصية المتخيلة، بعيدة كل البعد عن ذات الرسول الكريمة ﷺ ويتمنى الإنسان المسلم، لو استطاع محوها من هذه الكتب لما فيها من إساءة للرسول ﷺ وتشويه لصورته..

أما ما استدل به أصحاب هذا الرأي، من قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فهو استدلال في عكس ما جاءت به الآية الكريمة. فهم استدلوا بها على أن الرسول ﷺ له بهذه الآية أن يقدم نفسه عليهم في حرمانهم مما يحتاجون إليه ليلبي به حاجة نفسه.

ولم يفهم أحد من المفسرين هذا الفهم.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية المذكورة:

«قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته، ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفهسم.

---

(١) سورة القلم، الآية (٤).



وقال البخاري عند هذه الآية.. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، واقرؤوا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه)[1]»[2].

هذا ما قاله ابن كثير. وواضح من كلامه ومن الحديث الذي استشهد به أن الرسول ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في تحمل الغرم عنهم، ومساعدتهم في وقت الشدة. أما في أوقات رفاههم واستغنائهم وعدم حاجتهم.. فإن ذلك يعود إلى ذوي قراباتهم[3].

وإذن ليس في الآية ما يدل على ما ذهبوا إليه.

ونتساءل: كيف قبل الفقهاء مثل هذا التصور، ثم جعلوه من الخصوصيات؟.

والجواب: إن الفقهاء رحمهم الله، في المسائل الفرعية، كثيراً ما تسيطر عليهم القواعد الفقهية القائمة على القياس والنظير في الحكم، بعيداً عن النظام الأخلاقي العام، وهذا الاتجاه جعلهم يقسمون الأحكام في كثير من الأحيان، فيقولون: قضاءً، وديانة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٣٩٩).
(٢) تفسير ابن كثير عند الآية المذكورة.
(٣) وفي هذا المعنى قال عنترة:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلم
يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

فهذه قيم جاهلية «أغشى الوغى» فأكون في موقف العطاء والبذل في المقدمة، فإذا جاء توزيع المغنم كنت بعيداً عنه.
هذا المعنى هو بعض ما جاء في حديث البخاري: (فأيما مؤمن ترك مالاً..) أفيكون هذا المعنى الرفيع عند الجاهليين، ولا يكون عند الرسول ﷺ حسب هذه المسألة؟!.





فالحكم القضائي: هو الذي وقف عند النص دون مراعاة للجانب الباطن في المسألة..

وفي مسألتنا هذه: رأوا أن حياته ﷺ مقدمة على حياة بقية الناس، ولذا كان له ﷺ أن يتخذ من الوسائل ما يحافظ عليها، حتى ولو كان في ذلك تلف بعض الأنفس. فالمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة. فبقاؤه ﷺ مصلحة عامة للمسلمين، وبقاء فرد من المسلمين. مصلحة خاصة لذلك الفرد ومن يلوذ به.

وهو منطق مقبول بشكل عام، ولكنه في هذه المسألة يعارض ما كان عليه ﷺ من أخلاق. وكان على الذين بحثوا في هذه المسألة أن يراعوا هذا الجانب، وهو جانب أصيل في حياته صلّى الله عليه وسلّم.

وأمر آخر أدى إلى الخطأ في هذه المسألة. وهو أسلوب عرضها.

كان عليهم أن يعرضوها من جانب التزام المؤمنين.

فلو قالوا: على المسلمين أن يبذلوا للرسول ﷺ ما هو بحاجة إليه، حتى ولو كانوا هم بحاجة إليه، فذلك من لوازم الحب للرسول ﷺ.

ولو فعلوا ذلك. لكان هو الصواب الذي لا خلاف عليه، فما من مسلم يماري في هذه القضية.

وأخيراً، فإن هذه المسألة مسألة متخيلة، لا صلة لها بالواقع، والأصل في الخصائص أن تكون وقائع قائمة. وأن يكون لها من النصوص ما يثبتها.

وليست المسألة التي بين أيدينا مما يتوفر فيه هذان الشرطان.

قال ابن طولون بعد أن ذكر المسألة والأقوال فيها، وقد شعر بفداحة الخطب:



«والصواب عندي ترك التوسع في مثل ذلك، إذ لا طائل تحته، ولم أجد في الأحاديث النبوية ما يدل على هذه الخصوصية. وقد استدلوا لها بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ والاستدلال بذلك ليس صريحاً لكنه على وجه اللزوم... قال ابن عطية: هو أولى بهم من أنفسهم لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك وهو يدعوهم إلى النجاة..»[1].

٢ ـ إذا رغب ﷺ في نكاح امرأة

جاء في كتاب روضة الطالبين:

ومن الخصائص: «أنه ﷺ لو رغب في نكاح امرأة، فإن كانت خلية[2] لزمها الإجابة على الصحيح، ويحرم على غيره خطبتها.

وإن كانت مزوجة، وجب على زوجها طلاقها لينكحها على الصحيح»[3].

وكذا جاء في كتب الخصائص[4].

واكتفى صاحب مطالب أولي النهى بذكر المسألة الأولى، ولم يذكر المسألة الثانية[5].

وهذه الخصوصية تشتمل على مسألتين:

ـ رغبة النبي ﷺ في امرأة غير متزوجة.

---

(١) مرشد المحتار ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.
(٢) الخلية: التي لا زوج لها، سواء سبق لها زواج أم لا.
(٣) روضة الطالبين ٧/٩.
(٤) انظر: (غاية السول ص ١٩٦)، و(مرشد المحتار ص ٢٨٢)، و (المواهب اللدنية ٢/٦١٧)، و(اللفظ المكرم ١/٤٦٨).
(٥) مطالب أولي النهى ٥/٣٥.

ـ ورغبته في امرأة متزوجة.

وقد استدلوا للمسألة الأولى: بأن على المرأة الخلية الإجابة، لأنها إذا خالفت أمره كانت عاصية، وإن خالفت رغبته كانت غير راضية بقوله وفعله، وذلك عصيان عظيم يؤدي إلى الكفر، فتلزمها الإجابة وتخيَّر.

واستدل لذلك الماوردي بعموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1][2].

وقبل المضي في سياق أدلة المسألة الثانية فإني أتوقف للنظر في أدلة المسألة الأولى.

إن سيرته ﷺ في أمر زواجه تخالف هذا الاستدلال.

فإن أم سلمة رضي الله عنها اعتذرت حين خطبها ثم رضيت بعد ذلك.

وقد استشار جويرية بنت الحارث حينما جاءت تطلب مساعدته. فقال: (فهل لك في خير من ذلك).. فاستشارها في زواجه منها[3].

وخطب النبي ﷺ ابنة عمه أم هانئ بنت أبي طالب، فاعتذرت بأنها ذات أولاد، ولم تقبل[4].

ثم إن الله سبحانه وتعالى أمر الرسول ﷺ أن يخير نساءه، ليكون استمرارهن معه عن رضى منهن، فرضى من رغب بها ابتداء أولى.

ثم إن أحاديثه الكثيرة التي تبين للناس شرعهم المطهر، تأمرهم

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٤).
(٢) مرشد المحتار ص ٢٨٢.
(٣) أخرجه أبو داود برقم (٣٩٣١).
(٤) الإصابة لابن حجر ٤/ ٢٨٧.

بأخذ موافقة الزوجات قبل العقد. ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: (لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن)[1].

ثم إن الذين وضعوا هذه المسألة المفترضة المتخيلة، والتي ألزموا فيها المرأة بالموافقة، رجعوا فقالوا: تلزمها الإجابة وتخير.

فأقول: لو خيرت فاختارت عدم الزواج لعذر ما، هل تكون عاصية؟ وإذا كانت باختيارها ستكون عاصية، فما فائدة التخيير، إذا كانت برفضها على كلتا الحالتين، ستكون عاصية.

إنه منطق عجيب في عالم الاحتمالات، منقطع عن الواقع.

وأما الآية الكريمة، فهي نص عام جاء بشأن القتال، قال المفسرون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي الجهاد والقتال.

ثم إن المسألة قائمة على دعوى الخصوصية، فأين الدليل على ذلك؟!.

❁ ❁ ❁

وننتقل إلى المسألة الثانية.

قال الغزالي: قالوا: إذا وقع بصره ﷺ على امرأة فوقعت منه موقعاً، وجب على الزوج تطليقها. لقصة زيد.

قال: ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان إيمانه، بتكليف النزول عن أهله، ومن جانب النبي ﷺ ابتلاؤه بالبلية البشرية، ومنعه من خائنة الأعين، وعن الإضمار الذي يخالف الإظهار، ولا شيء أدعى إلى غض البصر من هذا التكليف[2].

---

(١) متفق عليه (خ ٥١٣٦، م١٤١٩).

(٢) غاية السول ص ١٩٧، ومرشد المحتار ص ٢٨٤.



وإن المسلم ليقف أمام هذه المسألة التي دونها الفقهاء في كتبهم، وأصّلوها، وفتشوا لها عن الأدلة، فأتعبوا بها أنفسهم وأساؤوا.

تخيل معي أن امرأة ذات زوج وأولاد، مرت من أمام النبي ﷺ، فأعجبته ووقعت من قلبه، فإن على الزوج المسكين وبكامل الرضى أن يطلق زوجته ويهدم أسرته، ليتزوج الرسول ﷺ هذه المرأة.

كذا قالوا - والله - في هذه المسألة؟!!.

ولو حذف شخص الرسول ﷺ من هذه المسألة، ثم رويت عن أي شخص كان، لوصف هذا الشخص بأشنع الأوصاف.

وما ندري كيف أسفّ فكر هؤلاء الفقهاء الكبار - رحمهم الله - في هذه المسألة، فجاؤوا فيها بأمر عجاب، بل وجعل بعضهم يؤيدها بأدلة باطلة في جدل فقهي عقيم، ونسي بعضهم أنها مسألة تتعلق بالرسول ﷺ.

نقل الإمام الغزالي عن فقهاء الشافعية أنهم استشهدوا لهذه المسألة بقصة زيد!!.

وما ندري ما علاقة قصة زيد بهذه المسألة؟.

اللهم إلا إذا كان مرادهم القصة المكذوبة الملفقة الباطلة التي ترويها بعض كتب السيرة وبعض كتب التفسير. والتي ملخصها:

أن الرسول ﷺ رأى زينب بنت جحش، زوجة زيد بن حارثة، فأحبها ووقعت في قلبه، فقال: سبحان مقلب القلوب، فسمعتها زينب، فأخبرت بها زيداً، فأراد أن يطلقها فقال له الرسول ﷺ: (أمسك عليك زوجك)، حتى نزل القرآن يعاتبه على إخفائه.

ربما كان استدلال الفقهاء الذين أشار إليهم الغزالي بهذه القصة. وهي قصة باطلة.



ولا بد أن نبين قصة زيد التي أشار إليها الغزالي باختصار شديد، حتى يظهر زيف ما استدلوا به:

كان ذلك في العام الخامس من الهجرة وقبل أن يفرض الحجاب، حين خطب رسول الله ﷺ زينب ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب لفتاه زيد بن حارثة، فترفعت عليه لشرف نسبها وجمالها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] فقالت: إذن لا أعصي الله ورسوله، وتم الزواج.

واستمرت الزوجية أكثر من عام، وكانت زينب فيها حدة، فكان زيد يشكو ذلك إلى رسول الله ﷺ رغبة في الطلاق، فيقول له ﷺ: (أمسك عليك زوجك).

وحدث أن أعلم الله نبيه ﷺ بأن زينب ستكون من أزواجه، وكان ذلك قبل استشارة زيد النبي ﷺ بالطلاق.

ووقع الطلاق، وانتهت مدة العدة، وطلب النبي ﷺ من زيد أن يذهب إلى زينب ويخطبها له.. فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي عزّ وجلّ ثم قامت إلى مسجدها، ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن.

أما القرآن الذي نزل فهو قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٣٧).





ومعنى ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ هو ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته.

ومعنى ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ تخشى أن يقول الناس تزوج محمد حليلة ابنه.

والتعليل القرآني لهذا الحدث واضح كل الوضوح في قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

تلك هي قصة زيد باختصار شديد[١].

فأين الدليل فيها على المسألة محل البحث، إنه لا دليل، فزيد لم يطلق زينب لأجل رؤية الرسول ﷺ لها، وإنما لعدم إمكان استمرار العيش بينهما لتعالي زينب على زيد.

أما قولهم إنه ﷺ رآها فوقعت في قلبه، فهو كلام باطل، لأن الرسول ﷺ كان يراها قبل أن يزوجها لزيد، فلم يكن الحجاب مفروضاً يومئذٍ، وإنما فرض الحجاب ليلة زواج الرسول ﷺ من زينب. وهذا يبطل القصة المزعومة من أصلها.

والقصة ـ محل البحث ـ مما اختلف فيه فقهاء الشافعية ولكن معظمهم على إقرارها، ولذا أوردها الإمام النووي مقرراً إياها دون أي تعقيب عليها، كما ذكرتُ في أول المسألة.

وقد أبطل بعض الفقهاء هذه المسألة ـ مسألة أنه إذا رأى رسول الله امرأة متزوجة وأعجبته كان على زوجها أن يطلقها ـ ونفوها نفياً شديداً.

قال الإمام السبكي: «ولم يكن ﷺ تعجبه امرأة أحد من الناس،

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب «من معين السيرة» للمؤلف ص ٣٠٣ ـ ٣١١.



وقصة زينب إنما جعلها الله تعالى ـ كما في سورة الأحزاب ـ قطعاً لقول الناس: إن زيداً ابن محمد، وإبطالاً للتبني، قال: وبالجملة فهذا الموضع من منكرات كلامهم في الخصائص، وقد بالغوا في هذا الباب في مواضع، واقتحموا فيها عظائم، لقد كانوا في غنية عنها»[١].

والرسول ﷺ أعظم من أن تخطر هذه المسألة على باله، فضلاً عن أن ينفذها في الواقع، فهو صاحب الخلق العظيم.

وكم كنت أود أن لا أذكر مسائل هذا الفصل، حتى لا أقع في الخطأ الذي وقع فيه مخترعو هذه المسائل من نسبة ما لا ينبغي للرسول ﷺ، ولكن الذي دفعني إلى ذكرها هو تناقلها في كتب الفقه وكتب الخصائص، وكثيراً ما يكون ذكرها في هذه الكتب على أنها مسلمة. فكان لا بد من ذكرها لبيان بطلانها، والترفّع بالرسول الكريم ﷺ عما نسب إليه من باطل.

٣ ـ جواز لعن من شاء بغير سبب

قال ابن القاص: واختص ﷺ بأنه يباح له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه[٢].

أقول: تصور معي هذه المسألة قبل الحديث عن الدليل وعن التعليل.

إنسان يلعن إنساناً أو شيئاً لغير سبب يقتضي ذلك.

إن هذه الصورة لو نقلت عن أي إنسان لعدَّه الناس أسوأ الناس!

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥/ ٢٣٥.

(٢) غاية السول ص ١٨٣، وتهذيب الخصائص الكبرى ص ٤١٧، ومرشد المحتار ص ٢٤٨.

فكيف تلصق هذه الصورة بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وهو الذي جاء وصفه في الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: لم يكن النبي ﷺ سبَّاباً ولا فحاشاً ولا لعاناً[1]. وأنس أقرب الناس إليه!!.

وهو الذي جاءت أحاديثه ﷺ الكثيرة في النهي عن اللعن والشتم ومنها:

(إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة)[2].

(لا ينبغي لصديق أن يكون لعَّاناً)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ادع على المشركين، فقال: (إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة)[4].

هذه هي الصورة المنقولة لنا في الصحيح عن رسول الله ﷺ فكيف أمكن جعل اللعن ولغير سبب من خصوصياته؟.

إنه الأمر العجيب. ولذا استبعده العلماء.

ونعود لنفتش عن الدليل والتعليل لهذا القول، فلا نجد إلا استدلالاً واحداً قال: لأن لعنته رحمة.

ونحن بحاجة في هذه المسألة إلى إيضاح أمرين:

الأمر الأول: إن الرسول ﷺ بشر يغضب ويرضى وقد يصدر السب والشتم منه في حالة الغضب، كما يحدث لكل الناس.

وقد جاء ذلك صريحاً عنه ﷺ فيما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٣١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٨).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٧).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٩).

(اللهم! إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته أو سببته، أو جلدته، فاجعلها له كفارة، وقربة، تقربه بها إليك يوم القيامة)(١).

فالحديث الشريف يبين بصراحة ووضوح أن السب يمكن أن يحدث، ولكن ذلك إنما يكون في حالة الغضب. والغضب انفعال نفسي لا يحدث بغير سبب. وإنما يكون بعد أسباب تستدعي وجوده.

ولكن المسألة هنا تجعل اللعن مباحاً له لمن شاء ومن غير سبب يقتضيه!!.

الفارق كبير كبير بين الصورة التي جاءت بها المسألة، وبين الصورة المعروضة في الحديث.

ولذا لا يمكن أن يكون ما جاء في الحديث دليلاً لما جاء في المسألة.

الأمر الثاني: أن الحديث السابق يحدد أن سبه يكون رحمة للمؤمنين، وإلا فإنه ﷺ دعا على الكفار والمنافقين، ولم يكن دعاؤه رحمة لهم.

فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان يقنت في الركعة الأخرى من صلاة الظهر، وصلاة العشاء، وصلاة الصبح بعدما يقول: سمع الله لمن حمده فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار(٢).

بهذا يتضح الأمر، بأن المسألة محل البحث لا صلة لها برسول الله ﷺ، وفيها تشويه لأخلاقه الكريمة، بل إنها غير مقبولة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٠١).

(٢) متفق عليه (خ ٧٩٧، م ٦٧٦).

لأي إنسان، لأنها تصوير لإنسان غير سوي في فطرته منحرف في سلوكه وأخلاقه.

وأخيراً: فأين دليل الخصوصية لهذه المسألة؟!.

٤ ـ جواز القتل بعد الأمان

قال ابن القاص في التلخيص: واختص ﷺ بإباحة القتل له بعد الأمان[١].

وقد خطأه العلماء في ذلك.

واستدل بعضهم لهذا القول بقتل ابن خطل متعلقاً بأستار الكعبة بعد إعلانه ﷺ أنه من دخل المسجد فهو آمن.

وهذا الاستدلال غير صحيح، فإن النبي ﷺ عندما أعلن الأمان استثنى نفراً من الرجال وامرأتين وقال: (اقتلوهم). وأهدر دمهم، منهم: عبد الله بن خطل الذي قتل متعلقاً بأستار الكعبة[٢].

وقال جمهور العلماء في الرد على ابن القاص: من يحرم عليه خائنة الأعين كيف يجوز له قتل من أمنه؟.

والحقيقة أن الأمر أكبر من قضية رد قول ابن القاص. وهو هذه الجرأة على القول بأمور تعارض منهج الإسلام العام من جانب، وتخدش في أخلاق الرسول الكريم ﷺ من جانب آخر.

ومثل هذه الأمور ينبغي التثبت منها والتروي قبل القول بها، والنظر في آثارها.

---

(١) غاية السول ص ١٨٧، ومرشد المحتار ص ٢٤٨، والمواهب اللدنية ٢/ ٦٢٥.

(٢) انظر تفصيل ذلك في «فتح الباري» ٤/ ٥٩ ـ ٦١.

إن هذه المسألة تحمل في طياتها نسبة أسوأ خلق إلى الرسول ﷺ ألا وهو الغدر، فكيف يتجرأ فقيه على الإقدام على مثل هذا الأمر؟!.

والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن بعضهم كان حريصاً على زيادة عدد الخصائص، ويعدّ ذلك من الفضائل، فكلما زاد عدد الخصائص زادت فضائل الرسول ﷺ، ولذا كانوا يسارعون بالقول بالخصوصية لأدنى شبهة دون التريث للوقوف على دليل صحيح.



الفصل السادس
خلاصة خصائص الأحكام

كان لا بد من اتباع الطريقة المدرسية في ذكر هذا الفصل، الذي نلخص فيه ما سبق ذكره في هذا الباب، وذلك حتى يستقر في الفكر ما هو الحق، ويسدل الستار على غيره.

فقد رأينا في الفصول السابقة تلك الكثرة في عدد خصائص الأحكام، وتبين لنا بعد عرض الأدلة أن الخصائص الحقة في هذا الميدان هي خمس عشرة خصوصية ورد ذكرها في الفصلين الأول والثاني، ويحسن بنا أن نذكّر بها مرة أخرى حتى تستقر في الذهن، وهي:

١ ـ تحريم الصدقات عليه ﷺ.

٢ ـ وجوب تخيير نسائه تنفيذاً للآية الكريمة.

٣ ـ إباحة النكاح له ﷺ بالهبة، ولم يحصل ذلك.

٤ ـ حل المرأة بتزويج الله تعالى له.

٥ ـ إباحة النكاح له بغير ولي ولا شهود.

٦ ـ إباحة القتل في الحرم ساعة من نهار.

٧ ـ إباحة وصال الصوم.

٨ ـ صلاة ركعتين بعد العصر.

٩ ـ إباحة ترك القسم بين زوجاته ﷺ ولم يفعل ذلك.

١٠ ـ له أن يأمر بالقتل، ولم يفعل ذلك.

١١ ـ إباحة ما زاد على أربع زوجات.

١٢ ـ أنه ﷺ لا يورث.

١٣ ـ خائنة الأعين لا تكون للأنبياء.

١٤ ـ تنام عينه ﷺ ولا ينام قلبه.

١٥ ـ لا ينزع لأمته حتى يحارب[(١)].

وما عدا ذلك فهي إما خصائص لم يقم الدليل عليها، أو أنها مسائل ليست من الخصائص أصلًا، أو تفريعات فقهية متكلفة تجاوزت طريقة الفقه الإسلامي في الوقوف عند الوقائع. وعدم الجري وراء الخيالات والأوهام. ولا حول ولا قوة إلا بالله.



---

(١) يضاف إلى ذلك بعض خصائص الفضائل التي تعد أيضاً من خصائص الأحكام، كحل الغنائم مما سيأتي ذكره.







الباب الثاني

خصائص الفضائل





شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الطهري
NEW & EXCLUSIVE

تمهيد

لا بد لي من كلمة موجزة بين يدي هذا الباب، أتحدث فيها عن بشرية الرسول ﷺ إذ ذهبت كثير من كتب الخصائص ـ عندما تحدثت عن خصائص فضائله ـ تثبت له من الفضائل ما يخرج به عن كونه بشراً. وفي هذا ما فيه من الخروج على ما جاء في القرآن الكريم من إثبات ذلك.

وقد تنبه إلى خطر هذا الأمر علماء هذه الأمة، فذهبوا يؤكدون ذلك وينفون ما يعارضه.

وقد عقد الإمام القاضي عياض فصلاً في كتابه «الشفا» لهذا الغرض نذكر بعضاً مما جاء فيه. قال:

«قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِۗ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾[(٣)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٤).

(٢) سورة الفرقان، الآية (٢٠).

(٣) سورة الكهف، الآية (١١٠).

فمحمد وسائر الأنبياء من البشر، أرسلوا إلى البشر، ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم[١] والقبول عنهم ومخاطبتهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[٢] أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنهم مخالطتهم، إذ لا يملكون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته.

فالأنبياء والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه، يبلغونهم أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده.. فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر، طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام، والموت، ونعوت الإنسانية. وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر.

ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة، وبخلاف صفات البشر، لما أطاق البشر مخالطتهم»[٣].

وقال ابن تيمية:

«والنبي ﷺ خُلِقَ مما يخلق منه البشر، ولم يخلق أحد من البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)[٤].

وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط، بل قد يُخلق المؤمن من كافر، والكافر من مؤمن، كابن نوح منه، وكإبراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين، فلما سواه،

---

(١) مقاومتهم: أي مقابلتهم في الأمور الدنيوية.

(٢) سورة الأنعام، الآية (٩).

(٣) مقدمة القسم الثالث من الكتاب.

(٤) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها برقم (٢٩٩٦).

ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة وفضله عليهم بتعليمه أسماء كل شيء، وبأن خلقه بيده، وبغير ذلك»[1].

وهذا رد من ابن تيمية على من زعم أنه ﷺ خلق من نور، أو أنه صار نوراً.

إن نفي صفة البشرية عنه ﷺ، إنما هي نفي لصفته الأساسية، وعندما لا يكون الرسول بشراً، فإن كل فضائله تنتفي مع ذهاب بشريته.

نكتفي بهذا التنويه قبل البدء بالحديث عن فضائله ﷺ.



---

(١) فتاوى ابن تيمية ١١/ ٩٤.

الفصل الأول
فيما اختص به ﷺ في الدنيا

١ ـ أنه ﷺ خاتم النبيين

اختص ﷺ بأنه خاتم[1] النبيين، والأدلة على ذلك كثيرة:

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2].

قال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: «فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة» انتهى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن

---

(١) يقال: خاتم، بفتح التاء وكسرها، وقد قرئ بهما، والفتح: بمعنى الختام والانتهاء، والمعنى أنه انتهاء النبيين، فهو كالخاتم والطابع الذي يكون عند الانتهاء.
والكسر: بمعنى أنه خاتمهم، يعني جاء آخرهم، فلم يبق بعده نبي، فبه انتهت النبوة والرسالة ﷺ [عن حاشية غاية السول ص ٢٥٦ نقلاً عن الإحياء ٢/ ٢٠٢].

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٤٠).



مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية. فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلاَّ وُضِعَتْ هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)(١).

وأخرج الشيخان عن جابر نحوه(٢).

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيُّون)(٣).

ولا يعترض على ختم النبوة بنزول عيسى(٤) آخر الزمان، فإنه لا يأتي بشريعة، ولكنه يعمل بشريعة نبينا محمد ﷺ.

وقد وردت أحاديث كثيرة بذكر خاتم النبوة الذي كان في ظهر رسول الله ﷺ.

فقد أخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال: رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام(٥).

وعن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وَجِع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه، مثل زر الحجلة(٦).

---

(١) متفق عليه (خ ٣٥٣٥، م ٢٢٨٦).
(٢) متفق عليه (خ ٣٥٣٤، م ٢٢٨٧).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣).
(٤) نزول عيسى عليه السلام ثابت بأحاديث كثيرة منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) متفق عليه (خ ٢٢٢٢، م ١٥٥).
(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤٤).
(٦) متفق عليه (خ ١٩٠، م ٢٣٤٥) والحجلة: بيت كالقبة له أزرار كبار وعرى.



٢ ـ عموم رسالته ﷺ

ومن فضائله ﷺ أنه بعث إلى الناس كافة، وقد بعث كل رسول قبله إلى قومه خاصة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة).

ولفظ مسلم: (وبعثت إلى كل أحمر وأسود)[٤].

فهذه النصوص وغيرها كثير تثبت عموم رسالته، وانفراده ﷺ بهذه الفضيلة.

قال ابن كثير عند تفسير آية سورة سبأ:

«عن عكرمة قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء.

---

(١) سورة سبأ، الآية (٢٨).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٣) سورة الفرقان، الآية (١).

(٤) متفق عليه (خ ٣٣٥، م ٥٢١).

قالوا: يا ابن عباس، فيمَ فضله الله على الأنبياء؟.

قال: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١) وقال للنبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾(٢) فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس».

وإذا كانت الأدلة واضحة في عموم رسالته إلى الناس كل الناس على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأقوامهم وجنسياتهم. فما الدليل على أن رسالته ﷺ كانت إلى الجن أيضاً؟.

والجواب:

إن الجن مكلفون بدليل الآيات الكثيرة ومنها قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣).

وقال تعالى:

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾(٤).

وإذا كانوا مكلفين فقد ثبت في القرآن الكريم استماعهم للرسول ﷺ وإيمانهم به. قال تعالى:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٤).
(٢) سورة سبأ، الآية (٢٨).
(٣) سورة الذاريات، الآية (٥٦).
(٤) سورة الأنعام، الآية (١٣٠).

﴿... لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾[2].

وبهذه النصوص وغيرها تثبت فضيلة عموم رسالته ﷺ وانفراده بذلك بين الأنبياء والرسل جميعاً.

٣ ـ النصرة بالرعب

ومما اختص به ﷺ من الفضائل: أنه نصر بالرعب مسيرة شهر.

وهو ما يسمى في أيامنا «الحرب النفسية» فقد نصره الله بإلقاء الرعب في قلوب أعدائه لمسافة شهر، أي لمسافة يقطعها المسافر في شهر من الزمن، وهي مسافة بعيدة، وتظهر سعتها إذا علمنا أنها في كل الاتجاهات.

وتساءل العلماء، هل هي له خاصة، أم لأمته من بعده أيضاً؟.

والذي يبدو ـ من خلال دراسة التاريخ ـ أنها كانت لأمته ببركته ﷺ يؤيد هذا خوف أعداء المسلمين من المسلمين في هذه الأيام، علماً بأن المسلمين في كل أنحاء العالم في وضع لا يحسدون عليه، إن لم نقل في وضع يرثى له.

وقد ثبتت هذه الفضيلة في حديث جابر المتقدم في «عموم

---

(١) سورة الأحقاف، الآيات (٢٩ ـ ٣٢).

(٢) سورة الجن، الآيتان (١، ٢).

الرسالة» والذي فيه: (نصرت بالرعب مسيرة شهر)[١].

٤ ـ الأرض مسجد وطهور

ومما اختص به ﷺ أن جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، كما ورد ذلك في حديث أبي هريرة عند مسلم، وحديث جابر عند الشيخين، وقد تقدما قريباً[٢].

ومعنى (وجعلت لي الأرض مسجداً) أي موضع سجود، ولا يختص السجود بموضع دون غيره، والمعنى: جعلت مكاناً للصلاة، وقد أوضح الحديث هذا المعنى بقوله: (فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل) فكل مكان أدركت المسلمَ الصلاةُ فيه فإنه يستطيع أن يصلي فيه.

قال الخطابي: «إن من قبله ـ من الأمم ـ إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع»[٣].

ومعنى (وطهوراً): أي إذا كان مع المسلم الماء الذي يتطهر به فذاك، وإلا فإنه يستطيع أن يتيمم، والتيمم يكون على الأرض. وهكذا أضحت الأرض وسيلة للطهارة.

٥ ـ حل الغنائم

واختص ﷺ أنه أحلت له الغنائم ولم تحل للأنبياء قبله.

جاء في حديث أبي هريرة: (وأحلت لي الغنائم)[٤].

---

(١) تقدم ذلك في حديث أبي هريرة (م ٥٢٣) وجابر (خ ٣٣٥، م ٥٢١).

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) فتح الباري ١/٤٣٧.

(٤) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣).



وجاء في حديث جابر: (وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي)[1].

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبنِ بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر ولادها. فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه.

فجمع الغنائم فجاءت ـ يعني النار ـ لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها.

ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا)[2].

قال الخطابي: كان من تقدم على ضربين: منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم مغانم، ومنهم من أذن له فيه، لكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه، وجاءت نار فأحرقته[3].

وهكذا كان من خصائصه أن أحل الله له ولأمته الغنائم.

٦ ـ جوامع الكلم

ومن خصائصه ﷺ أنه بعث بجوامع الكلم.

---

(١) متفق عليه (خ ٣٣٥، م ٥٢١).
(٢) متفق عليه (خ ٣١٢٤، م ١٧٤٧).
(٣) فتح الباري ١/ ٤٣٨.



أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي) قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها[(١)].

ومعنى (جوامع الكلم): للعلماء فيها قولان:

قال الزهري: معناه: أنه كان ﷺ يتكلم بالقول الموجز، القليل اللفظ، الكثير المعاني.

وقال غيره: المراد بها: القرآن، بقرينة قوله (بعثت) والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني[(٢)].

أقول:

يرجح القول الأول أمران:

الأول: أن للحديث روايات أخرى، ففي رواية للبخاري: (أعطيت مفاتيح الكلم)[(٣)] وفي رواية لمسلم: (أعطيت جوامع الكلم).

الثاني: جاء في حديث أبي موسى الأشعري عند مسلم قال: بعثني رسول الله ﷺ ومعاذاً إلى اليمن فقال: (وادعوَا الناس، وبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا) قال: فقلت: يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن: البتع، وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، والمِزْر، وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد، قال: وكان رسول الله ﷺ قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه[(٤)] فقال: (أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة)[(٥)].

---

(١) متفق عليه (خ ٢٩٧٧، م ٥٢٣).
(٢) فتح الباري ١٣/٢٤٧.
(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٩٩٨).
(٤) بخواتمة: أي كأنه يختم على المعاني الكثيرة التي تضمنها اللفظ اليسير.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة برقم (٧١).



والواضح من الحديث أنا أبا موسى جعل (جوامع الكلم) وصفاً لكلام رسول الله ﷺ، فهو بيان في موضع الخلاف.

وبهذا يكون قول الزهري هو الصواب في هذه المسألة والله أعلم.

٧ ـ مفاتيح خزائن الأرض

ومن خصائصه ﷺ أنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض.

جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الموضوع قبله: (فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي)[١].

وأخرج الشيخان عن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: (إني فرط[٢] لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها)[٣].

وأخرج الإمام أحمد من حديث علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (أعطيت أربعاً لم يعطهن أحد من أنبياء الله؛ أعطيت مفاتيح الأرض..) الحديث[٤].

هذه الأحاديث وغيرها تثبت هذه الخصوصية.

---

(١) متفق عليه (خ ٢٩٧٧، م ٥٢٣).
(٢) فرط: الفرط هو الذي يتقدم الواردين ليصلح الحياض والدلاء.
(٣) متفق عليه (خ ١٣٤٤، م ٢٢٩٦).
(٤) المسند ١/١٥٨، وفتح الباري ١/٤٣٩.



ومعنى (مفاتيح خزائن الأرض): المراد منها ما يفتح لأمته من بعده من الفتوح، وقيل: المعادن[1].

وقال النووي: ما يفتح على المسلمين من الدنيا، وهو يشمل الغنائم والكنوز[2].

٨ ـ إسلام شيطانه

ومما اختص به ﷺ إسلام شيطانه.

أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن) قالوا: وإياك، يا رسول الله؟ قال: (وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخير)[3].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: (ما لك؟ يا عائشة، أغرت؟) فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: (أقد جاءك شيطانك؟) قالت: يا رسول الله، أو معي شيطان؟ قال: (نعم) قلت: ومع كل إنسان؟ قال: (نعم) قلت: ومعك؟ يا رسول الله! قال: (نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم)[4].

---

(١) فتح الباري ٦/١٢٨.

(٢) فتح الباري ١٣/٢٤٨.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٤).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٨١٥).

٩ ـ الشيطان لا يتمثل به

ومن خصائصه ﷺ: أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي).

وفي رواية للبخاري (ومن رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل صورتي)[١].

وأخرج الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (من رآني فقد رأى الحق)[٢].

وعن أبي سعيد الخدري. أنه سمع النبي ﷺ يقول: (من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكونني)[٣].

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: معناه أن رؤياه صحيحة، ليست بأضغاث[٤].

قال ابن الملقن: «قال بعض العلماء: خص ﷺ بأن رؤيته في المنام صحيحة، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلا يكذب على لسانه في النوم، كما منع أن يتصور في صورته في اليقظة إكراماً له.

إذا تقرر ذلك، فما سمعه الرائي في المنام مما تتعلق به الأحكام، لا يعمل به لعدم ضبط الرائي، لا للشك في الرؤيا، فإن

---

(١) متفق عليه (خ ٦٩٩٣، م ٢٢٦٦) و(خ ٦١٩٧).
(٢) متفق عليه (خ ٦٩٩٦، م ٢٢٦٧).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٩٩٧).
(٤) غاية السول ص ٢٩١.

الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف، والنائم بخلافه»[1].

قال: «ونقل النووي أيضاً في شرح مسلم - في باب بيان أن الإسناد من الدين - عن أصحابنا وغيرهم، أنهم نقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع، ثم قال: وهذا في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به لولاه، وأما إذا رآه وأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه، لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام، بل بما تقرر في أصل ذلك الشيء»[2].

١٠ - مغفرة ذنوبه ﷺ

من خصائص التكريم: أن الله سبحانه غفر له ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[3].

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (فضلت على

---

(١) غاية السول ص ٢٩١، وروضة الطالبين ١٦/٧.

(٢) غاية السول ص ٢٩٢.

(٣) سورة الفتح، الآيتان (١، ٢).

(٤) متفق عليه (خ ٤٨٣٧، م ٢٨٢٠).

الأنبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلي: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، وجعلت أمتي خير الأمم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الكوثر، ونصرت بالرعب، والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه)[١].

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: «من خصائصه ﷺ أنه أخبره الله تعالى بالمغفرة، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، ويدل له قولهم في الموقف: نفسي نفسي»[٢].

وقال ابن كثير في تفسيره عند تفسير آية الفتح:

«هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة، التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة».

١١ - رؤيته ﷺ من خلفه في الصلاة

ومن خصائصه ﷺ أنه يرى من خلفه من المصلين في الصلاة.

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (أقيموا الصفوف، فإني أراكم خلف ظهري)[٣].

وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن

---

(١) مجمع الزوائد برقم (١٤٠٠٥) وقال الهيثمي: رواه البزار وإسناده حسن.
(٢) المواهب اللدنية للقسطلاني ٢/٦٥٥.
(٣) متفق عليه (خ ٧١٨، م ٤٣٤).



رسول الله ﷺ قال: (هل ترون قبلتي ها هنا، فوالله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم، إني لأراكم من وراء ظهري)[1].

ذهب العلماء إلى حمل الأحاديث على ظاهرها.

قال ابن حجر: والصواب المختار أنه محمول على ظاهره، وأن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة. وعلى هذا عمل المصنف ـ البخاري ـ فأخرج هذا الحديث في علامات النبوة، وكذا نقل عن الإمام أحمد وغيره[2].

ونحو ذلك قال الزين بن المنير: لا حاجة إلى تأويلها، لأنه في معنى تعطيل لفظ الشارع من غير ضرورة.

وقال القرطبي: بل حملها على ظاهرها أولى، لأن فيه زيادة في كرامة النبي ﷺ[3].

ومن المعلوم أن هذا الأمر مقيد بالصلاة كما هو واضح من نص الحديثين، ولم يرد في السنة ما يشير إلى أنه ﷺ كان كذلك خارج الصلاة. قال ابن حجر: وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة[4].

---

(١) متفق عليه (خ ٤١٨، م ٤٢٤).
(٢) فتح الباري ١/ ٥١٤.
(٣) فتح الباري ٢/ ٢٠٧.
(٤) فتح الباري ١/ ٥١٥. أقول: وما يؤكد أن ذلك في الصلاة، ما حدث في غزوة تبوك عندما ضلت ناقة رسول الله ﷺ ببعض الطريق، فخرج أصحابه في طلبها، فقال رجل من المنافقين: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: (إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي..، (سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٣).
وهذا يدل على أن تلك القضية في الصلاة فقط، وإلا لأمكن الاستفادة من ذلك خارج الصلاة، ولم تَضِعَ الناقة.



١٢ ـ صلاته قاعداً كالقيام

قال الإمام النووي: وتطوعه ﷺ بالصلاة قاعداً كتطوعه قائماً وإن لم يكن عذر، وفي حق غيره ثواب القاعد النصف[(١)].

واستدل لذلك بحديث عبد الله بن عمرو قال: حُدِّثت أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة) قال: فأتيته فوجدته يصلي جالساً، فوضعت يدي على رأسه، فقال: مالك يا عبد الله بن عمرو؟ قلت: حدثت يا رسول الله أنك قلت: (صلاة الرجل قاعداً على نصف الصلاة) وأنت تصلي قاعداً؟ قال: (أجل، ولكني لست كأحد منكم)[(٢)].

قال ابن حجر: وقد عدَّ الشافعية في خصائصه ﷺ هذه المسألة. وقال عياض في الكلام على تنفله ﷺ قاعداً: قد علله في حديث عبد الله بن عمرو بقوله: (لست كأحد منكم) فيكون هذا مما خص به[(٣)].

١٣ ـ خطابه وتلبية دعائه ﷺ في الصلاة

قال الإمام النووي:

«ويخاطبه المصلي بقوله: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله، ولا يخاطب سائر الناس.

ويجب على المصلي إذا دعاه ﷺ أن يجيبه، ولا تبطل صلاته»[(٤)].

---

(١) روضة الطالبين ٧/ ١٣.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٣٥).
(٣) فتح الباري ٢/ ٥٨٦.
(٤) روضة الطالبين ٧/ ١٤.

أما خطابه في الصلاة، فهو معلوم بالضرورة في كل أحاديث التشهد، عن ابن مسعود، وابن عباس، وعمر، وغيرهم.

وهو أن المصلي يقول في تشهده مخاطباً الرسول ﷺ: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته).

وأما وجوب تلبية دعائه من المسلمين، حتى ولو كانوا في الصلاة، فهي خصوصية ثابتة في الصحيح.

فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه. فقلت: يارسول الله، إني كنت أصلي، فقال: (ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾[1]) ثم قال لي: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد) ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: (لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟) قال: (﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)[2].

١٤ ـ الأدب في خطابه ﷺ

ومن خصائص التكريم له ﷺ التوقير له والأدب في محادثته.

وقد ذكرت هذه الخاصية معظم كتب الفضائل[3].

قال صاحب روضة الطالبين: «ولا يجوز لأحد رفع صوته فوق صوته، ولا أن يناديه من وراء الحجرات، ولا أن يناديه باسمه فيقول: يا محمد، بل يقول: يا رسول الله، يا نبي الله»[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٢٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٤).

(٣) انظر غاية السول ص ٢٧٣، والخصائص الكبرى ٢/ ٤٤٤، والمواهب اللدنية ٢/ ٦٥١.

(٤) روضة الطالبين ٧/ ١٤ وسنتكلم عليه مطولاً في الفصل الخامس من الباب الثالث.

١٥ ـ رفع ذكره ﷺ

ومن خصائص تكريمه ﷺ رفع ذكره ونشره.

قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[(١)].

قال مجاهد: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ لا أذكر إلا ذكرت معي، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله[(٢)].

والواقع أن هذا أمر مشاهد، فذكره يرفع في كل أذان وكل إقامة وفي كل صلاة: في التشهد والصلوات الإبراهيمية، وفي خطب الجمعة والأعياد.. وهو جزء من شهادة التوحيد.

ومن ذكره: أن آيات كثيرة قرنت بين اسمه ﷺ مع اسمه سبحانه وتعالى، كما جاء ذلك في كلمة التوحيد، ومن ذلك:

ـ قال تعالى في أمر الطاعة: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[(٣)].

ـ وقال تعالى في أمر المحبة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[(٤)].

ـ وقال تعالى في المعصية: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[(٥)].

ـ وقال تعالى في العزة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾[(٦)].

---

(١) سورة الانشراح، الآية (٤).
(٢) تفسير ابن كثير عند الآية الكريمة.
(٣) سورة النساء، الآية (٥٩) والمائدة (٩٢) والنور (٥٤) ومحمد (٣٣) والتغابن (١٢).
(٤) سورة آل عمران، الآية (٣١).
(٥) سورة النساء، الآية (١٤) والأحزاب (٣٦) والجن (٢٣).
(٦) سورة المنافقون، الآية (٨).

ـ وقال تعالى في الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[1].

ـ وقال تعالى في الإجابة: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[2].

ـ وقال تعالى في الرضى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[3].

إن ذكر الرسول ﷺ قائم في حياة المسلم في كل لحظة من اللحظات، ذلك أنه في طريقة طعامه وشرابه، ودخول المسجد والخروج منه، ودخول بيته والخروج منه وغير ذلك.. إنما هو متأسٍ به ﷺ فهو على ذكر دائم. وليس هذا لنبي غيره.

١٦ ـ صلاة الله تعالى عليه ﷺ

ومن خواص التكريم صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته عليه ﷺ.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[4].

قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة. وصلاة الملائكة الدعاء.

وعن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار.

والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده

---

(١) سورة المائدة، الآية (٥٥).
(٢) سورة الأنفال، الآية (٢٤).
(٣) سورة التوبة، الآية (٦٢).
(٤) سورة الأحزاب، الآية (٥٦).

بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعاً[1].

وجاء في تفسير الظلال:

«يا لها من مرتبة سنية، حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه، ويشرق به الكون كله، وتتجاوب به أرجاؤه. ويثبت في كيان الوجود ذلك الثناء الأزلي القديم الأبدي الباقي، وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم.

وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلي وتسليمه، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم!! إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم إلى تسليمه، وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم الأزلي القديم».

وإذا كان الأمر كذلك، فمن واجب المسلم أن يسارع إلى تلبية النداء الإلهي في هذه الآية الكريمة فيكثر من الصلاة على النبي ﷺ. وهو بذلك يمتثل الأمر الكريم، ويشارك الملأ الأعلى في صلاتهم هذه.

ومن فعل ذلك فله الأجر المضاعف عند الله سبحانه. فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشراً)[2].

وهذا الأجر على ذلك من جملة تكريم الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ.

---

(١) تفسير ابن كثير عند الآية الكريمة.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

١٧ ـ وجوب محبته ﷺ على أمته

ومن خصائص تكريمه ﷺ وجوب محبته على أمته[(١)].

إن محبته ﷺ فرض في هذا الدين العظيم، ذلك أنه سبحانه وتعالى أراد أن تكون العلاقة بين هذه الأمة وبين نبيها قائمة على الحب، حب التوقير والاحترام، وهذا ما يجعلهم يتأسون به بعامل هذا الحب لا بعامل الإلزام، فيكون اتباعهم له عن رغبة وشوق[(٢)].

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة تشرح هذا الأمر وتبينه، نقتصر منها على:

أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[(٣)].

وأخرج البخاري والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)[(٤)].

وأخرج البخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر: فإنه الآن ـ والله ـ لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر)[(٥)].

---

(١) غاية السول ص ١٧٦، وتهذيب الخصائص الكبرى ص ٤٣١.
(٢) انظر هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب «من معين الشمائل» للمؤلف ص ٤٨٤ ـ ٤٩٧.
(٣) متفق عليه (خ ١٥، م ٤٤).
(٤) أخرجه البخاري برقم (١٤) والنسائي برقم (٥٠٣٠).
(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٦٣٢).

إنها لدلالة واضحة على تكريم هذا النبي أن تكون صلة أمته به عن طريق الحب.

وإنها لدرجة عظيمة تمنح لهذه الأمة فيقال لها: (أنت مع من أحببت)[1] وما ذلك إلا الفضل من الله تعالى.

١٨ ـ أخذ الميثاق على الأنبياء

جاء في كتب السيرة والخصائص: ومن خصائصه: أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به وينصروه[2].

وقد استدلوا بقوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3].

قال الحافظ ابن كثير:

«يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أي مبلغ، ثم جاء رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته.

ومعنى ﴿إِصْرِى﴾: عهدي.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس (خ ٣٦٨٨، م ٢٦٣٩) وأبي موسى (خ ٦١٧٠، م ٢٦٤١).

(٢) انظر المواهب اللدنية ١/٦٦، ومرشد المحتار ص ٣٨٥، والخصائص الكبرى ١/٨.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان (٨١ ـ ٨٢).

قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

وقال طاوس والحسن البصري وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً.

وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس، ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه» اهـ ابن كثير.

ويفهم من كلام ابن كثير في مقدمة شرحه للآية تقديم قول طاوس والحسن وقتادة: وهو أن على كل نبي أن يصدق الذي يأتي بعده ويناصره.

ولكن هذا الرأي لا يتعارض مع رأي علي وابن عباس رضي الله عنهما بل يصب في خاتمة المطاف فيه.

فالأنبياء يصدق بعضهم بعضاً.. والمؤمنون يؤمنون بهم جميعاً، وفي هذا المنهج تبدو عظمة الإسلام وامتداده في الماضي والمستقبل.

١٩ ـ أنه ﷺ يبلغه سلام الناس

ومن خصائص فضائله ﷺ: أنه يبلغه سلام الناس عليه بعد موته[١].

ومن أدلة ذلك:

١ ـ ما أخرجه أبو داود: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن

---

(١) غاية السول ص ٢٩٦، والمواهب اللدنية ٢/ ٦٩٧ وغيرهما.



رسول الله ﷺ قال: (ما من أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليّ روحي، حتى أرد عليه السلام)[1].

قال ابن كثير في تفسيره: تفرَّد به أبو داود وصححه النووي في الأذكار[2].

٢ ـ ما أخرجه أبو داود: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)[3].

قال ابن كثير في تفسيره: تفرَّد به أبو داود أيضاً ـ وقد رواه الإمام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع، وهو الصائغ، به ـ وصححه النووي أيضاً[4].

٣ ـ وأخرج الإمام أحمد والنسائي والدارمي والحاكم ـ وصححه ـ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني من أمتي السلام)[5].

هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها تثبت هذه الخصوصية له ﷺ.

٢٠ ـ خصائص من الفضل لأزواجه ﷺ

ذكر الفقهاء لأزواج النبي ﷺ عدداً من الخصائص التي أكرمهن الله بها باعتبارهن أزواج النبي ﷺ. ولذا فهي بهذا المعنى من خصائص التوقير والاحترام له. ونذكر منها.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٢٠٤١) وقال الألباني: حسن.
(٢) ذكر ذلك ابن كثير عند تفسير الآية (٥٦) من سورة الأحزاب ٣/ ٥١٤.
(٣) أخرجه أبو داود برقم (٢٠٤٢) وقال الألباني: صحيح.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٥١٥.
(٥) هو عند النسائي برقم (١٢٨١) والدارمي (٢٧٧٤) وقال الألباني: صحيح.





١ ـ أنهن أمهات المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾[١].

قال ابن كثير: أي في الحرمة والاحترام، والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع.

وهن أمهات المؤمنين من الرجال دون النساء.

وأخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها: أن امرأة قالت لها: يا أمه، فقالت: أنا أم رجالكم، لست بأمك[٢].

وفي هذا ما يدل على أن أمومتهن لا تتعدى إلى غيرهن أيضاً وقوفاً عند النص. فلا بناتهن أخوات للمؤمنين، ولا إخوتهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم، فلا يقال معاوية خال المؤمنين.

فالنص يثبت خصوصية لأزواج النبي ﷺ بإطلاق لفظ الأمهات عليهن فلا يتجاوزهن ذلك إلى غيرهن.

٢ ـ تفضيلهن على سائر النساء باستثناء فاطمة رضي الله عنها.

٣ ـ جعل ثوابهن وعقابهن مضاعفاً.

قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[٣].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦)

(٢) سنن البيهقي. كتاب النكاح. باب ما خص به من أن أزواجه أمهات المؤمنين ٧/ ٧٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان (٣٠ ـ ٣١).



قال الشافعي: قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾[1] فأبانهنّ به ﷺ من نساء العالمين، ومعنى هذا أنه جعلهن مباينات لأجل صحبة رسول الله ﷺ لنساء سائر العالمين، في الثواب عند التقوى وفعل الخير، وكذا في جزاء الجريمة لو اتفقت منهن والعياذ بالله حاشاهن من ذلك[2].

٤ ـ تحريمهن من بعده ﷺ على غيره:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[3].

وسبب نزول الآية كما ذكر المفسرون: أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: لو قبض النبي ﷺ تزوجت عائشة رضي الله عنها، فنزلت الآية.

قال ابن كثير: ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه، أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده، لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين.

٥ ـ أنهن يسألن من وراء حجاب:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾[4].

قال العلماء: لا يحل لأحد أن يسألهن إلا من وراء حجاب، وأما غيرهن فيجوز أن يسألهن مشافهة[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٢).
(٢) غاية السول ص ٢٥٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).
(٤) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).
(٥) الخصائص الكبرى ٢/٤٣٨.

٦ ـ ستر أشخاصهن:

قال السيوطي: قال القاضي عياض والنووي في شرح مسلم: خصصن بفرض الحجاب عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف ذلك لشهادة ولا لغيرها، ولا إظهار شخوصهن، وإن كنَّ مستترات إلا لضرورة خروجهن للبراز. وكن إذا قعدن للناس جلسن وراء حجاب، وإذا خرجن حجبن وسترن أشخاصهن، وأن زينب بنت جحش جعلوا لها قبة فوق نعشها لستر شخصها[(١)].

واستدل القائلون بذلك بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عَرْقٌ، فدخلت فقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت، فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه فقال: (إن الله أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن)[(٢)].

واستدلوا أيضاً بأن حفصة لما توفي عمر سترها النساء عن أن يرى شخصها.

قال ابن حجر: وليس فيما ذكره ـ صاحب هذا الرأي ـ دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن. وقد كنَّ بعد النبي ﷺ يحججن ويطفن، وكان الصحابة يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص[(٣)].



---

(١) الخصائص الكبرى ٢/٤٣٨.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧٩٥).
(٣) فتح الباري ٨/ ٥٣٠.

الفصل الثاني
فيما اختص به ﷺ في الآخرة

١ ـ أنه ﷺ سيد ولد آدم

ومن خصائصه ﷺ أنه سيد ولد آدم يوم القيامة.

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة..)[١].

وأخرج الشيخان عنه أيضاً: قال ﷺ: (أنا سيد الناس يوم القيامة..)[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر..)[٣].

وهو ﷺ سيد ولد آدم مطلقاً، والسيد الذي يفوق قومه، وإنما خص يوم القيامة بالذكر، لظهور ذلك له يومئذٍ لكل أحد بلا منازعة، وإذا كان كذلك وجميع الخلق مجتمعون، فمن باب أولى أنه سيد ولد آدم في الدنيا.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).
(٢) متفق عليه (خ ٣٣٤٠، م ١٩٤).
(٣) أخرجه أحمد ١/٢٨١، والترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨).

وإنما أخبر ﷺ بذلك لأمرين:

أحدهما: تحدثاً بنعمة الله تعالى عليه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(١).

والثاني: بياناً للأمر وتبليغاً للأمة بما هو كائن ليعرفوه.

٢ ـ أنه ﷺ أول من تنشق عنه الأرض

وهذه خصوصية أخرى.

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع)(٢).

وهو ﷺ أول من يفيق من الصعقة.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري: أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله).

وفي رواية لهما: (فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي)(٣).

٣ ـ الشفاعة

ومن خصائصه ﷺ يوم القيامة، أنه أعطي الشفاعة، بل هي شفاعات.

---

(١) سورة الضحى، الآية (١١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

(٣) متفق عليه (خ ٢٤١١، ٣٤١٤، م ٢٣٧٣).

فهو ﷺ أول شافع وأول مشفع، وهو الذي تقبل شفاعته، كما جاء في حديث أبي هريرة في الموضوع السابق.

وأعظم الشفاعات: الشفاعة العظمى في الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد الأنبياء، وقد جاء ذلك في أحاديث كثيرة منها:

حديث أنس عند الشيخين[١].

وحديث أبي هريرة عندهما أيضاً[٢].

وحديث أبي هريرة وحذيفة عند مسلم[٣].

وهناك شفاعة أخرى في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب.

وشفاعة لناس استحقوا دخول النار.

وشفاعة لناس دخلوا النار فيخرجون.. وغير ذلك.

٤ ـ أول من يقرع باب الجنة
٥ ـ أكثر الأنبياء أتباعاً يوم القيامة

أخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة).

وفي رواية: (أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدَّق نبي من الأنبياء ما صدِّقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد)[٤].

(١) متفق عليه (خ ٤٤، ٦٥٦٥، ٧٥١٠، ٧٤٤٠، م ١٩٣).
(٢) متفق عليه (خ ٤٧١٢، م ١٩٤).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٥).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٩٦).



وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك)[1].

وأخرج الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال: (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة) قلنا: نعم، قال: (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة) قلنا: نعم، قال: (أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة) قلنا: نعم، قال: (والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر)[2].

٦ ـ أنه ﷺ صاحب لواء الحمد

ومن خصائصه ﷺ أنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة، وجميع الأنبياء تحت هذا اللواء.

أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر.

وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي.

وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

(٢) متفق عليه (خ ٦٥٢٨، م ٢٢١).



قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم، فيقولون أنت أبونا آدم، فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: إني أذنبت ذنباً أهبطت منه إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً، فيأتون نوحاً، فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات ـ ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا مَاحَلَ بها عن دين الله ـ ولكن ائتوا موسى، فيأتون موسى، فيقول: إني قد قتلت نفساً، ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى. فيقول: إني عُبِدْتُ من دون الله، ولكن ائتوا محمداً، قال: فيأتونني فأنطلق معهم).

قال ابن جدعان: قال أنس: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ قال: (فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها.

فيقال: من هذا فيقال: محمد، فيفتحون لي، ويرحبون بي، فيقولون: مرحباً، فأخر ساجداً، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تُشَفَّعْ، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾)[1].

قال سفيان: ليس عن أنس إلا هذه الكلمة: (فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها)[2].

وأخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه)[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٣١٤٨)، وابن ماجه مختصراً (٤٣٠٨).

(٣) أخرجه في مجمع الزوائد برقم (١٤٠٠٥) وقال: أخرجه البزار وسنده جيد.



٧ ـ أنه ﷺ صاحب المقام المحمود

ومن خصائص التكريم للنبي ﷺ يوم القيامة أنه صاحب المقام المحمود.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[١].

قال ابن حجر: «المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، التي اختص بها، وهي إراحة أهل الموقف من أهوال القضاء بينهم والفراغ من حسابهم»[٢].

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[٣].

وروى النسائي بإسناد صحيح من حديث حذيفة قال: يجتمع الناس في صعيد واحد، فأول مدعو محمد، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك والمهدي من هديت عبدك وابن عبديك، وبك وإليك، ولا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، فهذا قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وصححه الحاكم[٤].

وأخرج الإمام أحمد عن أبي بن كعب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر)[٥].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٧٩).
(٢) فتح الباري ٣/٣٣٩.
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٨).
(٤) فتح الباري ٨/٣٩٩ ـ ٤٠٠.
(٥) عن تفسير ابن كثير عند الآية المذكورة.



والحقيقة: إن كل موقف له ﷺ يوم القيامة هو مقام محمود يحمده الناس عليه. ولعل أعظم هذه المواقف هو الشفاعة العظمى.

وقد أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)[1].

٨ ـ أنه ﷺ صاحب الوسيلة

قال ابن كثير: وهو ﷺ صاحب الوسيلة، التي هي أعلى منزلة في الجنة، لا تليق إلا له[2].

وقد مرَّ في الفقرة السابقة حديث جابر عند البخاري وفيه ذكر الوسيلة.

وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة)[3].

٩ ـ أنه ﷺ صاحب الكوثر

ومن خصائصه ﷺ في الآخرة: أنه أعطي الكوثر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٤).
(٢) تفسير ابن كثير عند الآية (٧٩) من سورة الإسراء.
(٣) أخرجه مسلم برقم (٣٨٤).



فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فضلت على الأنبياء بست..) ومنها (أعطيت الكوثر)[1].

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (أنزلت علي سورة) فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ ثم قال: (أتدرون ما الكوثر؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنه نهر وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: ربِّ إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثتْ بعدك)[2].

١٠ ـ أول من يمر على الصراط

ومن خصائص التكريم له ﷺ أنه أول من يجوز على الصراط.

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم أحد يومئذٍ إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم..)[3].

١١ ـ لا تأكل الأرض لحوم الأنبياء

قال في الروضة: ومن الخصائص أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء. للحديث الصحيح في ذلك.

---

(١) مجمع الزوائد برقم (١٤٠٠٥) وقال الهيثمي: رواه البزار وإسناده جيد.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٠٠).
(٣) متفق عليه (خ ٨١٦، م ١٨٢).



والحديث الذي أشار إليه:

عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي).

قال: قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت.

فقال: (إن الله عزّ وجلّ حرم على الأرض أجساد الأنبياء)[1].



(١) أخرجه الإمام أحمد ٤/٨، وأبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي (١٣٧٣) وابن ماجه (١٠٨٥، ١٦٣٦)، والدارمي (١٥٧٢).

الفصل الثالث
فيما اختصت به أمته ﷺ
من الكرامة في الدنيا والآخرة

١ ـ أمته ﷺ خير الأمم

ومن خصائص تكريمه ﷺ أن جعلت أمته خير الأمم.

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١].

والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس.

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: (إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)[٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (فضلت على الأنبياء بست) وذكر منها: (وجعلت أمتي خير الأمم)[٣].

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠١). قال ابن كثير: أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وهو حديث مشهور وقد حسنه الترمذي (تفسير ابن كثير).
وقال في فتح الباري ٨/ ٢٢٥: وهو حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه.

(٣) مجمع الزوائد برقم (١٤٠٠٥) وقال الهيثمي: رواه البزار وإسناده حسن.



وعن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (.. وجعلت أمتي خير الأمم)[1].

قال ابن كثير عند تفسير الآية:

«وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه أشرف خلق الله، وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم، لم يعطه نبي قبله ولا رسول من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه».

ومعنى ﴿كُنتُمْ﴾ أي في اللوح المحفوظ، أو في علم الله تعالى[2].

قال مجاهد: كنتم خير أمة أخرجت للناس إذا كنتم على الشرائط المذكورة، أي تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر[3].

قال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قرن بحسبه.

فينبغي للمسلم أن يكون على مستوى الانتساب لهذه الأمة التي شرفها الله تعالى، فيكون له من الأخلاق الحسنة والأعمال الخيرة، والسريرة النقية الصافية ما يجعله بحق في مستوى شرف الانتساب إليها.

٢ ـ شهادة أمته ﷺ على الأمم

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ومن خصائصه: أن الله

---

(١) قال في فتح الباري: أخرجه أحمد بإسناد حسن ٨/ ٢٢٥، وقال ابن كثير: تفرد به أحمد وإسناده حسن.

(٢) فتح الباري ٨/ ٢٢٥.

(٣) المواهب اللدنية ٢/ ٧٠٥.





تعالى نزل أمته منزلة العدول من الحكام، فيشهدون على الناس بأن رسلهم بلغتهم. وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء[1].

قال الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

وقال تعالى:

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[3].

ومعنى «وسطا»: أي عدولاً خياراً مشهوداً بعدالتكم عند جميع الأمم.

أخرج البخاري وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغتَ؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلَّغكم فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلَّغ)[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك. فيقال لهم: هل بلَّغتم؟ فيقولون: نعم، فيدعى قومهم، فيقال لهم: هل بلغوكم؟ فيقولون: لا، فيقال للنبيين: من يشهد لكم أنكم

---

(١) الخصائص الكبرى ٢/ ٣٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٣) سورة الحج، الآية (٧٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٩) وكذا الترمذي والنسائي.



بلغتم؟ فيقولون: أمة محمد، فتدعى أمة محمد فيشهدون أنهم قد بلغوا، فيقال لهم وما علمكم أنهم قد بلغوا؟ فيقولون: جاءنا نبينا بكتاب أخبرنا أنهم قد بلغوا فصدقناه، فيقال: صدقتم فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: عدولاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾)[١].

قال ابن الملقن: ومستندهم في الشهادة وإن لم يروا ذلك: إخبار الله تعالى لهم به في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾[٣] ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾[٤] ونحوها من الآيات[٥].

٣ ـ فضل أصحابه ﷺ

ومن خصائص هذه الأمة فضل الصحابة رضي الله عنهم، وهم الجيل الذين رأوا رسول الله ﷺ وجاهدوا معه، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله.

وقد وردت أحاديث كثرة في فضلهم.

أخرج الشيخان عن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[٦].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[٧].

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٥٨، وانظر فتح الباري ٨/ ١٧٢.
(٢) سورة الشعراء، الآية (١٠٥).
(٣) سورة الشعراء، الآية (١٢٣).
(٤) سورة سبأ، الآية (٤٥).
(٥) غاية السول ص ٢٦١.
(٦) متفق عليه (خ ٢٦٥٢، م ٢٥٣٢).
(٧) متفق عليه (خ ٢٦٥١، م ٢٥٣٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه)[1].

وقد ذهب الجمهور: إلى أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، لمشاهدة رسول الله ﷺ.

ولهذا ـ ولما سبق في الفقرة السابقة ـ فمن المتفق عليه أن الصحابة كلهم عدول.

٤ ـ صفوفهم كصفوف الملائكة

ومن تشريف الله لهذه الأمة أن جعل صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة.

أخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء) وذكر خصلة أخرى[2].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (ألا تصفُّون كما تصف الملائكة عند ربها؟) قلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها قال: (يتمون الصفوف الأُول، ويتراصون في الصف)[3].

---

(١) متفق عليه (خ ٣٦٧٣، م ٢٥٤١). والمد مكيال صغير، ونصيفه: نصفه.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٢٢).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٣٠).

٥ ـ أول أمة تدخل الجنة

ومن تشريف الله تعالى لهذه الأمة: أنها أول أمة تدخل الجنة.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا).

وفي رواية مسلم: (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة)[١].

٦ ـ أول أمة يقضى بينها يوم القيامة

ومن تشريف هذه الأمة: أنها أول الأمم يقضى بينهم.

فقد أخرج مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (.. نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق) وفي رواية: (المقضي بينهم)[٢].

٧ ـ الغر المحجلون يوم القيامة

ومن خصائص التكريم لهذه الأمة يوم القيامة، أنهم يأتون غراً[٣] محجلين[٤].

وقد ثبت هذا في أحاديث كثيرة منها.

---

(١) متفق عليه (خ ٨٧٦، م ٨٥٥).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٥٦).
(٣) الغر: جمع أغر، أي ذو غرة، وأصلها لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، والمراد هنا: النور الكائن في الوجوه من آثار الوضوء.
(٤) محجلين: التحجيل: بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)[1].

وأخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن حوضي لأبعد من أبلة من عدن، والذي نفسي بيده، إني لأذود عنه الرجال، كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه) قالوا: يا رسول الله، وتعرفنا؟ قال: (نعم، تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم)[2].

وفي حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذٍ؟ قال: (نعم، لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون عليّ غراً محجلين من أثر الوضوء)[3].



---

(١) متفق عليه (خ ١٣٦، م ٢٤٦).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٤٨).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٧).



الفصل الرابع
خصائص مزعومة لا دليل عليها

١ ـ أول النبيين في الخلق

قالوا: ومن خصائصه ﷺ: أنه أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث[1] واستدلوا بحديث أبي هريرة: (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم)[1].

وذهب بعضهم يقيم الأدلة على أنه خلق قبل آدم في كلام طويل...

ومن جملة ما قالوا: «فهذا يدل على أنه حين صور آدم طيناً، استخرج منه محمداً ﷺ، ونبئ وأخذ منه الميثاق، ثم أعيد إلى ظهر آدم، حتى يخرج وقت خروجه الذي قدر الله خروجه فيه، فهو أولهم خلقاً.

لا يقال: يلزم خلق آدم قبله، لأن آدم كان حينئذٍ مواتاً لا روح فيه، ومحمد ﷺ كان حياً حين استخرج ونبئ وأخذ منه الميثاق، فهو أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً»[2].

---

(١) الخصائص الكبرى ١/٧، ومرشد المحتار ص ٣٨٥ وغيرهما.

(٢) المواهب اللدنية ١/٦٥.



وذهب بعضهم يفسر هذا الوجود: بأنه وجود في علم الله تعالى.

ورد بعضهم على ذلك فقال:

«وقد علم من هذا: أن من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبياً، لم يصل إلى هذا المعنى، لأن علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء.. لأن جميع الأنبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله، فلا بد من خصوصية للنبي ﷺ. لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاماً لأمته ليعرفوا قدره عند الله تعالى»[1].

تلك بعض الجدليات التي لا طائل وراءها لأنها لا تستند إلى دليل.

ونعود إلى الحديث الذي استدلوا به:

فقد ضعفه صاحب السلسلة الضعيفة[2].

وما كان كذلك لا تقوم به حجة في الخصوصيات.

واستدل بعضهم بحديث.

«كنت نبياً، وآدم بين الماء والطين».

وحديث: «كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين».

وقد قال الإمام ابن تيمية عنهما: هذا اللفظ كذب باطل[3].

وقال أيضاً: «لا أصل له لا من نقل ولا من عقل، فإن أحداً من المحدثين لم يذكره ومعناه باطل، فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

---

(١) المواهب اللدنية ١/ ٦٤.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الألباني برقم ٦٦١.

(٣) فتاوى ابن تيمية ١٨/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذٍ موجوداً، وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة، مثل حديث أنه كان نوراً حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور، ويدعي أحدهم أن النبي كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل»[١].

فهذه الأحاديث وأمثالها لا يقوم بها دليل فكيف تكون دليلاً على الخصوصية.

نعم قد وردت أحاديث في موضوع النبوة: منها:

ما أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد)[٢].

ومنها: ما أخرجه أحمد عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كتبت نبياً؟ قال: (وآدم عليه السلام بين الروح والجسد)[٣].

ومنها: ما أخرجه أحمد وغيره عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: (إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته)[٤].

وهذه الأحاديث كلها ليس فيها أنه أول النبيين في الخلق، ورواية ميسرة «متى كتبت» من الكتابة، تؤكد ذلك وأن المراد وجوب نبوته وثبوتها.

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة عند الحديث (٣٠٣).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٩).
(٣) المسند ٥/٥٩.
(٤) المسند ٤/١٢٧.



وليس من الضروري أن يكون للنبي محمد ﷺ خصوصية في كل أمر، فقد شارك بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في كثير من الأمور.

وإذاً فلا خصوصية هناك، ولا حاجة لزج الفكر في أوهام باطلة، أضاع بها بعضهم كثيراً من وقتهم وأوقات الآخرين، لأنهم لم يلتزموا الوقوف عند الصحيح من الأحاديث الشريفة.

٢ ـ القول بأنه ﷺ نور

قال ابن الملقن:

«جعل ابن سبع من خصائصه: أنه كان نوراً، وكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل.

ويشهد له أنه عليه الصلاة والسلام سأل الله أن يجعل في جميع أعقابه نوراً، وختم ذلك بقوله: «واجعلني نوراً»[١].

أقول:

أما مسألة كونه ﷺ لا يظهر له ظل، فقد ذكرتها كتب الخصائص، ولم تذكر دليلاً عليها.

وهو ادعاء باطل. إذ لو كان الأمر كذلك لنقله لنا الصحابة رضي الله عنهم، فقد نقلوا لنا كل صغير وكبير يتعلق بحياته ﷺ، فكيف أغفلوا ذكر وصف دائم يظهر كل يوم وكل ساعة، وغفلوا جميعاً عن ذلك.

والذي يبدو أن هذه المسألة، إنما هي نتيجة للقول بأنه ﷺ نور، والنور لا ظل له.

(١) غاية السول ص ٢٩٧، واللفظ المكرم ٢/ ٢٣٥.





وأما مسألة كونه ﷺ نوراً، والاستدلال له بالحديث، فهو فهم في غاية الغرابة لم يقل به أحد.

أما الحديث المستدَل به فقد أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس قال: وكان ﷺ يقول في دعائه: (اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً) وفي رواية لمسلم: (أو قال: واجعلني نوراً)[١].

قال ابن حجر: قال القرطبي: هذه الأنوار التي دعا بها رسول الله ﷺ يمكن حملها على ظاهرها، فيكون سأل الله تعالى أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نوراً يستضيء به يوم القيامة في تلك الظلم، هو ومن تبعه أو من شاء الله منهم. قال: والأولى أن يقال هي مستعارة للعلم والهداية، كما قال تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾[٣] ثم قال: والتحقيق في معناه: أن النور مظهر ما نسب إليه، وهو يختلف بحسبه: فنور السمع مظهر المسموعات، ونور البصر كاشف للمبصرات، ونور القلب كشاف عن المعلومات، ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات.

وقال الطيبي: معنى طلب النور للأعضاء عضواً عضواً، أن يتجلى بأنوار المعرفة والطاعات ويتعرى عما عداهما، فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوسواس، فكان التخلص منها بالأنوار السادة لتلك الجهات. قال: وكل هذه الأمور راجعة إلى الهداية والبيان وضياء الحق[٤].

---

(١) متفق عليه (خ ٦٣١٦، م ٧٦٣).
(٢) سورة الزمر، الآية (٢٢).
(٣) سورة الأنعام، الآية (١٢٢).
(٤) فتح الباري ١١/١٤٨.



وهكذا لم يفهم هؤلاء العلماء ـ ومنهم ابن حجر ـ أن المقصود بالحديث أن يتحول الجسم أو الأعضاء إلى نور، بحيث يفقد الجسم مادته التي هي اللحم والعظم.

وهم متفقون على أن المقصود بالنور هو العلم والهداية إلى الحق.

وحتى لو ذهبنا إلى حمل النص على ظاهره، وفقاً للقول الأول للقرطبي، فإن وجود النور في العضو لا يستدعي ذهابه. وكذا وجود النور في المادة لا يستدعي ذهابها.

أخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه: أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله[(١)].

وقد أوضحت الروايات الأخرى كما في فتح الباري وفيها: أنهما لما خرجا أضاءت عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، فلما افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر[(٢)].

ومحل الشاهد من الحديث: أن وجود النور في العصا لم يذهب بمادتها، بل بقيت عصا وانبعث منها النور.

وخلاصة القول: إن الادعاء بأنه ﷺ كان نوراً، لا جسم له، وبالتالي لا ظل له، ضرب من الخيال الذي يكذبه الواقع، فقد عاش ﷺ مع أصحابه وزوجاته، فأكل معهم وشرب، وصافحوه.. وكان ﷺ بشراً مثل بقية الناس، ولد من أبوين من الناس.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٥).

(٢) فتح الباري ٧/ ١٢٥.

وقد خاطب الله الرسول ﷺ فقال له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[1][2].

٣ ـ خلق جميع المخلوقات لأجله ﷺ

قالوا: ومن خصائص تكريمه ﷺ: أن الله تعالى خلق آدم وجميع المخلوقات لأجله[3].

واستدلوا على ذلك بحديث:

«لولاك لما خلقت الأفلاك».

قال الصغاني: إنه موضوع[4].

واستدلوا بحديث ابن عباس مرفوعاً:

«أتاني جبريل فقال: يا محمد لولاك لما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار».

وفي رواية ابن عساكر: «لولاك ما خلقت الدنيا».

قال في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ضعيف بل واهٍ.

وأما رواية ابن عساكر فقد أخرجها ابن الجوزي في الموضوعات عن سلمان مرفوعاً، وقال: إنه موضوع، وأقره السيوطي[5].

وقد سئل الإمام ابن تيمية عن الحديث الذي يذكره الناس:

---

(١) سورة الكهف، الآية (١١٠).

(٢) وانظر ـ إن رغبت ـ التمهيد لهذا الباب.

(٣) مرشد المحتار ص ٣٨٥.

(٤) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للقاري برقم (٣٨٥) ص ٢٨٨.

(٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٢٨٢).

«لولاك ما خلق الله عرشاً، ولا كرسياً، ولا أرضاً، ولا سماءً، ولا شمساً، ولا قمراً، ولا غير ذلك» صحيح هو، أم لا؟.

فأجاب:

«محمد ﷺ سيد ولد آدم، وأفضل الخلق، وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم، أو أنه لولاه، لما خلق عرشاً، ولا كرسياً، ولا سماءً، ولا أرضاً، ولا شمساً، ولا قمراً.

لكن ليس هذا حديثاً عن النبي ﷺ، لا صحيحاً ولا ضعيفاً. ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ.

بل ولا يعرف عن الصحابة، بل هو كلام لا يدرى قائله»[1].

هذه هي الأقوال في أدلة هذه الخصوصية. وحيث لا دليل فلا خصوصية إذاً، ولا يقال مثل ذلك إلا بدليل صحيح.

٤ ـ استشفاع آدم به ﷺ

قالوا: ومن خصائص تكريمه ﷺ: أن آدم عليه السلام استشفع به، واستدلوا على ذلك بما أخرجه الحاكم في المستدرك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

«لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي. قال: وكيف عرفت محمداً؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت: على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. قال: صدقت يا آدم، ولولا محمد ما خلقتك»[2].

---

(١) فتاوى ابن تيمية ١١/٨٦، ٩٦.

(٢) المواهب اللدنية ١/٨٢، والحديث في المستدرك (٢/٦١٥).



وهذا الحديث الذي هو الدليل في هذه القضية ليس بصحيح.

فقد قال ابن تيمية: «قلت: ورواية الحاكم لهذ الحديث مما أنكر عليه» وقال أيضاً: «وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله، فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث»[1].

وقال في سلسلة الأحاديث الضعيفة: موضوع.. وبعد كلام مطول قال: وجملة القول: إن الحديث لا أصل له عنه ﷺ، فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان الحافظان الجليلان: الذهبي والعسقلاني[2].

نخلص من هذا أن هذه الخصوصية لا دليل عليها.

٥ ـ أنه ﷺ رأى ربه مرتين

قال ابن طولون ـ وهو يعدد الخصائص ـ: ورؤيته ﷺ للباري تعالى مرتين[3].

وهذه مسألة كثر الاختلاف فيها.

قال ابن حجر رحمه الله:

«وقد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه:

فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها.

واختلف عن أبي ذر.

وذهب جماعة إلى إثباتها. وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن: أنه حلف أن محمداً ﷺ رأى ربه.

---

(١) فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٢٥).
(٣) مرشد المحتار ص ٣٨٧.



وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر إنكار عائشة.

وبه قال سائر أصحاب ابن عباس.

ثم اختلف هؤلاء: هل رآه بعينه أو بقلبه»[١].

وهكذا نجد الاختلاف شديداً، وكل يدلي برأيه، ومن العلماء، من حاول الجمع بين القولين، ولكنه لم يفلح في ذلك.

ولهذا: رجح القرطبي في «المفهم» قول الوقف في هذه المسألة، وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل.

قال: وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات، فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي»[٢].

ويغلب على الظن أن قول القرطبي هو الصواب في هذه المسألة.

وإذا كانت هذه المسألة على هذا النحو من اختلاف الآراء فيها، فكيف تكون من مسائل الخصائص التي تحتاج إلى دليل قطعي.

إنه من الخطأ إدخال هذه المسألة وما شابهها في هذا الموضوع.

٦ ـ أنه ﷺ ولد مختوناً

قالوا: ومن خصائص تكريمه أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً[٣].

---

(١) فتح الباري ٨/٦٠٨.

(٢) فتح الباري ٨/٦٠٨.

(٣) مسروراً: أي مقطوع السرة.



واستدلوا بحديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً، ولم ير أحد سوأتي»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ولد النبي ﷺ مسروراً مختوناً[(٢)].

وقد رد ذلك العلماء. وقد حكى الحافظ زين الدين العراقي أن الكمال بن العديم ضعف أحاديث كونه ولد مختوناً، وقال: إنه لا يثبت في هذا شيء من ذلك. وأقره عليه[(٣)].

وقال في العلل المتناهية بعد أن ساق حديث أنس: تفرد به سفيان ـ ابن محمد المصيصي ـ قال ابن عدي: كان يسرق الأحاديث ويسوي الأسانيد وفي حديثه موضوعات. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به[(٤)].

قال ابن القيم في فصل ختانه ﷺ:

«وقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ولد مختوناً مسروراً. وروي في ذلك حديث لا يصح، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في «الموضوعات» وليس فيه حديث ثابت. وليس هذا من خواصه، فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً».

وقال ابن القيم: «وبَيَّنَ كمال الدين بن العديم أنه ﷺ ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنياً عن نقل معين فيها»[(٥)].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم، والخطيب، وابن عساكر. كما في المواهب اللدنية ١/ ١٣٣.
(٢) رواه ابن عساكر، كما في المواهب اللدنية ١/ ١٣٣.
(٣) المواهب اللدنية ١/ ١٣٤.
(٤) العلل المتناهية ١/ ١٧١ ـ ١٧٢.
(٥) زاد المعاد لابن القيم ١/ ٨١ ـ ٨٢.

٧ ـ الاستشفاء بدمه ﷺ

قالوا: ومن خصائص التكريم أنه ﷺ كان يتبرك بدمه[١].

واستدلوا لذلك:

١ ـ بحديث إبراهيم بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده قال: احتجم رسول الله ﷺ فأعطاني دمه، فقال: (اذهب فواره) فذهبت فشربته فرجعت، فقال: (ما صنعت به) قلت: واريته، أو قلت: شربته، قال: (احترزت من النار).

٢ ـ ما أخرجه ابن حبان عن نافع عن عطاء، عن ابن عباس قال: حجم رسولَ الله غلام لبعض قريش، فلما فرغ من حجامته أخذ الدم، فذهب به وراء الحائط، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، تحسى دمه حتى فرغ، ثم أقبل فنظر رسول الله ﷺ في وجهه فقال: (ويحك ما صنعت بالدم؟) قال: غيبته وراء الحائط. قال: (أين غيبته؟) فقال: يا رسول الله، إني نفست على دمك أن أهريقه في الأرض، فهو في بطني. قال: (اذهب فقد أحرزت نفسك من النار).

قال ابن الجوزي: هذان حديثان لا يصحان:

أما الأول فقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج بإبراهيم بن عمر.

وأما الثاني: فقال يحيى: نافع كذاب. وقال الدارقطني: متروك[٢].

وقد أورد صاحب المواهب أدلة أخرى:

منها: قصة شرب عبد الله بن الزبير لدم النبي ﷺ بعد حجامته.

---

(١) المواهب اللدنية ٢/٣١٦، والشفا للقاضي عياض ١/٨٩.

(٢) العلل المتناهية، لابن الجوزي ١/١٨٥.





ومنها: قصة ازدراد مالك بن سنان ـ والد أبي سعيد الخدري ـ دم جرح الرسول ﷺ يوم أُحد وقد قال الزرقاني شارح المواهب، ولا يخلو كل منها من مقال[1].

ومهما يكن من أمر. فليس في كل هذه الوقائع ما كان منها ضعيفاً وما كان منها غير صحيح، أنه ﷺ أمر بذلك، أو استأذنه الفاعل بما أقدم عليه وأذن له.

٨ ـ ابتلاع الأرض بوله وغائطه

ومما جاء في كتب الخصائص: أن الأرض تبتلع بوله وغائطه[2].

وليس من دليل على ذلك، وما جاء فيه لا يرتقي إلى درجة الصحة.

أخرج البيهقي من طريق حسين بن علوان عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل الغائط دخلت في إثره فلا أرى شيئاً، إلا كنت أشم رائحة الطيب، فذكرت ذلك له فقال: (أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة، فما خرج منها من شيء، ابتلعته الأرض).

قال البيهقي: هذا الحديث من موضوعات ابن علوان.

وقال ابن الجوزي. هذا الحديث ورد من طريقين، ولا يصح واحد منهما[3].

---

(١) المواهب اللدنية ٢/٣١٦ وانظر حاشيتها.
(٢) الخصائص الكبرى ١/١٢٠، وغاية السول ص ٢٩٩ وغيرهما.
(٣) كالحاشية قبلها. والعلل المتناهية ١/١٨٨.



٩ ـ شرب بوله ﷺ

قالوا: وكان يستشفى ببوله ودمه ﷺ[١].

واستدلوا لذلك:

١ ـ أخرج الحسن بن سفيان في مسنده، وأبو يعلى والحاكم والدارقطني وأبو نعيم عن أم أيمن قالت: قام النبي ﷺ من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي ﷺ قال: (يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة) فقلت: قد والله شربت ما فيها. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: (أما والله لا يبجعن[٢] بطنك أبداً)[٣].

وقد ضعف صاحب مطالب أولي النهى هذا الحديث[٤].

وقال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، وفيه أبو مالك النخعي، وهو ضعيف[٥].

وقال ابن حجر في التلخيص الحبير: أبو مالك ضعيف ونبيح لم يلق أم أيمن[٦].

وبهذا فالحديث لا يصلح لإثبات الواقعة، فكيف يصلح لإثبات خصوصية؟!.

ثم إن الحافظ ابن حجر أورد القصة في ترجمة أم أيمن مولاة

---

(١) غاية السول ص ٢٧٧.
(٢) أي لا يصيب بطنك وجع.
(٣) المواهب اللدنية ٢/٣١٧.
(٤) مطالب أولي النهى ٥/ ٤٠.
(٥) أخرجه مجمع الزوائد برقم (١٤٠١٥).
(٦) عن حاشية غاية السول ص ٢٧٧.

النبي ﷺ وحاضنته واسمها بركة، كما أوردها في ترجمة أم أيمن الحبشية خادم أم حبيبة واسمها بركة أيضاً. قال: وهذا يحتمل أن تكون قصة أخرى. فجعلهما قصتين[1].

وذكر عبد الرزاق مثل قصة أم أيمن عن امرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة.. فقال لها النبي ﷺ: (صحة يا أم يوسف)[2].

وقد ضعف الشيخ الألباني الزيادة في هذه الرواية وهي (صحة)[3].

وهذا يدل على اضطراب القصة. وإذا كانت القصة متكررة ـ كما ذهب إليه بعضهم ـ فكيف وقعن جميعاً في الخطأ نفسه؟!.

والصواب في هذه القصة هو ما أخرجه أبو داود عن حكيمة بنت أميمة بنت رقيقة، عن أمها: أنها قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان تحت سريره يبول فيه بالليل[4].

وليس في الحديث تلك الزيادات.

١٠ ـ أولاد بناته ﷺ ينسبون إليه

قالوا: ومن خصائصه ﷺ أن أولاد بناته ينسبون إليه، وأولاد بنات غيره لاينسبون إليه لا في الكفاءة ولا في غيرها[5].

---

(١) الإصابة ٨/ ٢١٣.

(٢) الخصائص الكبرى ١/ ١٢٢.

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (١١٨٢).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٢٤).

(٥) غاية السول ص ٢٧٩، والخصائص الكبرى ٢/ ٤٤٧، والمواهب اللدنية ٢/ ٦٥٩.

واستدلوا لذلك: بقوله ﷺ: (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)[١].

وفي البخاري قوله ﷺ: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[٢].

ونسب القول بهذه الخصوصية إلى صاحب التلخيص وتبعه الرافعي[٣].

قال في الروضة: وأنكره القفال وقال: لا اختصاص في أولاد البنات[٤].

وقيل في معنى الحديث: أن أمته ينسبون إليه يوم القيامة، وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم.

وقيل: ينتفع يومئذٍ بالنسبة إليه، ولا ينتفع بسائر الأنساب[٥].

وأما حديث البخاري (إن ابني هذا سيد) فقد قال الإمام ابن حجر ـ وهو يعدد فوائد الحديث ـ: وفيه إطلاق الابن على ابن البنت[٦].

وهذه الاستفادة من ابن حجر تنفي القول بالخصوصية، وتجعل الحكم عاماً، في حقه ﷺ وفي حق غيره.

وبهذا ينتفي القول بالخصوصية لعدم وجود الدليل، وما استدل به فهو محتمل لا يصلح لتقرير الخصوصية.

---

(١) قال ابن الملقن: رواه الحاكم عن عمر وقال: صحيح الإسناد (غاية السول ص ٢٧٩)، وأخرجه في مجمع الزوائد برقم ٧٤٣٠ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٠٤).

(٣) غاية السول ص ٢٨١، وروضة الطالبين ص ٧/ ١٥.

(٤) روضة الطالبين ٧/ ١٥.

(٥) روضة الطالبين ٧/ ١٥، وغاية السول ص ٢٨١.

(٦) فتح الباري ١٣/ ٦٧.

١١ ـ عدم التثاؤب والتمطي

ذكرت كتب الخصائص: أن من خصائصه ﷺ أنه ما تثاءب أبداً..

وحجتهم في ذلك: أن التثاؤب من الشيطان.

فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان)[١].

قال ابن بطال: إضافة التثاؤب إلى الشيطان، بمعنى إضافة الرضا والإرادة، أي أن الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائباً، لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه، لا أن المراد أن الشيطان فعل التثاؤب.

وقال ابن العربي: قد بينا أن كل فعل مكروه نسبه الشرع إلى الشيطان لأنه واسطته[٢].

قال ابن حجر: «ومن الخصائص النبوية ما أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في «التاريخ» من مرسل يزيد الأصم قال: «ما تثاءب النبي ﷺ قط» وأخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال: «ما تثاءب نبي قط» ومسلمة أدرك بعض الصحابة وهو صدوق. ويؤيد ذلك ما ثبت أن التثاؤب من الشيطان»[٣].

تلك هي حجج من قال بهذه الخصوصية.

ولكنها في الحقيقة لا تصلح لإثبات هذه الخصوصية. وذلك:

---

(١) متفق عليه (خ ٣٢٨٩، م ٢٩٩٤).
(٢) فتح الباري ١٠/٦١٢.
(٣) فتح الباري ١٠/٦١٣.



١ ـ لأن المراسيل لا تقوم بها حجة، وقد سبق وذكرت أقوال الأئمة في أن الخصوصية لا بد لها من دليل صحيح.

٢ ـ كون التثاؤب من الشيطان، لا يعني أن الرسول ما كان يتثاءب، فإن الرسول ﷺ بين في أحاديثه أن الشيطان يضحك عندما يترك الإنسان العنان لنفسه عند التثاؤب، فيفتح فمه مع ما يصاحب ذلك من صوت منكر.

وقد علمنا ﷺ كيف نفوت الفرصة على الشيطان، برد التثاؤب ما استطعنا، وذلك بأن لا نسمح لأنفسنا بأن نفتح أفواهنا قدر طاقتها، بل أن نبادر إلى دفع ذلك فإن لم يمكن، فليمسك أحدنا بيده علىٰ فيه، أو بثوبه، كما ورد ذلك في التعليم النبوي الكريم، وبهذا لا يكون للشيطان حظ فيما يرغب فيه، وينتهي دوره في هذا الفعل بإبطال ما سعى إليه.

والرسول ﷺ أقدر الناس على ذلك. فأين دور الشيطان عندئذٍ بالنسبة إليه.

٣ ـ قد نقل لنا الصحابة عن حياته وأفعاله كل صغيرة وكبيرة، فكيف فاتتهم هذه المسألة، ولم يذكرها أحد منهم حتى جاءت عن التابعين مرسلة بغير إسناد.

والخلاصة: إن ما ذكر في هذه المسألة من الأدلة على الخصوصية، لا يصلح لإثباتها. ولذا فليست هي من خصائصه ﷺ.

وقد ألحق بها المهتمون بكثرة الخصائص: عدم التمطي.

وجميعهم ذكر ذلك دون إسناد أو دليل. وكل ما قالوه؛ كما جاء في فتح الباري:

«ووقع في «الشفاء» لابن سبع: أنه ﷺ كان لا يتمطى، لأنه من الشيطان والله أعلم»[١].

---

(١) فتح الباري ١٠/٦١٣.

ومثل هذا الكلام لا يكون حجة ولا دليلاً، ولكنه التهاون بأمر الخصائص وعدم الوقوف بها عند الأدلة والنصوص.

١٢ ـ أنه ﷺ لا يؤذيه الذباب

ذكر القاضي عياض: من خصائصه ﷺ أن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه[١].

وقال السيوطي في الخصائص الكبرى:

«ذكر القاضي عياض في «الشفا» والعز في «مولده» أن من خصائصه ﷺ أنه كان لا ينزل عليه الذباب.

وذكر ابن سبع في الخصائص بلفظ: أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط، وزاد أن من خصائصه أن القمل لم يكن يؤذيه»[٢].

وقال صاحب المواهب:

«وكان ﷺ لا يقع على ثيابه ذباب قط، نقله الفخر الرازي، ولا يمتص دمه البعوض، كذا نقله الحجازي وغيره، وما آذاه القمل، قاله ابن سبع في «الشفا» والسبتي في أعذب الموارد»[٣].

وقال ابن طولون:

«ولم يقع على ثيابه ذباب قط ولا على خده، ذكره صاحب شفاء الصدور، وتاريخ ابن النجار، وفيهما: ولا آذاه القمل»[٤].

وقال المناوي:

---

(١) الشفا للقاضي عياض ١/ ٥٢٢.
(٢) الخصائص الكبرى ١/ ١١٧.
(٣) المواهب اللدنية ٢/ ٦٣٣.
(٤) مرشد المحتار ص ٣٦٣.





«هذا التعبير يفهم أنه كان في بدنه وثوبه القمل، لكنه لا يؤذيه.
لكن ما ذكره بعضهم لما جاء في عدة أحاديث: أنه كان يدخل على أم سليم بيتها تفلي رأسه. وفي حديث الطبراني والترمذي عن عائشة: كان يفلي ثوبه ويحلب شاته. ومن لازم التفلي وجود قمل يؤذيه.

لكن ذكر ابن سبع وتبعه بعض شراح الشفا: أنه لم يكن فيه قمل، لأنه نور، ولأن أصل القمل من العفونة، ولا عفونة فيه، ولأنه لما كان لا يبدو فيه إلا طيباً، كان علامة ذلك أنه لا يتسخ له ثوب، وأيضاً فأكثر القمل من العرق الخبيث وعرقه كان طيباً. ومن قال: إن فيه قملاً فهو كمن نقصه، ولا يلزم من وجود التفلية وجود القمل، فقد يكون للتعليم، أو لتفتيش ما فيه من نحو خرق ليرقعه»[1].

هكذا أوردت هذه الكتب هذه الخصائص دون ذكر الدليل، بغض النظر عن كون هذا الدليل صحيحاً، أو ضعيفاً أو موضوعاً.

ويؤكد كلام ابن سبع الأخير: أنه اعتمد القياس العقلي في إثبات هذه الخصوصية، حتى وصل إلى القول: بأن من قال: إن القمل كان يؤذي رسول الله ﷺ فقد انتقصه؟!.

وهل تثبت الخصوصيات بهذه الطريقة من التقرير بعيداً عن الأدلة واعتماداً على نقول لا دليل عليها؟!.

أقول: والملاحظ أن المسألة بدأت بذكر الذباب، ثم أضيف إليه القمل، ثم أضيف إليه البعوض.

وقد وردت أحاديث كثيرة بشأن تفلية رأس النبي ﷺ وثيابه.

فقد أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه: أن أم حرام أطعمت النبي ﷺ وجعلت تفلي رأسه[2].

---

(١) مرشد المحتار، في الحاشية ص ٣٦٣.
(٢) متفق عليه (خ ٢٧٨٨، م ١٩١٢).



وقد سبق في قول المناوي ذكر حديث عائشة عند الترمذي: كان يفلي ثوبه.

وعند الإمام أحمد: كان ﷺ بشراً من البشر يفلي ثوبه[1].

وعنده أيضاً: كانت زينب تفلي رسول الله ﷺ[2].

وهناك أحاديث أخرى.

فهل كانت هذه التفلية منه ﷺ ومن غيره عبثاً؟.

نعم، ليس من الضروري أن يوجد عند التفلية القمل، وقد تكون اطمئناناً على عدم وجوده.

ولكن مباشرتها ألا يعني توقع وجود القمل؟ وإلا كانت عبثاً.

إذن فهذه الأحاديث إذا كانت لا تقرر وجود القمل، فإنها تقرر توقع وجوده.

والقمل أسوأ وأشد ضرراً من الذباب.

والمرجع في هذا هو وجود الدليل، ولا دليل.

وعن علي رضي الله عنه قال: لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي، فلما فرغ قال: (لعن الله العقرب. لا تدع مصلياً ولا غيره ثم دعا بماء وملح، فجعل يمسح عليها، ويقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[3].

فإذا كانت العقرب لدغت النبي ﷺ، وأجرى الله عليه منها ما يجريه على الناس، وفقاً لسنّة الله في الخلق، فأمر الذباب والبعوض أهون من ذلك.

---

(١) المسند ٦/٢٥٦.

(٢) المسند ٦/٣٦٣.

(٣) مجمع الزوائد برقم (٨٤٤٥) وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير، وإسناده حسن.

وهذا ما كان يجري على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيضاً.

فقد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة؟)[1].

ومحل الشاهد أن النملة قرصت هذا النبي كما تفعل بغيره من بني الإنسان فكونه نبياً لا يخرجه عن كونه بشراً من البشر.

وأخيراً: فكيف خفيت هذه الخصوصية على الصحابة رضي الله عنهم وهم الذين عايشوه وكانوا معه ليلاً ونهاراً، فلم ينقل أحد منهم لنا ذلك. مع حرصهم الشديد على أن ينقلوا لنا كل ما سمعوه منه ﷺ أو رأوه!.

١٣ ـ أثر موطئ قدميه ﷺ في الصخر

قال صاحب المواهب اللدنية:

«ومنها ـ أي خصائصه ـ: أنه ﷺ كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه، كما هو مشهور قديماً وحديثاً، ونطق به الشعراء في منظومهم والبلغاء في منثورهم.

مع اعتضاده بوجود أثر قدمي الخليل إبراهيم عليه السلام في حجر المقام..»[2].

وهكذا أصبحت الخصائص تقرر بلا دليل.

هذه الخصوصية عبارة عن إخبار، فأين الأحاديث التي تؤيد

---

(١) متفق عليه (خ ٣١٤٩، م ٢٢٤١).

(٢) المواهب اللدنية ٢/ ٦٣٠.

ذلك، وهل آثار قدمي الخليل عليه السلام تعد دليلاً لهذه الخصوصية المتعلقة بالرسول محمد ﷺ.

ونقل الزرقاني في حاشيته على المواهب: إنكار الحافظ السيوطي لذلك وقوله: لم أقف له على أصل ولا سند، ولا رأيت من خرجه في شيء من كتب الحديث.

قال الزرقاني: وكذا أنكره غيره.

وقال ابن تيمية في تعليقه على هذه المسألة:

«هذا لم ينقله أهل العلم بأحواله، ولا واحد منهم. بل هو كذب عليه»[1].

يتبين من هذا أن هذه المسألة لا أصل لها، ولا دليل عليها.

كما يتبين مدى توسع بعض العلماء في قبول كل شيء في باب الفضائل والمعجزات، دون إخضاعها إلى الموازين التي وضعها سلف هذه الأمة لتكون معياراً في القبول أو الرد.

١٤ ـ أسماؤه ﷺ

جاء في الخصائص الكبرى للسيوطي:

«باب اختصاصه ﷺ بما سمي به من أسماء الله تعالى.

قال القاضي عياض: قد خص الله نبيه ﷺ بأن سماه من أسمائه بنحو من ثلاثين اسماً، وهي: الأكرم، والأمين، والأول، والآخر، والبشير، والجبار، والحق، والخبير، وذو القوة، والرؤوف، والرحيم، والشهيد، والشكور، والصادق، والعظيم، والعفو، والعالم، والعزيز، والفاتح، والكريم، والمبين، والمؤمن، والمهيمن، والمقدس،

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٢٣٤.

والمولى، والولي، والنور، والهادي، وطه، ويّس.

قلت ـ أي السيوطي ـ: قد وقع لنا عدة أسماء أخر زيادة على ذلك، وهي: الأحد، والأصدق، والأحسن، والأجود، والأعلى، والآمر، والناهي، والباطن، والبر، والبرهان، والحاشر، والحافظ، والحفيظ، والحسيب، والحكيم، والحليم، والحي، والخليفة، والداعي، والرافع، والواضع، ورفيع الدرجات، والسلام، والسيد، والشاكر، والصابر، والصاحب، والطيب، والطاهر، والعدل، والعلي، والغالب، والغفور، والغني، والقائم، والقريب، والماجد، والمعطي والناسخ، والناشر، والوفي، وحم، ونون» انتهى[1].

هذا ما جاء في هذا الباب دون ذكر أي دليل لهذه الخصوصية المدعاة.

والناظر في هذه الأسماء يرى أن بعضها مما لا يصح أن يكون اسماً له ﷺ لأنه من الأوصاف التي لا تليق إلا بالله تعالى مثل: الجبار، والأحد، والباطن..

وفي وصف الرسول ﷺ بها أو تسميته بها جرأة كبيرة، ومخالفة لقواعد هذا الدين، الذي جاء بالوحدانية لله سبحانه وتعالى وهي أولى قواعده.

قال الزرقاني في شرحه على المواهب: «نقل الغزالي ـ وأقره في الفتح ـ على أنه لا يجوز لنا أن نسميه ﷺ باسم لم يسمه به أبوه، ولا سمى به نفسه ا هـ. أي لا يجوز أن نخترع له علماً، وإن دل على صفة كمال، فلو جوزنا ما لم يرد به سماع لربما وصف بأوصاف تليق بالله دونه، على سبيل الغفلة، فيقع الواصف في محظور، وهو لا يشعر»[2].

هذا هو الصواب، فينبغي الوقوف عند ما ورد به النص.

(١) الخصائص الكبرى ١/ ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) شرح الزرقاني على المواهب ٣/ ١١٩.

ثم إن خصوصية من هذا النوع، لا تقبل بغير دليل، فأين الدليل، أو شبهة الدليل؟!.

١٥ ـ أنه ﷺ يرى في الظلمة

قالوا: ومن خصائصه: أنه ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء[١].

واستدلوا:

بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يرى في الظلماء، كما يرى في الضوء. رواه البيهقي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء[٢].

أما حديث عائشة رضي الله عنها فقد قال عنه ابن الجوزي في العلل: هذا حديث لا يصح[٣].

وقال الألباني: موضوع[٤].

وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما، فقد قال الزرقاني شارح المواهب: قال السهيلي ليس بقوي، وضعفه ابن دحية[٥].

أقول: وهذه الأقوال الواهية لا تصلح دليلاً لهذه الخصوصية، التي لو كانت لتواتر بها النقل عن الصحابة الذين سافروا مع الرسول ﷺ في جهاده وحجه وعمرته، وكانوا معه في ليله ونهاره. فكيف يغيب هذا الأمر عنهم، علماً بأنه أمر ملفت للنظر، أي لو وجد لكان محلاً للتحدث به.

---

(١) المواهب اللدنية ٢/٢٢٦، والشفا ١/٩٣، واللفظ المكرم ٢/٢٣٦.
(٢) المواهب اللدنية ٢/٢٢٦.
(٣) العلل المتناهية ١/١٧٤ برقم (٢٦٦).
(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٣٤١).
(٥) حاشية المواهب ٢/٢٢٦.

الفصل الخامس
خصائص هذا الدين

يحسن بنا أن نختم حديثنا عن الخصائص بذكر ما يمتلك هذا الدين من خصائص على سبيل الاختصار.

١ ـ الدين الذي ارتضاه الله:

قال الله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١].

إنه من تمام نعمة الله على هذه الأمة، أن أكمل لها هذا الدين، ورضيه لها.

وقد عرف بعض أهل الكتاب مكانة هذه الخاصية، ورأوا أن يوم نزولها ينبغي أن يكون عيداً.

أخرج الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً.

قال: أي آية؟.

(١) سورة المائدة، الآية (٣).

قـــال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾.

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة، يوم جمعة[1].

وهذا أيضاً من تمام نعمة الله تعالى، أن جعل نزولها في يوم اجتمع فيه عيدان للمسلمين، فيوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم الجمعة، يوم عيد المسلمين.. فضائل اجتمع بعضها إلى بعض، فإذا نحن أمام نعم الله، وأمام رضاه. وهي غاية ما يطلبه العباد.

كان نزول هذه الآية الكريمة إعلاناً «لإكمال العقيدة، وإكمال الشريعة معاً، فهذا هو الدين، ولم يعد للمؤمن أن يتصور أن بهذا الدين ـ بمعناه هذا ـ نقصاً يستدعي الإكمال، ولا قصوراً يستدعي الإضافة، ولا محلية أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير، وإلا فما هو بمؤمن، وما هو بمقر بصدق الله، وما هو بمرتض ما ارتضاه الله للمؤمنين»[2].

إن الآية الكريمة «تتضمن توحيد المصدر الذي تتلقى منه هذه الأمة منهج حياتها، ونظام مجتمعها، وشرائع ارتباطاتها ومصالحها إلى يوم القيامة، كما تتضمن استقرار هذا الدين بكل جزئياته الاعتقادية والتعبدية والتشريعية، فلا تعديل فيها ولا تغيير، فقد اكتمل هذا الدين وتم وانتهى أمره، وتعديل شيء فيه كإنكاره كله، لأنه إنكار لما قرره الله من تمامه وكماله. وهذا الإنكار هو الكفر الذي لا جدال فيه»[3] وذلك قوله تعالى:

(١) متفق عليه (خ ٤٥، م ٣٠١٧).
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٨٤٣.
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٨٣٣.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

٢ ـ دين الفطرة:

الفطرة في اللغة: الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه.

والفطرة أيضاً: الدين.

وفطر الله الخلق: خلقهم وبرأهم.

ومعنى كون الإسلام دين الفطرة: هو أن هذا الدين جاء متناسباً مع أصل خلقة الإنسان قبل أن تعمل فيه عوامل الانحراف والتضليل.

وقد جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[2].

وفي حديث الإسراء والمعراج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما، فأخذ اللبن، قال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، ولو أخذت الخمر غوت أمتك)[3].

وفي رواية قال ﷺ: (فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك)[4].

وإذا كان الدين مسايراً للفطرة، فذلك يعني أن التزام الإنسان بهذا الدين سهل ميسور، لأن أوامره ونواهيه ليست متعارضة مع فطرتهم بل هي مسايرة لها. فهما يسيران في اتجاه واحد.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٨٥).
(٢) متفق عليه (خ ١٣٥٨، م ٢٦٥٨).
(٣) متفق عليه (خ ٤٧٠٩، م ١٦٨ م).
(٤) متفق عليه (خ ٣٨٨٧، م ١٦٤).

وهذا من نعم الله تعالى على هذه الأمة، ومن خصائص هذا الدين.

وفي ضوء هذا نقرأ قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك.. وأنت مع ذلك ملازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ﴾.

قال بعضهم: معناه: لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون ـ الكلام ـ خبراً بمعنى الطلب.

وقال آخرون: هو خبر معناه: أن الله تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة لا يولد أحد إلا على ذلك، لا تفاوت بين الناس في ذلك ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ﴾ أي التمسك بالشريعة والفطرة السليمة، هو الدين المستقيم[2].

والخلاصة: إن هذا الدين ملائم لفطرة الإنسان، الأمر الذي يساعده على أداء شعائر هذا الدين. مع الراحة النفسية الكاملة.

٣ ـ دين اليسر:

ومن خصائص هذا الدين أنه يلتزم جانب السهولة واليسر في كل شرائعه وتعاليمه. ويبتعد عن كل ما فيه مشقة وحرج.

---

(١) سورة الروم، الآية (٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير عند الآية الكريمة.



وقد سجلت السنّة هذه الخاصية بوضوح كامل، وذلك فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا..)[1].

كما سجل ذلك رسول الله ﷺ بعمله، قالت عائشة رضي الله عنها: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً)[2].

وقال ﷺ: (يسروا ولا تعسروا)[3].

وقد علم المسلمون هذه الخاصية من خلال عيشهم في ظلال هذا الدين، ونتيجة لاستقراء أحكام هذا الدين من قبل علماء توصلوا إلى وضع قواعد أصولية في هذا الباب منها:

المشقة تجلب التيسير.

إذا ضاق الأمر اتسع.

وهكذا غدت هذه الخصيصة معلماً من معالم هذا الدين.

٤ ـ دين الرحمة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[4].

ومعالم «الرحمة» في هذا الدين مثلها مثل «اليسر» منتشرة في كل تعاليمه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩) والنسائي برقم (٥٠٤٩) واللفظ له. ولفظ البخاري: (إن الدين يسر).

(٢) متفق عليه (خ ٣٥٦٠، م ٢٣٢٧).

(٣) متفق عليه (خ ٦٩، م ١٧٣٤).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).



إن هذا الدين رحمة لأن أبوابه مفتوحة لكل الناس دون النظر إلى ألوانهم أو لغاتهم أو أجناسهم أو أوطانهم..

وهو رحمة لكل من عاش من أهل الكتاب في ظل هذا الدين ودولته، والتاريخ شاهد على ذلك.

ولقد تناولت رحمته الحيوانات أيضاً فقد جاءت الأحاديث الصحيحة لتنص على نجاة إنسان بسقاء كلب، وبعذاب امرأة بسبب هرة.

وقال ﷺ: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)[1].

هكذا بلفظ «الناس» بغض النظر عن كل الاعتبارات.

ويبدأ المسلم كل أعماله بقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

إنها خاصية أخرى لهذا الدين.

٥ ـ عموم رسالته:

من خصائص هذا الدين عموم رسالته، وهذا العموم يتناول.

- الزمان.
- المكان.
- الإنسان.

فمن حيث الزمان، فرسالة الإسلام ليست محدودة بعصر ولا جيل، فهي لكل الأزمنة والأجيال، ابتداء من يوم بعثته ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكان لكل نبي قبله زمن محدود.

---

(١) متفق عليه (خ ٧٣٧٦، م ٢٣١٩).



إنها رسالة المستقبل المديد.. فلا رسالة بعدها.

ومن حيث المكان، هي رسالة للعالم كله، تخاطب كل الأمم وكل الأجناس، وكل الشعوب وكل الطبقات.

إنها ليست رسالة لإقليم خاص، ولا لشعب خاص...

ولهذا كان نداؤها: «يا أيها الناس».

وكان كل نبي رسولاً إلى قومه.

ومن حيث كونها رسالة للإنسان، فهي تخاطب الإنسان باعتباره كياناً متكاملاً.

فهي لا تخطاب عقله دون روحه، ولا روحه دون جسمه، ولا أفكاره دون عواطفه.

إنها رسالة للإنسان كله: روحه، وعقله، وجسمه، وضميره، وإرادته، ووجدانه.

وفي ظل هذه الرسالة يظل الإنسان خلقاً سوياً، لا يحصل فيه الصراع الداخلي الذي ولدته فيه المذاهب الأخرى، فهو فيها تبع لرجال الدين في دينه تبع لسلطان الدولة في دنياه. إنه في هذه الحالة مضطر إلى أن يولي وجهه إلى قبلتين..

إن هذا الدين هو وحده الذي كرَّم هذا المخلوق وأبقى على كيانه متماسكاً مترابطاً قوياً. منيع الجانب، لا توجد عنده الثغرات التي ينفذ منها الوهن والضعف والانحراف[1].

٦ ـ دين لا يقوم على المعجزات:

ولقد قامت الأديان السابقة على أساس من حجية الخوارق

---

(١) هذه الفقرة ملخصة بتصرف عن كتاب «الخصائص العامة للإسلام» للدكتور يوسف القرضاوي ص ١٠٥ ـ ١٠٨.



والمعجزات. ذلك أنها كانت لأقوام معينين، في أزمنة محدودة.

وجاءت الرسالة الخاتمة، فلم يكن للمعجزات دور في قيامها، وإنما اعتمدت مخاطبة العقل بكلام الله تعالى أساساً للدعوة.

وأخذ العقل مكانته في التكريم، باعتباره متلقياً للوحي، واستعاد الإنسان كرامته التي كرمه الله بها في ظل هذا الدين.

وأصبح الناس أمة واحدة.

وزالت فوارق الألوان والأجناس.

وصار الناس سواسية، أكرمهم عند الله أتقاهم.

يكرم الإنسان بتقواه وسابقته في هذا..

وهنا وقعت معجزات من نوع آخر في ظل هذا الدين. ما كان لها أن تقع لولا تحقق تعاليم هذا الدين على أرض الواقع.

وقعت معجزة أن يقول عمر ـ وهو القرشي الصميم ـ لبلال العبد الحبشي الذي حرره أبو بكر، ليقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا، يعني بلالاً.

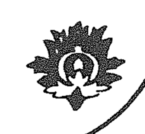
وقعت معجزة أن تقف امرأة لتقول لخليفة المسلمين عمر: أخطأت.

وقعت معجزات ومعجزات..

ولكنها معجزات قابلة للتكرار والتجدد كل يوم في ظل هذا الدين.

❁ ❁ ❁

تلك نماذج من خصائص هذا الدين، أحببت أن ألفت النظر إليها، ولم أقصد إلى استيعابها.. فذلك أمر غير ممكن فخصائص هذا الدين أجل من أن يحصيها كتاب.




الباب الثالث

خصائص التكريم بالخطاب القرآني



إن اختيار النبي ﷺ لمهمة حمل الرسالة وتخصيصه بالخطاب القرآني الذي بدأ بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ لهو أعظم أنواع التكريم والتقديم والتخصيص.

وفي هذا الباب فصول:

الفصل الأول
ظاهرة الخطاب في النص القرآني

عندما نقرأ سورة البقرة نجد أنفسنا أمام الآيات الآتية:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾[1].

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾[3].

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥).
(٢) سورة البقرة: الآية (٩٣).
(٣) سورة البقرة: الآية (٩٦).

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾(١).

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًاۖ﴾(٢).

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾(٣).

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٠٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٣٥).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٤٠).

قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾(١).

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾(٢).

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾(٣).

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾(٤).

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(٥).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(٦).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤)﴾.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾(٧).

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٤٣).
(٢) سورة البقرة: الآية (١٤٤).
(٣) سورة البقرة: الآية (١٤٩).
(٤) سورة البقرة: الآية (١٥٠).
(٥) سورة البقرة: الآية (١٨٦).
(٦) سورة البقرة: الآية (١٨٩).
(٧) سورة البقرة: الآية (٢١١).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾(١).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۚ﴾(٢).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾(٣).

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌۖ﴾(٤).

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ﴾(٥).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾(٦).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾(٧).

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾(٨).

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ﴾(٩).

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٥).
(٢) سورة البقرة: الآية (٢١٧).
(٣) سورة البقرة: الآية (٢١٩).
(٤) سورة البقرة: الآية (٢٢٠).
(٥) سورة البقرة: الآية (٢٢٢).
(٦) سورة البقرة: الآية (٢٤٣).
(٧) سورة البقرة: الآية (٢٤٦).
(٨) سورة البقرة: الآية (٢٥٨).
(٩) سورة البقرة: الآية (٢٨٢).

هذه الآيات الكريمة في هذه السورة جاءت بصيغة الخطاب، والكلام كلام الله تعالى، والمخاطب هو الرسول ﷺ.

وقد جاءت موزعة على السورة من أولها إلى آخرها، كما هو واضح من أرقامها.

وكل آية جزء من النص الذي وردت فيه:

فهي إما بداية لعرض موضوع أو حكم أو قضية، وإما تعقيباً على ذلك.

وقد تكون جواباً على سؤال طرح على النبي ﷺ كما في قوله تعالى في أكثر من آية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ .. قُلْ..﴾.

وقد تكون بياناً لواقعة ستحدث وتوضيحاً للموقف المتخذ منها. كما في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل..﴾.

وقد تكون تطميناً للنبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقد تكون... وقد تكون.

هذا التوزيع لآيات الخطاب ضمن السورة للأغراض التي ذكرت ولغيرها يصبغ السورة كلها بهذا الأسلوب، الأمر الذي يسلط الضوء على شخصية الرسول الكريم ودورها في الأحداث، فهو الذي يقول، وهو الذي يجيب، وهو الذي يناقش المشكلات المطروحة، وهو الذي يبشر، وهو الذي ينذر، وهو الذي تنزل عليه الآيات، وهو.. وهو.

وهذا الأسلوب الذي ذكرنا عليه الأمثلة من سورة البقرة[1]، ليس

(١) مما ينبغي الإشارة إليه هنا: أن أسلوب الخطاب، سواء أكان بكاف الخطاب أم بتاء المخاطب، أم بالضمير المستتر المغيَّب في الفعل ـ اختصاراً للمسافة بين=



خاصاً بها، بل هو ظاهرة عامة تتكرر في النص القرآني كله باستثناء بعض قصار السور.

ومما لا شك فيه أن هذه الظاهرة تحمل في ثناياها دلالات كثيرة، وحِكماً عظيمة، ليس هذا مكان سردها أو التعريف بها.

وإنما نقف عند واحدة منها وهي ما سيق الموضوع من أجلها:

بكى أبي بن كعب فرحاً وسعادة عندما سمع من رسول الله ﷺ: أن الله تعالى أمر رسوله أن يقرأ عليه سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ فقال: الله سماني لك؟ فقال: (الله سماك لي)[1].

وحق لأبي أن يفرح وحق له أن يبكي.

ووجد كثير من علماء هذه الأمة سعادتهم ـ وكذلك ينبغي لكل مسلم ـ أن وجدوا لأنفسهم مكاناً في الخطابات الإلهية العامة مثل قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

وإذا كان الأمر كذلك، فأي تكريم وأي شرف هذا الذي كُرِّم به

= المتكلم والمخاطب ـ فهو أكثر الأساليب حيوية وحركة، فهو يضعك أمام الحدث في الزمن الحاضر، ولذا فهو متجدد مستمر مع الزمن، لا تستطيع الأيام بمرورها أن تخلفه وراءها، فهي تمضي وتمر، وهو هو الحاضر دائماً.

وفي المثال إيضاح وبيان:

قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

هذه الآيات الكريمة، على الرغم من استعمال الفعلين «ودع، وقلى» بصيغة الماضي، ولكن كاف الخطاب في ﴿وَدَّعَكَ﴾ والتي هي مقدرة في ﴿قَلَىٰ﴾ أي قلاك، تجعل الحديث في الزمن الحاضر. وكأن الخطاب يسمع لأول مرة..

وكذلك في قوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ وكأن الأمر يصدر عند قراءة القارئ.

وهذا من عظمة الأسلوب القرآني وبلاغته، فالقارئ وهو يتلو الآيات يشعر بأن الأحداث تمر أمام ناظريه وليست شيئاً من الماضي.

(١) متفق عليه (خ ٤٩٦٠، م ٧٩٩ م).



النبي ﷺ بهذه الخطابات القرآنية الكريمة، التي تأخذ مكانها في كتاب الله تعالى متلوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إنه فضل الله تعالى، وتكريم الله تعالى. وهو أمر لا يستطيع الفكر أن يتصور مداه فكيف للقلم أن يعبر عنه.

هذه الخصوصية من التكريم: خاصة بالقرآن الكريم، وخاصة بالرسول الكريم إذْ لا وجود لهذا الأسلوب من الكلام في الكتب المتقدمة، بغض النظر عما أصابها من تحريف(١).

❁ ❁ ❁

(١) لم يتحدث كتّاب السيرة ـ بحسب اطلاعي المتواضع ـ عن هذه الخصوصية، وإنما توقفوا عند آيات معينة.



الفصل الثاني
أطر السور القرآنية

تمثل السورة من القرآن الكريم الوحدة الموضوعية في هذا الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والأمر الملاحظ والملفت للنظر أن معظم السور تبدأ بخطاب الرسول ﷺ أو الحديث عنه، كما أنها تختم بذلك.

وبهذا يمثل خطاب الرسول ﷺ والحديث عنه إطاراً لمعظم السور إذا استثنيا قصارها وبعض سور المفصل.

وكما يحتضن الإطار اللوحة الفنية ويحيط بها من أطرافها، كذلك تأتي الآيات الكريمة وفيها الأمر والنهي والتوجيه والتحذير والتذكير والبيان محاطة بخطاب الله تعالى لرسوله ﷺ أو حديثه عنه.

وفي هذا ما فيه من التكريم والتشريف لقدر النبي ﷺ، وهو تأكيد آخر على ما أراد الله تعالى له من الكرامة في الدنيا والآخرة.

ولنذكر الأمثلة على ذلك:

١ ـ فسورة البقرة تبدأ بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[١].

---

(١) سورة البقرة، الآيات (١ ـ ٣).



وتنتهي بقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ..﴾(١).

❁ ❁ ❁

٢ ـ وتبدأ سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ..﴾(٢).

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾(٣) إلى آخر الآيات في الموضوع نفسه.

❁ ❁ ❁

٣ ـ وتبدأ سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ..﴾(٥).

❁ ❁ ❁

٤ ـ وتبدأ سورة التوبة بقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٦).

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾(٧).

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).
(٢) سورة آل عمران، الآيات (١ ـ ٣).
(٣) سورة آل عمران، الآية (١٩٦).
(٤) سورة الأعراف، الآيتان (١ ـ ٢).
(٥) سورة الأعراف، الآية (٢٠٥).
(٦) سورة التوبة، الآية (١).
(٧) سورة التوبة، الآية (١٢٨).

٥ ـ وتبدأ سورة هود بقوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾[١].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾[٢] إلى آخر الآيات في الموضوع.

❁ ❁ ❁

٦ ـ وتبدأ سورة يوسف بقوله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[٣].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾[٤] إلى آخر الآيات في الموضوع.

❁ ❁ ❁

٧ ـ وتبدأ سورة الرعد بقوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾[٥].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٦].

❁ ❁ ❁

٨ ـ وتبدأ سورة إبراهيم بقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٧].

---

(١) سورة هود، الآيتان (١، ٢).
(٢) سورة هود، الآية (١٢٠).
(٣) سورة يوسف، الآيات (١ ـ ٣).
(٤) سورة يوسف، الآية (١٠٩).
(٥) سورة الرعد، الآية (١).
(٦) سورة الرعد، الآية (٤٣).
(٧) سورة إبراهيم، الآية (١).

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾[1] إلى آخر الآيات في الموضوع.

* * *

٩ ـ وتبدأ سورة الحجر بقوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾[2].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[3].

* * *

١٠ ـ وتبدأ سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[4].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[5].

* * *

١١ ـ وتبدأ سورة الكهف بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾[6].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ..﴾[7].

* * *

(١) سورة إبراهيم، الآية (٤٧).
(٢) سورة الحجر، الآيات (١ ـ ٣).
(٣) سورة الحجر، الآيات (٩٧ ـ ٩٩).
(٤) سورة الإسراء، الآية (١).
(٥) سورة الإسراء، الآية (١١١).
(٦) سورة الكهف، الآية (١).
(٧) سورة الكهف، الآية (١١٠).

١٢ ـ وتبدأ سورة طه بقوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[1].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[2].

* * *

١٣ ـ وتبدأ سورة الفرقان بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[3].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾[4].

* * *

١٤ ـ وتبدأ سورة الشعراء بقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[5].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[6] إلى آخر الآيات في الموضوع.

* * *

١٥ ـ وتبدأ سورة القصص بقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[7].

---

(١) سورة طه، الآيتان (١، ٢).
(٢) سورة طه، الآية (١٣٥).
(٣) سورة الفرقان، الآية (١).
(٤) سورة الفرقان، الآية (٧٧).
(٥) سورة الشعراء، الآيات (١ ـ ٣).
(٦) سورة الشعراء، الآيات (٢١٧ ـ ٢١٩).
(٧) سورة القصص، الآيات (١ ـ ٣).

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1] إلى آخر الآيات في الموضوع.

* * *

١٦ ـ وتبدأ سورة السجدة بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[2].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[3].

* * *

١٧ ـ وتبدأ سورة الأحزاب بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[4].

وفي آخر السورة قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾[5] إلى آخر الآيات في الموضوع.

* * *

١٨ ـ وتبدأ سورة يٓس بقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[6].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[7] إلى آخر الآيات في الموضوع.

* * *

١٩ ـ وتبدأ سورة الشورى بقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[8].

---

(١) سورة القصص، الآية (٨٥).
(٢) سورة السجدة، الآيات (١ ـ ٣).
(٣) سورة السجدة، الآية (٣٠).
(٤) سورة الأحزاب، الآية (١).
(٥) سورة الأحزاب، الآية (٦٣).
(٦) سورة يس، الآيات (١ ـ ٣).
(٧) سورة يس، الآية (٧٩).
(٨) سورة الشورى، الآيات (١ ـ ٣).

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾[1] إلى آخر الآيتين.

* * *

٢٠ ـ وتبدأ سورة الفتح بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[2].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾[3] إلى آخر الآية.

* * *

أكتفي بهذه النماذج للدلالة على الفكرة المطروحة في موضوع أطر السور[4].

ولا بد من الإشارة أنه في كثير من السور يأتي الخطاب بعد عدد من الآيات في بدء السورة، ليكون الخطاب تقريراً لما جاء فيها أو تأكيداً لها.

وفي كثير من السور يأتي الحديث في بدئها عن القرآن الكريم، ثم يكون الخطاب للرسول الكريم ﷺ بعد ذلك.

وخلاصة القول: إن هذا الأسلوب في عرض كثير من السور، مبتدأة بخطاب الرسول ﷺ والحديث إليه أو عنه، ومختتمة بذلك لدليل على التكريم الذي أراده الله لحبيبه محمد ﷺ.

---

(١) سورة الشورى، الآية (٥٢).
(٢) سورة الفتح، الآية (١).
(٣) سورة الفتح، الآية (٢٩).
(٤) هذه الظاهرة ـ ظاهرة الأطر للسور الكريمة ـ لفتت نظري إليها تلاوة للقرآن الكريم منذ أكثر من عشرين عاماً، وكان ذلك يومئذٍ بقصد كتابة موضوع عن القرآن المكي ليأخذ مكانه في كتاب «من معين السيرة» وقد كنت أظن أن هذه الظاهرة خاصة بالقرآن المكي، ولكن تبين لي فيما بعد أنها كذلك في القرآن المدني. وهي ظاهرة تستحق الدراسة، ولعل الله تعالى ييسر من الوقت ما يتيح لي استكمالها، أو ييسر لها من يستكملها.

الفصل الثالث

ذكر آيات وسور وردت في تعظيم قدره ﷺ

الآيات الواردة في ذلك:

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تنبه على مكانة النبي ﷺ وتعظيم قدره وقد وقف عندها كتاب السيرة طويلاً وأفاضوا في شرحها.

ونذكر منها:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٨).
(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٤).
(٣) سورة المائدة، الآية (١٩).

ففي هذه الآيات:

١ ـ منُّ الله تعالى على عباده المؤمنين أن بعث فيهم هذا الرسول، والمن لا يكون إلا في الأمور الكبيرة والأعطيات العظيمة، وبخاصة إذا كان من الله تعالى.

٢ ـ وصف الرسول ﷺ بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

٣ ـ كما وصفه بأنه عزيز عليه كل ما يوقع المؤمنين في المشقة والحرج.

٤ ـ كما وصفه بالحرص على هدايتهم.

٥ ـ وبين أن من مهماته تزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة فهو المرشد لهم والآخذ بأيديهم إلى الهدى والمنقذ لهم من الضلال.

٦ ـ وهو البشير والنذير.

٧ ـ وفي قوله تعالى: ﴿رَسُولُنَا﴾ إضافة تشريف له ﷺ.

❁ ❁ ❁

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١].

إن هذا المنهج الذي جاء به هذا الرسول الكريم ﷺ جاء بالرحمة لكل الناس وحيثما يطبق فإن الناس ـ كل الناس ـ سيعيشون في ظلال رحمته الوارفة.

ولقد سجل التاريخ المقالة المشهورة «لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب» والعرب يومئذٍ هم مادة الإسلام ونواة المسلمين، وما كانوا كذلك إلا بهذا الدين الحنيف.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

على أن هذه الرحمة التي جاء بها رسول الإسلام ﷺ قد تجاوزت الإنسان لتصل إلى الحيوان بل وإلى النبات.

إنه ﷺ رحمة للعالمين.

❁ ❁ ❁

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(١).

فقد جعل الله تعالى إطاعة الرسول ﷺ إطاعة له، لأنه لا يأمر إلا بما أمر به الله تعالى، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه. ومن هنا كانت طاعته طاعة لله، وأي تشريف أعظم من هذا؟!.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾(٢).

فقد جمعت الآية الكريمة بين الطاعتين بواو العطف.

❁ ❁ ❁

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٣).

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ في شرح الآية: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ رفعناه في الملأ الأعلى ورفعناه في الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعاً، رفعناه فجعلنا اسمك مقروناً باسم الله كلما تحركت به الشفاه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وليس بعد هذا رفع، وليس وراء هذا منزلة، وهو المقام الذي تفرد به ﷺ دون سائر العالمين.

ورفعنا لك ذكرك في اللوح المحفوظ، حين قدر الله أن تمر

---

(١) سورة النساء، الآية (٨٠).
(٢) سورة آل عمران، الآية (٣٢).
(٣) سورة الشرح، الآية (٤).



القرون، وتكر الأجيال، وملايين الشفاه في كل مكان تهتف بهذا الاسم الكريم، مع الصلاة والتسليم، والحب العميق العظيم.

ورفعنا لك ذكرك، وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهي الرفيع، وكان مجرد الاختيار لهذا الأمر رفعة ذكر لم ينلها أحد من قبل ولا من بعد في هذا الوجود.

* * *

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[1].

قال القاضي عياض في «الشفا»: هذه آية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة، وشتات الإنعام في الدارين، والزيادة.

وقال ابن كثير: «أي يعطيه في الدار الآخرة حتى يرضيه في أمته، وفيما أعدَّ له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر».

ومن هذا العطاء الشفاعة بأنواعها يوم القيامة.

* * *

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وقد كان خلقه ـ ﷺ ـ القرآن. كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

قال سيد قطب رحمه الله، عند هذه الآية:

«وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم، ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود.

---

(١) سورة الضحى، الآية (٥).

(٢) سورة القلم، الآية (٤).



ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومدلول الخلق العظيم هو: ما هو عند الله، مما لايبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين.

ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد ﷺ تبرز من نواح شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله.

وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد ﷺ لتلقيها، وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة، ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو، إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التي يدرك منها ما لا يدركه أحد من العالمين.

إن إطاقة محمد لتلقي هذه الكلمة، من هذا المصدر، وهو ثابت.. ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها. هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل.

ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر..».

❁ ❁ ❁

ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٦).

قال ابن كثير: قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.

قال: والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً.

وجاء في ظلال القرآن:

«يا لها من مرتبة سنية حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه، ويشرق به الكون كله، وتتجاوب به أرجاؤه، ويثبت في كيان الوجود ذلك الثناء الأزلي القديم الأبدي الباقي، وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم.

وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلي وتسليمه، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم، إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم إلى تسليمه، وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوي الكريم الأزلي القديم».

❁ ❁ ❁

تلك بعض الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في تعظيم قدر النبي ﷺ وبيان مكانته عند الله تعالى.

وكل آية ـ لو كانت وحدها ـ فيها من التنويه بقدره ما تعجز ألسنة البشر وأقلامهم عن وصفه وبيان مقداره، فكيف والآيات في هذا الباب كثيرة كثيرة. وقد وقفنا على بعضها.

فاللهم صل على سيدنا محمد في الأولين.

وصل على سيدنا محمد في الآخرين.

وصل على سيدنا محمد في النبيين.

وصل على سيدنا محمد في المرسلين.

وصل على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

❁ ❁ ❁

السور الواردة في ذلك:

رأينا في الفصلين: الأول والثاني من هذا الباب ظاهرة الخطاب القرآني للرسول الكريم ﷺ وما تدل عليه من تكريم.

وفي الفقرة السابقة من هذا الفصل وقفنا أمام بعض الآيات التي تسجل فضل الرسول ﷺ وعظيم قدره.

والقارئ للقرآن الكريم تستوقفه سور بكاملها مدار الآيات فيها حول الحديث عن الرسول وبيان فضله ومكانته.

وإذا كان المقام لا يسمح بتسجيل هذه السور بكاملها والوقوف أمام آياتها وبيان ما ينضوي تحتها من المعاني الكريمة، لأن ذلك يخرج بنا عن منهج البحث في هذا الكتاب فلا أقل من الإشارة إليها، الأمر الذي يرشد القارئ الكريم إليها، وبرجوعه إليها وتلاوتها، وتأمل آياتها بروية وتؤدة، يتحقق الهدف الذي قصدت إليه في هذه الفقرة.

وهذه السور هي:

١ ـ سورة الأحزاب.

٢ ـ سورة الفتح.

٣ ـ سورة الضحى.

٤ ـ سورة الشرح.

٥ ـ مقدمة سورة النجم.

إنه فضل الله يؤتيه من يشاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

الفصل الرابع
آيات وردت في التشريف بمقام العبودية لله تعالى

إن ما سبق من الحديث عن تكريم الله تعالى لرسوله ﷺ إنما هو تكريم لعبد من عباد الله، اختصه الله تعالى بهذا الفضل، وهو بشر من البشر، كما تقرر ذلك واضحاً في آيات من القرآن الكريم، وقد سجلت هذه الحقيقة بعيداً عن كل لبس.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الكهف:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾.

وقوله تعالى في سورة فصلت:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾.

وقد كان هذا كافياً لتقرير هذه الحقيقة، ولكن الله تعالى أكدها في آيات أخرى كثيرة، مع تأكيد معنى التكريم والتخصيص بالفضل. ومن ذلك:



قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ



ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

فالعبد هنا: هو محمد ﷺ، والإضافة «بعبده» للتشريف إذ كل الناس عباد لله.

وأي تشريف أعظم من هذا.

وإذا علمنا أن الآية الكريمة تتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج التي كانت تكريماً له ﷺ علمنا أن اختيار هذا اللفظ «عبده» يعني أنه أشرف الأوصاف لأنه ورد في مقام بيان التكريم الذي خصه به دون سائر الأنبياء والرسل.

هذا الحدث الذي يبدأ الحديث عنه: بتمجيد الله تعالى نفسه، وتعظيم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه. فلا إله غيره ولا رب سواه.. وما ذاك إلا ليري عبده الآيات الكبرى.

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ:

«وتذكر صفة العبودية ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ لتقريرها وتوكيدها في مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات التي لم يبلغها بشر، وذلك كي لا ننسى هذه الصفة، ولا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية، كما التبسا في العقائد المسيحية بعد عيسى عليه السلام، بسبب ما لابس مولده ووفاته..»

❁ ❁ ❁

كانت الآية الكريمة السابقة تسجيلاً للرحلة العظيمة عند ابتدائها، حيث كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وتأتي آيات سورة النجم لتنقل لنا جانباً آخر من هذه الرحلة، ولكنه من الملأ الأعلى، حيث سدرة المنتهى.

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١).



ولنستمع إلى الآيات الكريمة في خشوع وتدبر:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ⑭ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾[1].

تتحدث الآيات الكريمة عن جبريل عليه السلام حين تبدى للرسول ﷺ في صورته التي جبل عليها حيث كان رسول الله ﷺ بحراء وذلك في مبدأ الوحي فسدَّ الأفق بخلقه الهائل، ثم دنا فاقترب منه فكان على بعد ما بين القوسين أو أدنى.

ثم رأى رسول الله ﷺ جبريل على تلك الصورة في حادثة المعراج عندما كان ﷺ عند سدرة المنتهى..

ووصوله ﷺ إلى حيث سدرة المنتهى، بل إلى حيث توقف جبريل وتابع ﷺ مسيره.. تكريم وأي تكريم.

ومع ذلك جاء النص القرآني بصفة العبودية لتكون الصفة المختارة خلال الحديث عن هذا التكريم العظيم فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ أي أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى.

ومرة أخرى تكون الصفة، صفة العبودية مضافة إضافة التشريف والتكريم.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النجم، الآيات (١ ـ ١٥).

وليس من قبيل المصادفة أن تكون هذه الصفة هي المختارة للآية الأولى من سورة الكهف حيث قال تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾.

إنه حدث آخر عظيم، إنه إنزال الكتاب العظيم على محمد عبد الله ورسوله ﷺ ولعظمة الموضوع يبدأ الله تعالى بحمد ذاته المقدسة على ذلك، إنه الكتاب الذي أنعم الله به على أهل الأرض ليخرجهم به من الظلمات إلى النور.

إنها الأحداث العظيمة:

الإسراء.

والمعراج.

وإنزال الكتاب.

تُختار له هذه الصفة «عبده» من بين كل الصفات، ألا يدل ذلك على أنها من صفات التشريف والتكريم؟! بلى إنها كذلك.

❁ ❁ ❁

ويدخل تحت هذا العنوان لهذا الفصل آيات خوطب بها ﷺ من خلال صفة العبودية، واستشكلها بعضهم، منها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[١].

والقصة التي تشير إليها هذه الآيات، كما قال ابن كثير: «ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض

---

(١) سورة عبس، الآيات (١ ـ ١١).

عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه، إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وودَّ النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فنزلت».

والآيات الكريمة وصف للنبي ﷺ في تلك الساعة، من الناحية الظاهرة التي تتعلق بوجهه ومن الناحية النفسية.

وقد جاءت الصورة الحسية بصيغة الغائب ثم تحول الأسلوب إلى الخطاب بعد ذلك. وهذا من التلطف بالعتاب إذ لم يواجهه به مواجهة.

والرسول ﷺ اجتهد في هذه القضية، ولكن التوجيه الإلهي جاء بغير اجتهاده وكان توجيهاً له في المستقبل.

وبمقدار ما تحمل هذه الآيات من عتاب للنبي ﷺ بمقدار ما تبين رفعة الدعوة وكرامتها وعظمتها، واستغناءها عن كل أحد، وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها، كما يقول سيد قطب رحمه الله.

ويقول القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: ليس في الآيات إثبات ذنب له، بل إعلام الله له أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى[١].

* * *

ومما استشكل قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[٢].

هذه الآية وغيرها في سورة التوبة وردت في فضح المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج إلى غزوة تبوك.

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني، تحقيق صالح الشامي ٣/ ٢٥٤.
(٢) سورة التوبة، الآية (٤٣).

قال مجاهد ـ كما عند ابن كثير ـ: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا. ولهذا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾.

هذه هي قصة هذه الآية وموضوع سبب نزولها.

فرأى بعضهم أن هذا غاية في اللطف في المعاتبة. كما نقل سفيان بن عيينة عن مسعر عن عون قال: هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا؟ نداء بالعفو قبل المعاتبة[1].

ورأى عمرو بن ميمون: أن ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه، كما يقول الرجل لغيره إذا كان عظيماً عنده: عفا الله عنك، ما صنعت في أمري، ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي، وعافاك الله ألا عرفت حقي. فلا يكون غرضه من هذ الكلام إلا زيادة التبجيل والتعظيم، وليس «عفا» هنا بمعنى: غفر، بل كما قال ﷺ: (عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق) ولم تجب عليهم قط، أي لم يلزمكم ذلك[2].

❁ ❁ ❁

رأينا أقوال العلماء في هاتين الآيتين، والحقيقة أنه ليس هناك ما يستشكل، فالرسول ﷺ لم يرتكب ذنباً، ولم يأت بمعصية، فهو لم يترك أمراً، ولم يأت منهياً عنه، وإنما هو الاجتهاد في وقائع لم يسبق فيها أمر ولا نهي. وهي محل للصواب والخطأ، والرسول ﷺ ـ بشر ـ يخطىء ويصيب في اجتهاده، وللمخطىء هنا أجر وللمصيب أجران. وإنما جاء العتاب في أنه لم يحرز الأجرين وهو أهل لذلك.

وإذن فهذه الوقائع حدثت بتقدير من الله تعالى لتأكيد صفة العبودية في ذاته الكريمة ﷺ وهذا كما سبق في أول الفصل تكريم له لونه الخاص.

---

(١) تفسير ابن كثير.
(٢) المواهب اللدنية ٤/٢٥٦.

الفصل الخامس
التوجيه القرآني
إلى الأدب في خطاب النبي ﷺ

رأينا في الفصول السابقة نماذج من الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ. ورأينا كيف كان في أسلوب هذا الخطاب كل التكريم له، والبيان لرفيع منزلته وعظيم قدره.

ويحسن بنا أن نختم هذه الفصول ببيان الأدب الذي وجه إليه القرآن الكريم في كيفية تعامل المسلمين مع نبيهم ﷺ في ميدان الأدب الاجتماعي.

وقد ورد ذلك في آيات:

عدم التقدم بين يديه:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

قال ابن كثير: هذا أدب أدب الله تعالى به عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام. والمعنى: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه: أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور.

---

(١) سورة الحجرات، الآية (١).

قال العوفي: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

وقال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله في شرائع دينكم[1].

«فمن الأدب أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف، حتى يأمر هو وينهى، ويأذن، كما أمر الله تعالى في هذه الآية.

وهذا باقٍ إلى يوم القيامة لم ينسخ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته، كالتقدم بين يديه في حياته، لا فرق بينهما عند كل ذي عقل سليم»[2].

عدم رفع الصوت عنده:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾[3].

أخرج البخاري في سبب نزول الآية: عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب من بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر ـ قال نافع: لا أحفظ اسمه ـ فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله:

---

(١) تفسير ابن كثير عند الآية الكريمة.
(٢) المواهب اللدنية للقسطلاني ٣/ ٢٣٠.
(٣) سورة الحجرات، الآيتان (٢، ٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[١].

جاءت الآية الكريمة لتؤدب المؤمنين وتبين كيف ينبغي أن يكون حديثهم معه ﷺ، بل وتحدد مستوى ارتفاع أصواتهم بحيث لا يكون أعلى أو فوق صوته ﷺ وقد كان الالتزام كاملاً بتنفيذ هذا الأمر، كما هو شأنهم في كل أوامر الله تعالى.

روي أن أبا جعفر أمير المؤمنين ناظر مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله عزّ وجلّ أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ الآية، وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآية، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر.

وإذا كان رفع الأصوات فوق صوته موجباً لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به[٢]؟!.

وأخرج البخاري: عن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ[٣]؟!.

هكذا فهم الصحابة هذا الأدب الذي أدبهم به الله سبحانه وتعالى، و هكذا طبقوه في حياته ﷺ وبعد موته.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٤٥).
(٢) المواهب اللدنية ٣/ ٢٣٢.
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٧٠).

كيفية نداء النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[1].

إن الله تعالى عندما خاطب الأنبياء خاطبهم بأسمائهم، ولكنه عندما خاطب نبينا محمداً ﷺ خاطبه بأسلوب آخر:

فقال عندما خاطب أنبياءه عليهم الصلاة والسلام:

﴿يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾[2] ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[3].

﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[4] ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾[5].

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[6] ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[7].

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[8].

﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي﴾[9] ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾[10].

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣.
(٢) سورة البقرة، الآية (٣٣).
(٣) سورة البقرة، الآية (٣٥).
(٤) سورة هود، الآية (٤٦).
(٥) سورة هود، الآية (٤٨).
(٦) سورة هود، الآية (٧٦).
(٧) سورة الصافات، الآيتان (١٠٤ ـ ١٠٥).
(٨) سورة ص، الآية (٢٦).
(٩) سورة الأعراف، الآية (١٤٤).
(١٠) سورة النمل، الآية (١٠).

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾[1].

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾[2].

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾[3].

وقال عندما خاطب رسولنا ﷺ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[5].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾[6] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾[7].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾[8] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[9].

وهكذا فالقرآن الكريم قد ميز الرسول ﷺ بأسلوب خاص في النداء مما يدل على خصوصية في التكريم.

ومن باب أولى أن يكون التوجيه القرآني للمؤمنين: أن لا يجعلوا دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضاً.

فلا يدعونه باسمه كما يدعو بعضهم بعضاً، بل يقولون في ندائهم: يا رسول الله، يا نبي الله، مع التوقير والتواضع.

---

(١) سورة مريم، الآية (٧).
(٢) سورة مريم، الآية (١٢).
(٣) سورة المائدة، الآية (١١٠).
(٤) سورة المائدة، الآية (٤١).
(٥) سورة المائدة، الآية (٦٧).
(٦) سورة الأنفال، الآية (٦٤).
(٧) سورة التوبة، الآية (٧٣).
(٨) سورة المزمل، الآيتان (١، ٢).
(٩) سورة المدثر، الآيتان (١، ٢).

قال ابن عباس - كما في تفسير ابن كثير -: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عزّ وجلّ عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ قال: فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

استئذانه ﷺ عند الانصراف:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وهذا أدب آخر يرشد الله المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لا سيما إذا كانوا مع الرسول ﷺ في أمر جامع، كاجتماع في مشورة ونحو ذلك.

أدب مناجاته ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

خلاصة المعنى الذي يفهم منها: أن الله أمر عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ - أي يساره فيما بينه وبينه - أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام.

---

(١) سورة النور، الآية ٦٢.

(٢) سورة المجادلة، الآيتان (١٢، ١٣).



وهذا جانب آخر من إشعار المؤمنين بمقام النبي ﷺ، وإكرام الله تعالى له إذ فرض على من أراد مناجاته أن يقدم قبل ذلك صدقة، هذه الصدقة التي هي إحدى الوسائل لطهارة النفس وتزكيتها، كما أشعر بذلك تتمة الآية الكريمة.

أخرج ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (ما ترى، دينار؟) قال: لا يطيقون، قال: (نصف دينار؟) قال: لا يطيقون، قال: (ما ترى؟) قال: شعيرة، فقال له النبي ﷺ: (إنك لزهيد) قال: فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ﴾ قال علي: في خفف الله عن هذه الأمة[1].

روى مجاهد عن علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله عزّ وجلّ لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار، فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم، فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية[2].

ومهما يكن من أمر، فإن معنى الآية من الاحترام والتبجيل والتقدير للنبي ﷺ قائم مستمر لم ينسخ وإنما الذي نسخ هو تقديم الصدقة وحده، تخفيفاً عن المسلمين[3].

---

(١) تفسير ابن كثير عند الآية الكريمة.

(٢) تفسير ابن كثير عند الآية الكريمة.

(٣) الذي نسخ هو وجوب الصدقة، وهذا لا يمنع من استمرار الأمر على طريق الندب، ومن العلماء من رأى الأمر على عمومه فالمراد بالمناجاة في نظره الخطاب فلما أراد أن يدخل المسجد النبوي الشريف للصلاة فيه والسلام على النبي ﷺ ـ وكنت معه ـ أخرج شيئاً من المال فتصدق به وتلا الآية الكريمة ثم دخل.

وهو فهم يلتقي مع فهم الإمام مالك وفهم سيدنا عمر رضي الله عنه الذي سبقت الإشارة إليها في رفع الصوت في المسجد النبوي.



الفصل السادس
أدب السلف في تعظيم السنة

رأينا في الفصل السابق كيف ربى القرآن الكريم المسلمين على الأدب الرفيع في خطاب النبي ﷺ.

وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك من جاء بعدهم من سلف هذه الأمة، أن هذا الأدب ينجر إلى التعامل مع حديثه ﷺ.

فعندما ينهى القرآن الكريم عن التقدم بين يديه ﷺ برأي أو غيره، فهذا يعني أنه لا ينبغي ـ أيضاً ـ التقدم بين يدي حديثه برأي أو قول لغيره. فلا يُعارض قول النبي ﷺ بقول بشر كائناً من كان.

وقد اشتد إنكارهم على من فعل ذلك.

ويحسن بنا أن نذكر بعض الأمثلة التي توضح هذا الجانب المهم، الذي ربما غاب عن أذهان كثير من المسلمين.

١ ـ أخرج مسلم من حديث سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تمنعوا نساءَكم المساجدَ إذا استأذنَّكم إليها) فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهنَّ. قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سبّاً ما سمعته سبَّه مثله قط، وقال:

أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهنَّ؟!!

وفي رواية:

قال: فضرب في صدره وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتقول: لا؟![1].

٢ ـ وأخرج الشيخان من حديث عبد الله بن مغفَّل: أنه رأى رجلًا يخذف[2] فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف أو كان يكره الخذف.

ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف، وأنت تخذف!! لا أكلمك كذا وكذا[3].

وهكذا هجر عبد الله صاحبه هجرة لله عز وجل بسبب عدم أدبه والتزامه لما سمع من حديث رسول الله ﷺ.

٣ ـ أخرج مسلم من حديث أبي قتادة قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ قال: قال رسول الله ﷺ: (الحياء خير كله).

فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة: أن منه سكينة ووقاراً لله، ومنه ضعف.

قال: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتعارض فيه؟![4].

٤ ـ وأخرج الدارمي عن قتادة قال: حدث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي ﷺ. فقال رجل: قال فلان كذا وكذا. فقال ابن سيرين: أحدثك عن النبي ﷺ وتقول: قال فلان وفلان كذا وكذا؟! لا أكلمك أبداً[5].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٤٢).
(٢) يخذف: هو الرمي بحصاة أو نواة ونحوها.
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٤٧٩)، ومسلم (١٩٥٤).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٧).
(٥) أخرجه الدارمي برقم (٤٤١).



٥ - وأخرج أيضاً عن عبادة بن الصامت: أن النبي ﷺ نهى عن درهمين بدرهم، فقال فلان: ما أرى بهذا بأساً يداً بيد، فقال عبادة: أقول قال النبي ﷺ وتقول: لا أرى به بأساً؟! والله لا يظلني وإياك سقف أبدا[١].

٦ - وأخرج عن ابن عباس أنه قال: أما تخافون أن تعذبوا، أو يخسف بكم أن تقولوا: قال رسول الله، وقال فلان[٢].

٧ - وأخرج عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز: أنه لا رأي لأحد في سنة سنها رسول الله ﷺ[٣].

هكذا فهم الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح. أن قوله ﷺ وحي من الوحي وأنه لا مجال لمعارضته بالرأي.

وهكذا ينبغي أن يكون موقف كل مسلم، التزاماً بالأدب القرآني الكريم.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الدارمي برقم (٤٤٣).
(٢) أخرجه الدارمي برقم (٤٣١).
(٣) أخرجه الدارمي برقم (٤٣٢).



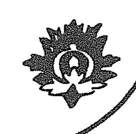

إهداء من شبكة الألوكة

شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الحصري
NEW & EXCLUSIVE







الباب الرابع

حكم من سبّ النبي ﷺ أو تنقّصه



إن الآيات القرآنية الكريمة التي نصت على توقير النبي ﷺ وتعظيمه أكثر من أن تحصى، وقد رأينا بعضاً منها في الباب السابق.

وكان من المستحسن أن نبين حكم من ذهب في الاتجاه الآخر فسب النبي ﷺ أو انتقصه، فكان في سلوكه هذا مخالفاً لما أوجبه الكتاب العزيز في حقه ﷺ من التبجيل والتكريم، وذلك حتى يكون المسلم على بصيرة من أمره، فلا يأتي ما يؤدي به إلى الهلاك في الدنيا والآخرة.

ونذكر ذلك في فصول:

الفصل الأول

مقتضيات الإيمان بالرسول ﷺ

الإيمان بالرسول ﷺ:

الإيمان بالرسول ﷺ هو أحد ركني كلمة التوحيد «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» والتي لا يكون المسلم مسلماً إلا بعد النطق بها.

وهو أيضاً أحد أركان الإيمان.

وهكذا فالإيمان بالله ورسوله ركن مشترك بين أركان الإسلام وأركان الإيمان.

فكونه ركناً من أركان الإسلام، يمثل الجانب الظاهر من النطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما.

وكونه ركناً من أركان الإيمان، الذي هو اعتقاد القلب، يمثل استسلام الجانب الباطن وخضوعه لمقتضى الشهادتين، وهو الذي يخرج المسلم من دائرة النفاق. إذا المنافق إنسان أسلم ظاهره ولم يسلم باطنه.

ومعنى الإيمان بالرسول ﷺ: هو الإيمان بأن الله تعالى أرسله إلى الناس كافة يبلغهم شريعة الله، وأن كل ما يقوله حق، وأنه لا ينطق عن الهوى، وأن ما ينطق به إنما هو وحي يوحى..

ومعنى الإيمان: التصديق الكامل الذي لا يقربه ريب أو شك.

ولا يكون الإيمان إلا عن رضى ورغبة، فلا يكون تحت عوامل الضغط والرهبة والإكراه.

مقتضيات الإيمان به ﷺ:

الإيمان وإن كان مقره القلب، فإن له أثراً في ظاهر الإنسان وسلوكه. وقد أجمع علماء هذه الأمة على أن الإيمان قول وعمل:

ومن مقتضيات هذا الإيمان:

١ ـ طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

٢ ـ محبة الله ورسوله. ففي الحديث المتفق عليه عن أنس: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)(١).

٣ ـ الاقتداء والتأسي به ﷺ: قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٣).

٤ ـ الرضى بما شرعه: قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٤).

وواضح من نص الآية الكريمة أن المطلوب الرضى الذي ينبع من داخل النفس لا مجرد الإذعان الظاهر.

٥ ـ كثرة ذكره ﷺ، وتعظيمه عند ذلك، والصلاة و التسليم عليه عندما يذكر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥) ومسلم (٤٤).
(٢) سورة آل عمران، الآية (٣١).
(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢١).
(٤) سورة النساء، الآية (٦٥).

٦ـ حب كل ما أحب وكره كل ما كره، حتى يصل المسلم بهذا إلى أن يكون حبه لله وكرهه لله، فلا يحب إلا لله ولا يكره إلا به وبهذا يستكمل الإيمان.

٧ ـ أن يكون هواه تابع لما جاء به، كما قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)[١].

لا يصدر انتقاص النبي ﷺ عن مسلم:

إن المسلم الذي آمن بالرسول ﷺ وعاش حياته متقلباً في مقتضيات هذا الإيمان، فأحب الرسول ﷺ وأطاعه في كل ما أمر، وتأسى به في أقواله وأفعاله ورضي من قرارة نفسه بكل ما شرع تسليماً وحباً، وأخضع هواه لكل ما جاء به فأصبحت رغباته وشهواته في إطار الشرع وحدوده، وكان ذكر النبي ﷺ على لسانه.

فهو معه ﷺ ابتداء من استيقاظه إلى أن ينام وحتى أثناء النوم إذا تقلب من جنب إلى جنب ذكر الله تعالى اقتداء بفعل رسوله ﷺ.

إنه في صباحه ومسائه وصلاته وعبادته، في أكله وشربه، في لقائه بالآخرين ووداعهم، في فرحه وترحه، في غناه وفقره.. يعيش ورسول الله ﷺ في ذاكرته لأنه يطبق في كل حالة وكل وضع ما نقل له من سنّة رسول الله ﷺ وعمله وقوله في تلك الحالات.

كيف للمسلم الذي هذا بعض حاله، كيف يتصور أن يصدر عنه ما يسيء إلى رسول الله ﷺ أو ينتقص من قدره.

إنه أمر غير متصور حقاً إلا في أذهان الذين لا يعرفون حقائق هذا الدين وثوابته التي لا يكون إلا بها.

---

(١) فتح الباري ٢٨٩/١٣ وقال: أخرجه الحسن بن سفيان وغيره، ورجاله ثقات، وقد صححه النووي في آخر الأربعين.



الفصل الثاني
النفاق والإيذاء

كان المشركون في مكة مصدر الإيذاء ابتداء من البعثة، وحتى الهجرة، وبلغ هذا الإيذاء ذروته عند الهجرة عندما حاولوا قتل النبي ﷺ.

وبعد الهجرة وانتصار المسلمين في غزوة بدر، بدأ المنافقون دورهم ومن ورائهم اليهود في إيذائهم النبي ﷺ.

وقد سجلت السيرة، وكذلك آيات القرآن الكريم، أحداث هذا الإيذاء، وقد مر ذكر بعض ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب[1].

وهكذا فقد كان الإيذاء المقصود صادراً عن غير المسلمين طيلة حياة النبي ﷺ، ولم تسجل حادثة واحدة عن مسلم.

ذلك أن هذا النوع من السلوك يتنافى مع الإيمان تنافي تضاد ولا يمكن أن يصدر عنه بحال من الأحوال.

وقد كان ﷺ يتجاوز عن ذلك ولا يعاقبهم، في معظم الأحوال، لما قد يترتب على ذلك من عوائق في سبيل الدعوة، وحتى لا يقال ـ كما ورد في الحديث جواباً لعمر عندما اقترح قتل بعض المنافقين ـ (إن محمداً يقتل أصحابه).

(١) المراد كتاب «من معين السيرة» والذي يمثل الجزء الأول من هذه الدراسة، والجزء الثاني «من معين الشمائل» والكتاب الذي بين أيدينا هو الجزء الثالث والأخير.



على أن عقوبة الله تعالى قد حلت بالمنافقين في الدنيا قبل الآخرة إذ نزلت آيات القرآن الكريم تبينهم وتفضحهم من خلال أفعالهم وأقوالهم حتى يعرفهم المؤمنون ولا يغتروا بإسلامهم الظاهر.

وقد سميت سورة التوبة «الفاضحة» لكثرة ما ورد فيها من آيات تبين أحوالهم، بقولها ﴿وَمِنْهُم .. وَمِنْهُم﴾.

وكذلك في سورة الأحزاب بيان وافٍ لبعض سلوكهم وتصرفهم وكذلك سورة المنافقون.

وآيات وآيات في سور متعددة.

وقد أسر النبي ﷺ في آخر حياته بأسماء من بقي من المنافقين إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

تلك هي منابع الإيذاء التي سجلتها السيرة في حياة النبي ﷺ ، كان لا بد من بيانها قبل المضي في هذا البحث، حتى يعلم أن أرض الإيمان ليست مكاناً لاستنبات هذا السلوك المنحرف.



الفصل الثالث

حكم من سب النبي ﷺ أو انتقصه

بيان ما هو سب في حقه ﷺ:

قال القاضي عياض رحمه الله:

«اعلم أن جميع من سب النبي ﷺ أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه[1]، أو خصلة من خصاله. أو عرَّض به[2]، أو شبهه بشيء على طريق السب له، أو الإزراء عليه[3]. أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، والعيب له، فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب.

وكذلك من لعنه، أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه[4]، على طريق الذم، أو عبث[5] في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر[6]، ومنكر من القول وزور، أو عيره[7]

---

(١) (دينه) أي أو انتقص شريعته.

(٢) (أو عرض به) أي قال في حقه ما لا يليق به تعريضاً لا تصريحاً.

(٣) (الأزراء عليه) أي التنقيص له.

(٤) (بمنصبه) أي بمكانته أو بأصله وحسبه.

(٥) (أو عبث) أي أو قاله على طريق الهزل والمجون.

(٦) (هجر) أي فحش وقبح.

(٧) (عيره) أي نسب له ما فيه عار عليه.

بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه[1] ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة[2] لديه»[3].

وهكذا يستوعب القاضي رحمه الله ذكر كل الحالات التي يصدر فيها الانتقاص سواء أكانت تصريحاً أم تلميحاً، أو تعريضاً..

حكم من فعل ذلك:

اتفق علماء الأمة على أن حكم من فعل ذلك: القتل.

ولكنهم اختلفوا: هل يقتل حداً أو ردة.

- ومعنى أن يقتل حداً: أنه يقتل حتماً في الحال ولا تقبل توبته.

- ومعنى قتله ردة: أنه يستتاب قبل أن يقتل، فإن تاب وإلا قتل.

هذا في حق من فعل ذلك وهو مسلم، أما الكافر فيقتل حتماً.

وقد ذهب المالكية: إلى أنه يقتل حداً لا ردة، ولا تقبل توبته ولا عذره، إن ادعى سهواً أو غلطاً، وعبارة شيخهم العلامة خليل في مختصره: وإن سب نبياً أو ملكاً، وإن عرَّض أو لعنه، أو عابه أو قذفه، أو استخف بحقه، أو غيَّر صفته، أو ألحق به نقصاً، وإن في دينه أو خصلته أو غض من مرتبته أو وفور علمه، أو زهده، أو أضاف له ما لا يجوز عليه، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم[4].

وذهب الشافعية: إلى أن ذلك ردة، تخرج من الإسلام إلى

---

(١) (غمصه) أي نقص من قدره.

(٢) (المعهودة) أي المعتادة له ولسائر الأنبياء عليهم السلام.

(٣) الشفا للقاضي عياض ٢/ ٩٣٢ بتحقيق على محمد البجاوي.

(٤) المواهب اللدنية ٢/ ٦٨٣.

الكفر، فهو مرتد كافر قطعاً لا نزاع في ذلك، والمرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل[1].

وقال أبو حنيفة وأصحابه بما قال به الشافعية[2].

وإلى هذا ذهب الحنابلة أيضاً[3].

أدلة هذا الحكم:

وقد استدلوا على ذلك بالآيات الكريمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[4].

واللعنة من الله هي إبعاد الملعون عن رحمته وإحلاله في وبيل عقوبته.

قال القاضي عياض: وإنما يستوجب اللعن من هو كافر، وحكم الكافر القتل[5].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[7].

---

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٦٨٥.

(٢) الشفا للقاضي عياض ٢/ ٩٣٣.

(٣) الكافي لابن قدامة ٤/ ١٥٦، المكتب الإسلامي.

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٥٧).

(٥) الشفا ٢/ ٩٤٤.

(٦) سورة التوبة، الآية (٦١).

(٧) سورة التوبة، الآيتان (٦٥ ـ ٦٦).



قال القاضي عياض: أجمعت الأمة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه[1].

ولعل الذي دفع المالكية إلى القول بعدم قبول توبته. هو أن الذي يصدر منه سب أو انتقاص للرسول ﷺ، إنما يصدر عن سوء طوية استقرت في عقله الباطن، وما السب والتعريض إلا صدى لما في النفس، وهذا الأمر لا يجتمع مع الإيمان، ولذا اختلف الحكم فيه عن الذي ارتد عن الإسلام لعارض شبهة وما أشبه ذلك.

وهناك دليل عام على استحقاق المنتقص القتل. هو: أن الله ـ كما رأينا في الباب السابق ـ قد نص على تكريم رسوله ﷺ بطرق متنوعة قد وردت كلها بنصوص قرآنية، فكأن هذا السَّاب قد قصد مخالفة ما أمر الله تعالى به، وذهب في مخالفة أوامره سبحانه وتعالى.

وهناك أدلة كثيرة من السنة محلها كتب الفقه.

حكم من سمع السب والإيذاء:

ونتساءل عن حكم إنسان كان في مجلس فسمع فيه شتم النبي ﷺ، فما هو التصرف الذي ينبغي عليه أن يفعله.

وهذا يدخل حكمه في إطار إنكار المنكر وتغييره بحسب إمكاناته وقدرته، بالترتيب الذي نص عليه الحديث: باليد ثم باللسان، ثم بالقلب. وحينما يكون من الصنف الثالث الذي ينكر بقلبه فعليه أن يترك المجلس استنكاراً لما سمع وذلك أضعف الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[2].

---

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٦٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية (١٤٠).



قال ابن كثير: أي إنكم إذا رضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ وينتقص بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

وجاء في ظلال القرآن عند هذه الآية الكريمة:

«وأولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها، ويستهزأ بها، فيسكت ويتغاضى، يسمي ذلك تسامحاً، أو يسميه دهاء، أو يسميه سعة صدر وأفق، وإيماناً بحرية الرأي، وهي هي الهزيمة الداخلية، تدب في أوصاله، وهو يموه على نفسه في أول الطريق، حياءً منه أن تأخذه نفسه متلبساً بالضعف والهوان.

إن الحمية لله، ولدين الله، ولآيات الله، هي آية الإيمان، وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد، وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار، وإن الحمية لتكبت في أول الأمر عمداً، ثم تهمد، ثم تخمد، ثم تموت.

فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله، فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة، وهو المعبر بين الإيمان والكفر، على قنطرة النفاق...

والتهديد الذي يرتجف له كيان المؤمن: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

والوعيد الذي لا تبقى بعده بقية من تردد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

ولكن قصر النهي على المجالس التي يكفر فيها بآيات الله.. وعدم شموله لكل علاقات المسلمين بهؤلاء المنافقين، يشي بطبيعة الفترة التي كانت تجتازها الجماعة المسلمة ـ إذ ذاك ـ..» اهـ.

وما جاء في الآية ينطبق على قضية الجلوس في مجلس يساء فيه

إلى الرسول ﷺ فمن لم يكن قادراً على الرد وإحقاق الحق بعزة الإيمان وحمية المؤمن فلا أقل من أن يترك المجلس استنكاراً لما سمع.

❁ ❁ ❁

وأختم هذا الباب. وقد قصدت فيه إلى أمرين.

١ ـ بيان حكم من سب النبي ﷺ أو عرض به..

٢ ـ بيان أن السب أو التعريض لا يمكن أن يصدر عن مسلم، وإنما يصدر عن نفس عمرها النفاق، والنفاق قرين الكفر.




شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الحصري
NEW & EXCLUSIVE

الباب الخامس

المُعجِزات



نبحث في هذا الباب المعجزات، لا باعتبارها عنواناً آخر يضاف إلى الخصائص. بل باعتبارها نوعاً من الخصائص.

فالمعجزات في بحثنا لا تأخذ مكانها على اعتبارها دلائل نبوة، وإنما باعتبارها من الأمور التي فضل فيها النبي محمد ﷺ على غيره من الأنبياء، ككل تلك الأمور التي اختصه الله بها من حل الغنائم والنصر بالرعب مسيرة شهر وغير ذلك مما لم يكن للأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.

وسوف نقف على وجوه التفضيل والخصوصية فيها، في الفصول التالية.



الفصل الأول
التعريف بالمعجزة

قال العلماء في تعريف المعجزة: بأنها الأمر الخارق للعادة، الذي يجريه الله تعالى على يدي نبي مرسل، على سبيل التحدي، ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوته.

وقال الجرجاني في كتاب «التعريفات»: هي أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق مَن ادعى أنه رسول من الله.

قالوا: وسميت معجزة، لعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

ونلاحظ أن التعريفين يشتركان في أربعة عناصر، يحسن بنا أن نقف عليها:

الأول: أن تكون المعجزة خارقة للعادة، كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين الأصابع، وقلب العصا حية.

فخرج بهذا القيد، ما كان غير خارق للعادة، كطلوع الشمس كل يوم، أو طلوعها من المشرق.

الثاني: مقرونة بدعوى النبوة، كما جاء في تعريف الجرجاني، أو مقرونة بالتحدي كما جاء في التعريف الأول.

والمقصود بالتحدي طلب المعارضة والمقابلة، أي الطلب من المدعوين أن يأتوا بمثل ذلك.

وقال بعضهم: ليس ذلك ضرورياً، ويكفي أن يكون ذلك بدعوى الرسالة.

الثالث: أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.

ويخرج بقيد «التحدي» الأمر الخارق للعادة من غير تحد، وهو الكرامة للولي.

ويخرج بقيد «المقارنة» الأمر الخارق للعادة الذي يجري للرسول قبل دعوى الرسالة، مثل كلام عيسى في المهد، وشق صدر نبينا قبل الرسالة وهو صغير، فهذه ليست معجزات، إنما هي كرامات، وظهورها يعدّ «إرهاصاً» أو «تأسيساً» للنبوة.

وخرج أيضاً بقيد المقارنة ما يقع متأخراً عن التحدي.

ويخرج السحر المقرون بالتحدي، فإنه يمكن الإتيان بمثله.

الرابع: أن تقع المعجزة على وفق دعوى المتحدي بها.

فلو قال مدعي الرسالة: آية نبوتي أن تنطق يدي، فنطقت بكذبه، فذلك ليس بمعجزة لأنه لم يقع على وفق الدعوى.

وذلك مثل ما يروى عن مسيلمة الكذاب، أنه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت وذهب ما فيها من الماء.

قالوا: ومتى اختل شرط من هذه الشروط، لم تكن معجزة.

قالوا: ولا يدخل المسيح الدجال في هذه القضية لأنه يدعي الربوبية، لا الرسالة.

ولفظ المعجزة، لم يرد في القرآن ولا في السنة، وإنما ورد فيهما لفظ: «الآية» و «البرهان». وقد استعملته كتب السيرة.

واستعمل مصطلح «دلائل النبوة» لما هو أعم وأشمل من المعجزات، فالمعجزات بعض دلائل النبوة.



فقد بشرت الكتب السماوية السابقة بالرسول محمد ﷺ، فهذا من دلائل النبوة وليس من المعجزات.

ومن دلائل النبوة كونه ﷺ أمياً، وهذه ليست معجزة، وإنما هي من دلائل النبوة، فهو مع عدم علمه بالقراءة والكتابة، أنزل عليه هذا الكتاب المعجز.

ومن دلائل النبوة السمو الخلقي الذي كان عليه الرسول ﷺ، والذي سطرته كتب السنة، ثم انفردت به كتب الشمائل بعد ذلك، فاجتماع التواضع والحلم والشجاعة والكرم.. كل منها في أسما معانيها، لأكبر دليل على النبوة..

وكونه أعطي جوامع الكلم، فهذا من الدلائل..





الفصل الثاني
معجزته ﷺ القرآن

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)(١).

يقرر هذا الحديث الشريف عدداً من الحقائق منها:

١ ـ أن كل نبي لا بد له من معجزة أو أكثر، تدعو من شاهدها إلى الإيمان بصدقه.

٢ ـ وأن كل نبي يعطى من المعجزات ما يعد كافياً لحصول القناعة لدى قومه بدعواه، وأن الذين لا يؤمنون، لا يرجع سبب ذلك إلى عدم قناعتهم وإنما إلى معاندتهم واستكبارهم.

وهذا واضح في قوله ﷺ: (ما مثله آمن عليه البشر).

«والمثل يطلق ويراد به عين الشيء، وما يساويه. والمعنى: أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها. أي يؤمن بذلك مغلوباً عليه، بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه»(٢).

---

(١) متفق عليه (خ ٤٩٨١، م ١٥٢).

(٢) فتح الباري ٩/٦.



وقد أوضحت الصورة الدقيقة التي رسمها القرآن الكريم شأن الجاحدين والمعاندين، وكشفت عما تكن صدورهم ببيان لا يكون مثله إلا من عند الله تعالى، إذ هو العالم بالأسرار وما تكنه النفوس.

قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1].

٣ ـ يثبت الحديث أن ما أعطيه سيدنا محمد ﷺ برهاناً ودليلاً وآية على رسالته يختلف من حيث الجنس والنوع عما أعطيه الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام.

وذلك واضح في قوله ﷺ مسبوقاً بأداة الحصر: (وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ).

أي: إن معجزتي التي أتحدى بها، هي الوحي الذي أنزل عليّ، وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح.

وليس معنى ذلك أنه ﷺ لم يكن له من المعجزات غير القرآن، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره من الأنبياء.

وأن الدلالة على صدقهم تلك الآيات التي أعطاهم الله إياها.

وأن الدلالة على صدقه ﷺ هو هذا القرآن العظيم، أما بقية المعجزات فهي روافد ولها مهمات أخرى تؤديها في بناء الدعوة سيأتي الحديث عنها إن شاء الله.

وخلاصة ما أقصد إليه في هذا الفصل:

أن النبي محمداً ﷺ قد انفرد عن جميع الأنبياء السابقين، بأن جعل دليل وبرهان رسالته وحياً يتلى وهو القرآن.

وكانت دلائل وبراهين الأنبياء السابقين آيات مادية مضت ولم يبق منها إلا ذكرها الذي سجله القرآن الكريم، أو سجلته السنّة النبوية المطهرة.

وأي خصوصية أكبر من هذه الخصوصية؟!.

كتاب فيه الدعوة وفيه الحجة.

---

(١) سورة النمل، الآية (١٤).



الفصل الثالث
القرآن الكريم ومعجزات الأنبياء

من حكمة الله تعالى أن أعطى كل نبي من الآيات ما يتناسب مع مجتمعه لتكون الحجة قائمة عليهم، وكانت آية القرآن متناسبة مع مهمة الرسالة الخاتمة، ويحسن بنا أن نبين ذلك من خلال النقاط التالية:

١ ـ من حيث الزمن:

كانت الرسالات السابقة محدودة بالأقوام والأزمان، ولذلك كانت معجزاتهم ملبية لحاجة القوم الذي يعاصر النبي ثم يتناقل الأقوام بعد ذلك هذه المعجزات.

أما الرسالة الخاتمة فكانت مهمتها مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك كان لها سمة الاستمرار والبقاء، فقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم.

وبما أن الإسلام ناسخ لجميع الأديان، اقتضت حكمته تعالى أن تكون معجزة هذا الدين مستمرة بهذا الكتاب، لتكون الحجة قائمة على الناس ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة.

٢ ـ من حيث الأثر:

لاحظ العلماء عند دراستهم لتاريخ الأنبياء ومعجزاتهم: أن معجزات كل نبي كانت مناسبة لحال قومه، حتى يكون للمعجزة معنى، إذ هي تتحداهم فيما يتقنون.



فقد كان السحر فاشياً في عهد فرعون، فجاءت معجزة العصا عند موسى عليه السلام على صورة ما يصنع السحرة، ولكنها في حقيقتها أمر من أمر الله تعالى، ولذلك عندما وقعت المعارضة بين موسى وبين السحرة، كان السحرة أول من آمن، لأنهم الخبراء بهذا الفن، فعرفوا من حقيقة العصا ما لم يعرفه بقية الناس وما أحرانا أن نقف أمام القرآن الكريم وهو يصور لنا ذلك المشهد:

قال تعالى:

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١).

وأما في زمن عيسى عليه السلام فقد كان الأطباء في غاية الظهور، وصنعتهم هي الرائجة، فأتاهم عيسى عليه السلام بجنس عملهم بما لم تصل إليه قدرتهم. جاء بإبراء الأكمة والأبرص، وهي أمراض مستعصية على العلاج. وجاءهم بما لم يخطر بفكرهم ولا فكر الطب مهما تقدم. جاءهم بإحياء الموتى وكل ذلك بإذن الله تعالى.

قال تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾(٢).

---

(١) سورة الشعراء، الآيات (٣٨ ـ ٤٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٤٩).





وفي زمن محمد ﷺ كان العرب الذين بعث فيهم على الغاية من البلاغة والفصاحة. فجاء القرآن في بعض ما جاء فيه يتحداهم بما يتقنون من فن الكلمة، فقال تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ تحد ليس وراءه تحد مثله.

على أن تحدي القرآن هذا لم ينقضِ مع الزمن الذي نزل فيه، بل هو مستمر على مر العصور، وعلى تتابع البلغاء والفصحاء في كل قرن وكل جيل.

٣ ـ الحس والعقل:

وكانت معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حسية مادية تشاهد بالأبصار كالعصا واليد، وإبراء الأكمة والأبرص، وإحياء الموتى، بينما كانت معجزة القرآن محلها العقل وتشاهد بالبصيرة.

ولهذا كانت مستمرة، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهِده، وما يشاهد بعين العقل يشاهده كل ذي عقل على مر العصور[2].

هذه الجوانب وغيرها تجعل للقرآن خصوصية فريدة في كل وجه من وجوهها، لا يقاس بها غيرها، ولا يمكن أن يرقى لذلك.

٤ ـ وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

وقد تكلم العلماء في إعجاز القرآن الكريم، وألفت فيه الكتب،

---

(١) سورة البقرة، الآيتان (٢٣ ـ ٢٤).

(٢) انظر ـ إن شئت ـ فتح الباري ٩/٦ ـ ٧.



فعجزوا عن استيعاب ذلك، وكلما مرَّ الزمن برزت وجوه من الإعجاز لم تكن بادية من قبل.

قال الإمام ابن حجر ناقلاً عن الإمام عياض:

«وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء:

أحدها ـ حسن تأليفه والتئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.

ثانيها ـ صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً، حتى حارت فيه عقولهم، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله، مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك، وتقريعه لهم على العجز عنه.

ثالثها ـ ما اشتمل عليه من الأخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب.

رابعها ـ الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي، وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعة ـ آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها، فعجزوا عنها، مع توفر دواعيهم على تكذيبه، كتمني اليهود الموت.

ـ **ومنها**: الروعة التي تحصل لسامعه.

ـ **ومنها**: أن قارئه لا يمل من ترداده، وسامعه لا يمجه، ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة.

ـ **ومنها**: جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها، ولا تنتهي فوائدها» انتهى[1].

---

(١) فتح الباري ٩/٧.

أقول:

وما زالت وجوه الإعجاز تتوالى، فقد ظهر في أيامنا ما أطلق عليه: «الإعجاز العلمي» وطرحت معطياته بين أيدي الباحثين والعلماء. مما كان له الأثر الكبير في إسلام عدد من العلماء الكبار.

وبهذا أو غيره تظل معجزة القرآن فريدة بين المعجزات جميعها، سواء ما أعطي للأنبياء السابقين، أو ما كان لنبينا ﷺ من المعجزات الأخرى.

وأخيراً ـ وفي ختام هذا الفصل ـ لا بد من الإشارة، إلى أمر مهم، وخصوصية أخرى، وهي أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ هذا الكتاب الكريم، بنوعين من الحفظ. وهذا لم يكن لكتاب آخر.

النوع الأول من الحفظ: هو الحفظ الكلي. قال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

فقد تكفل الله تعالى بحفظه على مر الأيام والليالي، فلا يذهب منه شيء، ولا يضيع شيء.

محفوظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان.

النوع الثاني من الحفظ: هو حفظ الأجزاء. وهذا النوع من الحفظ هو تأكيد على جانب مما جاء في الحفظ الأول.

فقد قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

---

(١) سورة الحجر، الآية (٩).

(٢) سورة فصلت، الآيتان (٤١ ـ ٤٢).

فلم يستطع كل الملاحدة والمارقين من التشكيك في كلمة من كلماته أو حرف من حروفه.

ثم جاءت آية سورة النساء كالختم والتأكيد والبرهان على هذا الحفظ، وعلى ربانية المصدر، وذلك قوله تعالى:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

❁ ❁ ❁

(١) سورة النساء، الآية (٨٢).

الفصل الرابع
الدخيل على المعجزات

ما سبق به الحديث عن القرآن الكريم لا يعني أنه ﷺ لم يكن له معجزات أخرى غير القرآن، بل إن حياته ﷺ كانت حافلة بالآيات، وإذا قلنا بأن معجزاته الصحيحة تفوق من حيث العدد جميع معجزات الأنبياء السابقين، لم نجاوز الحقيقة.

ومع ما له ﷺ من معجزات كثيرة صحيحة، فقد كان هذا الميدان مرتعاً خصباً لدخول الموضوع من الأحاديث التي تحمل معجزات أخرى باطلة ويحسن بنا أن نقف على بعض الأسباب التي دفعت الوضاعين إلى سلوك هذا السبيل، وكنت قد أشرت إلى ذلك في مقدمة الكتاب. وأفصل بعض التفصيل فيما يتعلق بالمعجزات خاصة.

ويرجع سبب قبول الموضوع والضعيف فيها إلى عدة أسباب.

١ ـ المعجزات لا تخضع للعقل:

لما كانت المعجزات أموراً خارقة للعادة، وبالتالي فهي لا تخضع لميزان العقل، فقد وجد الوضاعون ثغرة ينفذون منها، حيث يمكن تمرير ما وضعوا دون الخضوع لرقابة العقل.

مثال ذلك ما يذكره بعض القصاص: أن القمر دخل في جيب النبي ﷺ وخرج من كمه.

فقد قال ابن كثير: لا أصل له[1].

وفي مثل هذا المقام نحن بحاجة إلى ما قاله ابن العربي في الرد على من تمسك بأحاديث باطلة من هذا النوع قال:

«إن ربنا لقادر، وإن نبينا لأهل لذلك، ولكن لا تقولوا إلا ما رويتم، ولا تخترعوا حديثاً من عند أنفسكم، ولا تحدثوا إلا بالثابتات، ودعوا الضعاف، فإنها سبيل إلى إتلاف ما ليس له تلافٍ»[2].

٢ ـ الرغبة بالجمع:

أولع بعض المؤلفين بالجمع، دون النظر إلى المصدر، حتى بات مثل كتاب «الأغاني» مرجعاً تؤخذ منه الأحاديث النبوية. وإذا وصل الأمر إلى هذا المستوى فلك أن تتخيل ما شئت، إذ عند ذلك تصبح كل الكتب الأخرى مقبولة.

والمثال على ذلك:

قال السيوطي: أخرج أبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» من طريق إبراهيم بن المهدي، قال عبيدة بن الأشعث، عن أبيه أنه ولد سنة تسع من الهجرة، وأن أمه كانت تنقل كلام أزواج النبي ﷺ بعضهن إلى بعض، فتلقي بينهن الشر، فدعا رسول الله ﷺ عليها فماتت[3].

ونتساءل أين حلم الرسول ﷺ الذي وسع كفار أهل مكة يوم أخرجوه إلى الطائف، ولاقى في سفره ذلك ما لاقى، ثم جاء ملك الجبال ليقول له: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ ـ

---

(١) المواهب اللدنية ٢/٥٢٧.

(٢) المواهب اللدنية ٤/٣٠٨.

(٣) الخصائص الكبرى ٢/٢٩٦.

كما في الصحيحين ـ: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً)[1].

وأين حلمه ﷺ الذي وسع أهل مكة، أي من بقي منهم على الكفر حتى يوم الفتح، عندما قال لهم: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

هذا الحلم العظيم الذي وسع القتلة والمجرمين الذين وقفوا في وجه الدعوة بسيوفهم وألسنتهم وشعرائهم.. عجز عن أن يسع امرأة أخطأت حتى دعى عليها ﷺ فماتت؟؟

وإذا كانت الأمور تعالج بهذا الأسلوب الذي اخترعه واضع الحديث أما كان الأحق بهذه الدعوة أمثال أبي جهل وأبي لهب ومن كان على شاكلتهم، يوم كان ﷺ في أشد حالات الضيق؟!.

إن واضع الحديث أراد أن يقول: إن من معجزاته ﷺ أن الله تعالى استجاب دعاءه في هذه المرأة فماتت.

وكأنه ما درى أن هناك عشرات الأحاديث الصحيحة بهذا الشأن فما فائدة أن نضيف لها ما لا أصل له. مع ما في ذلك من تعارض مع الخط العام الذي ينتظم أخلاقه ﷺ، كما رأينا.

وفي كل مرة يتأكد أن أي إضافة يضعها العقل عن مقام النبوة، فإنها تفسد أكثر مما تصلح، لأنها جسم غريب، يرفضه البنيان الصحيح، القائم على قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2].

٣ ـ القصاص وولعهم بالغريب:

ولقد كان للقصاص دور كبير في الوضع، لأنهم يجدون في

---

(١) متفق عليه (خ ٣٢٣١، م ١٧٩٥).

(٢) سورة النساء، الآية (٨٢).

الخبر الغريب ما يشد انتباه الناس، ويجذبهم إلى السمع، والمعجزات أكبر مظلة يستظلون بها، فليس هناك ما يستغرب مع قدرة الله سبحانه وتعالى، ولذلك يتقبل الناس ذلك ببساطة بعيداً عن ميدان المحاكمة العقلية، والأمثلة على هذا كثيرة.

٤ ـ تساهل المؤلفين بذكر ما يعلمون بطلانه:

وتحت عامل التضخيم للكتب، ونقل كل ما يصل إلى المؤلف، تساهل بعضهم بذكر ما يعلم بطلانه.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره صاحب المواهب قال:

وما رواه الطبري في الرياض النضرة، وعزاه للإمام أحمد في المناقب، عن محدوج بن زيد الهذلي أن النبي ﷺ قال لعلي: أما علمت يا علي أنه أول من يدعى به يوم القيامة بي، فأقوم عن يمين العرش في ظله، فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين، بعضهم على أثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش، ويكسون حللاً خضراً من حلل الجنة. ألا إن أمتي أول من يحاسبون يوم القيامة، ثم أبشر، فأول من يدعى بك، فيدفع لك لوائي وهو لواء الحمد، فتسير به بين السماطين، آدم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائي يوم القيامة، وطوله مسيرة ألف سنة وستمائة سنة، وسنانه ياقوته حمراء، قبضته فضة بيضاء، زجه درة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور، ذؤابة في المشرق، وذؤابة في المغرب، والثالثة في وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطر، **الأول**: بسم الله الرحمن الرحيم. **الثاني**: الحمد لله رب العالمين، **الثالث**: لا إله إلا الله محمد رسول الله. طول كل سطر ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللواء، والحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك، حتى تقف بيني وبين إبراهيم عليه السلام في ظل العرش، ثم تكسى حلة الجنة.

ورواه ابن سبع في الخصائص.

قال الحافظ قطب الدين الحليمي: إنه موضوع بيِّن الوضع[1].

قال صاحب كشف الخفا بعد إيراده مثل هذا الحديث: «وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله تعالى، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير ولا يبين أمره»[2].

٥ ـ الحيوانات والمعجزات:

وأخذت الحيوانات مكانها في كتب المعجزات، حتى حجزت باباً مستقلاً، ونأخذ ما جاء في «الخصائص الكبرى» مثالاً على ذلك؛ قال السيوطي:

ذكر معجزاته ﷺ في ضروب الحيوانات.

باب قصة الجمل والناقة.

باب قصة الشاة والغنم.

باب قصة الظبية.

باب قصة الذئب.

باب قصة الحمرة.

باب قصة الوحش.

باب قصة الفرس.

باب قصة الحمار.

باب كل دابة ركبها لم تهرم ببركته ﷺ.

---

(١) المواهب اللدنية ٤/٦٢٧ ـ ٦٢٨.

(٢) كشف الخفا، للعجلوني. مؤسسة الرسالة ٢/٥٥٩.

باب قصة الضب.

باب قصة الأسد.

باب قصة الطائر.

قال صاحب «أسنى المطالب» في آخر كتابه:

«مدحه ﷺ بغير ما ورد، مثل أن القمر حين انشق دخل في جيبه وخرج من كمه، وأن الغزالة سلمت عليه، وكلمه الجمل والحمار والذئب والضب.. لا يجوز مطلقاً، لأنه كذب وافتراء عليه ﷺ»[1].

وفي مقدمة «تهذيب الخصائص الكبرى» ذكر المؤلف نماذج من الموضوعات فذكر (حديث الغزالة) و (كلام الضب وإيمانه).. و (كلام الحمار..)[2].

٦ ـ الموازنة بين الأنبياء في المعجزات:

ذهبت بعض كتب الخصائص والسيرة ودلائل النبوة إلى المقارنة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين نبينا ﷺ.

وتارة تكون هذه المقارنة والموازنة بين الفضائل، وتارة تكون بين المعجزات.

وإذا علمنا أن كل نبي كان في عصره وفي قومه تبين لنا اختلاف الأرضية التي تقوم عليها الموازنة.

ثم إذا علمنا أن المعجزات ليست من عمل الأنبياء أصلاً، وإنما هي أمور يجريها الله تعالى على أيديهم، فماذا تعني هذه المقارنة؟! وماذا يترتب عليها إذا كان الفاعل هو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أسنى المطالب. دار إحياء التراث، ص ٣٠٧.

(٢) تهذيب الخصائص الكبرى ص ١٦.

ومن المؤسف أنه كثيراً ما يستشهد بالنصوص الموضوعة في مقابلة الصحيح في هذا الميدان، حتى يضيع القارئ وتشتبه عليه الأمور.

ويزيد الطين بلة: أن الكثير من المؤلفين في هذا المجال يخفون الحقيقة على القارئ ولا يبينون درجة صحة ما يكتبون. ولو ذهبت أسوق الأمثلة على ذلك، لطال البحث، ولخرجنا عن الموضوع الذي نحن بصدده.

ولقد كان هؤلاء المؤلفون حريصين على استكمال هذا الموضوع بأفراده فلم يكتفوا بالأمثلة بل كان همهم الاستيعاب:

الاستيعاب في عدد الأنبياء.

والاستيعاب فيما لكل من الفضائل والمعجزات.

وهذا ما كلفهم اللجوء إلى الضعيف والموضوع لاستكمال هيكل البحث الذي فرضوه على أنفسهم.

وقد وضعوا القاعدة الآتية ـ والتي لا يعلم قائلها، كما لا يعلم مستندها ـ وحاموا حولها. قالوا:

قال العلماء: ما أوتي نبي معجزة ولا فضيلة إلا ولنبينا ﷺ نظيرها أو أعظم منها[1].

ثم ذهبوا يعقدون المقارنة مع الأنبياء عليهم السلام ابتداء من آدم وانتهاء بعيسى.

ولنذكر أمثلة على ذلك:

١ ـ قالوا: «فآدم عليه الصلاة والسلام: أعطي أن الله تعالى خلقه

(١) الخصائص الكبرى ٢/ ٣٠٤.

بيده، فأعطي سيدنا محمد ﷺ شرح صدره، وتولى الله تعالى شرح صدره بنفسه، وخلق فيه الإيمان والحكمة»[١].

أقول: مع وجود الفارق بين الأمرين، فإن المؤلف تجاوز الحقيقة في كلامه عندما قال: «وتولى الله تعالى شرح صدره بنفسه» ولم يأت بدليل على هذا.

وقد حدث شرح الصدر مرتين:

الأولى ـ وهو صغير ـ كما في صحيح مسلم ـ: (أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده في مكانه..)[٢].

والحديث صريح في أن الفاعل هو جبريل عليه السلام.

والثانية ـ كانت في حادثة الإسراء والمعارج. وجاءت حادثة شق الصدر فيها تارة بصيغة المبني للمعلوم، والفاعل جبريل، وتارة بصيغة المبني للمجهول.

وفي مثل هذه الحالة تكون صيغة المبني للمعلوم مفسرة وموضحة لصيغة المبني للمجهول.

فقد أخرج الشيخان من حديث أنس عن أبي ذر: أن رسول الله ﷺ قال: (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل، فَفَرَجَ صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي..)[٣].

---

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٥٨٤.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٦٢).

(٣) متفق عليه (خ ٣٤٩، م ١٦٣).



وفي رواية أخرى عن أنس عن مالك بن صعصعة (.. فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيماناً، فَشُقَّ من النحر إلى مراق البطن، ثم غُسِلَ البطن بماء زمزم..)[١].

وفي حديث شريك: أنه جاءه ثلاثة نفر، وفيها: (فتولاه جبريل منهم، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته..)[٢].

هذه هي الروايات الواردة في الصحيحين، فأين فيها تولي الله سبحانه وتعالى بنفسه شرح الصدر؟!.

إن المؤلف ـ رحمه الله ـ اضطر أن يذكر ذلك لتكون القصة موازية لما جاء في القرآن الكريم، من خلق الله تعالى لآدم بيده.

وفي هذا ما فيه من تغيير الحقائق.

٢ ـ وفي شأن نوح: نقل صاحب المواهب قول الفخر الرازي في تفسيره: «أكرم الله نوحاً بأن أمسك سفينته على الماء، وفعل بمحمد ﷺ أعظم منه، روي أنه ﷺ كان على شط ماء، وقعد عكرمة بن أبي جهل، فقال: إن كنت صادقاً فادع ذلك الحجر، الذي في الجانب الآخر، فليسبح ولا يغرق، فأشار إليه ﷺ، فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي رسول الله ﷺ وشهد له بالرسالة، فقال له النبي ﷺ: يكفيك هذا؟ فقال: حتى يرجع إلى مكانه».

قال صاحب المواهب: فلم أره لغيره والله أعلم بحاله[٣]؟!.

أقول: ولا حاجة للتعليق. إذ أضحى المقارنون يكتفون من سند الحديث بقولهم: روي.

---

(١) متفق عليه (خ ٣٢٠٧، م ١٦٤).
(٢) متفق عليه (خ ٧٥١٧، م ١٦٢).
(٣) المواهب اللدنية ٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦.



٣ ـ وفي شأن إسماعيل، قال السيوطي: أخرج الحاكم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (ألهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً).

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عمر أنه قال: يا رسول الله، ما لك أفصحنا، ولم تخرج من بين أظهرنا؟ قال: (كانت لغة إسماعيل درست فجاء بها جبريل فحفظنيها)(١).

ويقف المسلم مشدوهاً أمام هذا الذي ينقله السيوطي عن أبي نعيم.

ولنا أن نسأل بأي لغة كانت قريش والعرب من حولها يتكلمون؟ وإذا كانت لغة إسماعيل درست فهل يكفي أن يتعلمها الرسول ﷺ دون قومه؟ وما فائدة لغة يعرفها إنسان من الناس، ولا يعرفها أحد غيره؟!.

عجيب أمر أبي نعيم، وعجيب أمر السيوطي، وعجيب أمر كل أولئك الذين يتركون عقولهم جانباً وهم ينقلون ما ينقلون!!.

٤ ـ وفي أمر الموازنة مع يعقوب عليه السلام ذكروا حديثاً فيه عتاب من يعقوب للذئب، ودفاع من الذئب عن نفسه.. وهو من الأساطير المكذوبة.

ثم قالوا: وقد أوتي نبينا ﷺ كلام الذئب وقد تقدم(٢).

وكلام الذئب للنبي ﷺ حديث موضوع.

وهكذا اخترعت معجزة ليعقوب، ورد عليها في مقابلها بمعجزة تساويها حتى لا يخلو يعقوب عليه السلام من المقارنة مع النبي ﷺ.

٥ ـ وقالوا في صدد الموازنة مع موسى عليه السلام:

«ومما أعطيه موسى عليه السلام: انفلاق البحر له، وأعطي نبينا

(١) الخصائص الكبرى ٢/٣٠٨.
(٢) الخصائص الكبرى ٢/٣٠٨.



محمد ﷺ انشقاق القمر. فموسى تصرف في عالم الأرض، وسيدنا محمد ﷺ تصرف في عالم السماء والفرق بينهما واضح!! قاله ابن المنير»[١].

أقول: انظر إلى قوله: «تصرف في عالم الأرض» و «تصرف في عالم السماء».

إنه قول ليس فيه من الأدب مع الله شيء، فلا موسى ﷺ تصرف في عالم الأرض ولا محمد ﷺ تصرف في عالم السماء. وإنما المتصرف هو الله سبحانه وتعالى.

والفارق بين الأمرين كبير، فانشقاق البحر كان ـ بحكمة الله تعالى ـ لنجاة موسى وقومه ولغرق فرعون وجنوده، وأما انشقاق القمر فكان لبيان قدرة الله تعالى وعظمته.

٦ ـ وفي المقارنة مع يوشع بن نون عليه السلام.

قال السيوطي: أوتي يوشع عليه السلام حبس الشمس حين قاتل الجبارين وقد حبست لنبينا كما تقدم في الإسراء، وأعجب من ذلك رد الشمس حين فات عصر علي رضي الله عنه[٢].

أقول: حديث رد الشمس أو حبسها على يوشع أخرجه الشيخان دون ذكر يوشع وإنما الذي جاء في الحديث: (غزا نبي من الأنبياء.. فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه)[٣].

وأما حديث حبس الشمس في قصة الإسراء، فهو مما ذكره القاضي عياض عن ابن إسحاق: أنه لما أسري بالنبي ﷺ وأخبر قومه

---

(١) المواهب اللدنية ٢/٥٨٩ ـ ٥٩٠.
(٢) الخصائص الكبرى ٢/٣١٠.
(٣) متفق عليه (خ ٣١٢٤، م ١٧٤٧).



بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون، وقد ولى النهار، ولم تجيء، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس.

قال: وهذا يعارضه قوله في الحديث ـ الذي أخرجه أحمد برجال الصحيح ـ: لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون، يعني حين قاتل الجبارين.

قال الحافظ ابن كثير: فيه أن هذا كان من خصائص يوشع[١].

وأما حديث حبسها من أجل علي رضي الله عنه:

فهو ما أورده صاحب كشف الخفا بقوله: وقال القاري في الموضوعات: وأما ما أخرجه الدولابي عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه قال: كان رأس النبي ﷺ في حجر علي رضي الله عنه وهو يوحى إليه، فلما سُرِيَّ عنه قال: يا علي صليت العصر؟ قال: لا، قال: اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك، فردَّ عليه الشمس فردها عليه، فصلى وغابت الشمس.

قال صاحب كشف الخفا: فقد قال العلماء: إنه حديث موضوع ولم ترد الشمس لأحد، وإنما حبست ليوشع بن نون[٢].

وقال ابن الجوزي في الموضوعات: إنه موضوع بلا شك، وفي سنده أحمد بن داود، وهو متروك الحديث كذاب، كما قال الدارقطني، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث.

وقد أفرد ابن تيمية تصنيفاً في الرد على الروافض، ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وأنه موضوع.

---

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٥٣٠.

(٢) كشف الخفا ٢/ ٥٦٣.



وقال الإمام أحمد: لا أصل له[1].

وهكذا احتاج السيوطي في هذه الموازنة إلى الاستعانة بالموضوعات وما نظن أنها كانت تغيب عنه حالها.

٧ - وفي صدد المقارنة مع سليمان عليه السلام، الذي دعا الله عزّ وجلّ أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، نجد عجباً[2].

إنها مقارنات جلها تعتمد على أحاديث موضوعة أو ضعيفة شديدة الضعف. ولكأنهم نسوا أن سليمان عليه السلام كان نبياً ملكاً، وأن رسول الله ﷺ اختار أن يكون عبداً رسولاً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك قال: أفملكاً نبياً أجعلك، أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: (بل عبداً رسولاً)[3].

وعن عائشة: رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة. فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن شئت نبياً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً. قال: فنظرت إلى جبريل، قال: فأشار إليّ أن ضع نفسك. قال: فقلت: نبياً عبداً).

قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً، يقول: (آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)[4].

---

(١) المواهب اللدنية ٢/ ٥٢٨.

(٢) انظر الخصائص الكبرى ٢/ ٣١١. والمواهب اللدنية ٢/ ٥٩٢ ـ ٥٩٤.

(٣) أخرجه في مجمع الزوائد برقم (١٤٢٠٩) وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح.

(٤) مجمع الزوائد (١٤٢١٠) وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى وإسناده حسن.



فماذا يفعلون بنقل عرش بلقيس، وبالريح غدوها شهر ورواحها شهر..؟.

بل إن رسول الله ﷺ امتنع عن إمساك الشيطان ليلعب به غلمان أهل المدينة مراعاة لدعوة سليمان عليه السلام. في أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.. وهم مع ذلك يتعبون أنفسهم في الموازنات التي لا طائل وراءها.

أخرج مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: (أعوذ بالله منك) ثم قال:(ألعنك بلعنة الله) ثلاثاً، وبسط يده، كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك. قال: (إن عدو الله إبليس، جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت: أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر. ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله! لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة)[1].

أقول: كيف ساغ لهم أن يجروا تلك الموازنات بعد قراءتهم هذا الحديث وأمثاله.

٨ ـ وعيسى عليه السلام كان من جملة معجزاته إحياء الموتى بإذن الله تعالى.

ورووا في المقابل أحاديث عن النبي ﷺ أنه أحيا الموتى، وهذه الأحاديث لا تصح، وفي مقدمتها حديث إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به.

قال السهيلي عن حديث إحياء والديه ﷺ: إن في إسناده مجاهيل.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٤٢).

وقال ابن كثير: إنه حديث منكر جداً، وسنده مجهول.

وقال ابن دحية: هذا الحديث موضوع، يرده القرآن والإجماع[1].

❁ ❁ ❁

أقول: ولو ذهبنا نتتبع ما جاء في هذا الباب لطال بنا المقام، ولكان بين أيدينا مجلد كبير من هذه الموازنات.

❁ ❁ ❁

نستطيع بعد هذه الجولة في ميادين الدخيل على المعجزات أن نتخيل كم أصاب هذا الموضوع من التضخم حتى أصبحت كتب «دلائل النبوة» ذات مجلدات كثيرة[2].

والوقوف عند الصحيح هو المسلك الصحيح الذي ينبغي لكل مسلم أن يتحراه ولا يجاوزه إلى غيره.



(١) المواهب اللدنية ١/ ١٧٢.

(٢) نقول على سبيل المثال: قام الشيخ عبد الله التليدي بتهذيب كتاب «الخصائص الكبرى» للسيوطي، والاقتصار فيه على الصحيح والحسن فكان الباقي في حدود ربع الكتاب أو أقل من ذلك.

الفصل الخامس
معجزاته ﷺ غير القرآن

سبق القول في الفصل السابق بأن معجزاته ﷺ غير القرآن الكريم، هي من حيث الكثرة ربما زاد عددها على عدد معجزات جميع الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.

ومع ذلك لم تكن لهذه المعجزات المهمة المناطة بمعجزات من سبق من الأنبياء. حيث كانت عندهم هي الحجة في الدعوة إلى الإيمان. وقد كانت هذه المهمة منوطة بالقرآن الكريم بالنسبة للنبي ﷺ - كما سبق القول - وليس بمعجزاته الأخرى ﷺ.

يؤكد هذا ما جاءت به آيات القرآن الكريم.

قال تعالى:

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾[1].

وإنما كان سؤالهم تعنتاً وعناداً وإلحاداً، ولهذا لم يرد عليهم القرآن ولكن ذهبت الآيات الكريمة بعد ذلك تبين سلوكهم السابق وانحرافهم وموقفهم السيء من الأنبياء.

---

(١) سورة النساء، الآية (١٥٣).

وفي موقف مشابه ـ سابق على موقف أهل الكتاب ـ أبطاله قرشيون من أهل مكة، قصَّ علينا القرآن الكريم قصة تبجحهم.

فقال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[1] [سورة الإسراء].

وواضح من النص الكريم أسلوب التعنت والإصرار على الكفر، ولذا لم يكن هناك تلبية لطلبهم وإنما قيل للرسول ﷺ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

فذكَّر بمهمته، وأنه بشر مثلهم لا يملك صنع الخوارق، وهو إنما يحمل رسالة الله إلى البشر.

وبين القرآن الكريم أن الأقوام السابقين لم تنفعهم المعجزات، وكذلك هؤلاء مثل من سبقهم.

قال تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾[2] [سورة الإسراء].

نخلص من هذا إلى أن المعجزات ـ غير القرآن ـ مما أجراه الله على يدي النبي ﷺ لم تكن الغاية منها أن تكون وسيلة إيمان، وإنما هي نوع من تكريم النبي ﷺ وإظهار فضله.

---

(١) سورة الإسراء، الآيات (٩٠ ـ ٩٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٥٩).



كما لم تكن لتحدي الكفار، فإن معظم المعجزات كانت تجري والنبي ﷺ بين الصحابة رضي الله عنهم، وهم ليسوا بحاجة إلى أدلة أو براهين.

ومن هنا تأتي خصوصية معجزاته ﷺ واختلافها عن معجزات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام من حيث:

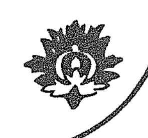
- المهمة.
- والغاية.

بل إنه ليس من مبالغات القول، أن بعض معجزاته ﷺ كانت له مهمة بعيدة جداً عما وضع للمعجزات من مهمات.

فالإسراء مثلاً كانت معجزته لتنقية الصف المسلم واختباره قبل الهجرة، ليعلم من كان أهلاً لها ومن لم يكن أهلاً لها. كما سيأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.








الباب السّادس

المُعجِزاتُ المَذكورَةُ في الصّحيحَيْن




القصد من هذا الباب، هو وضع المعجزات الواردة في الصحيحين أو أحدهما بين يدي القارئ الكريم، لبيان كثرتها وتنوعها.

الأمر الذي يجعلنا نكتفي بها، ويبعدنا عن البحث في ضعيف الأحاديث عن غيرها.

ولا يعني هذا أنه ليس من معجزات صحت بها الأخبار غير ما ورد في الصحيحين. بل صحت معجزات كثيرة في أحاديث صحيحة غير ما ورد فيهما، ولكنها في خطها العام لا تزيد في الأنواع، وإن كانت تزيد العدد ضمن الأنواع فهي بهذا لا تضيف معنى جديداً.

وهذه المعجزات ـ شأنها شأن معجزات الأنبياء السابقين ـ قد مضت مع زمانها الذي حدثت فيه. وإنما الفائدة من ذكرها بيان تكريم الله سبحانه وتعالى لصاحب الرسالة الخاتمة. عليه وعلى جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه.

وإذا كانت هذه هي المهمة، ففي ما ورد في الصحيحين كفاية.

الفصل الأول
الإسراء والمعراج

للإسراء والمعراج الصدارة في موضوع المعجزات، لعدة أسباب:

- فهي مما انفرد بها الرسول الكريم، فلم يحدث مثلها لنبي قبله.

- وهي معجزة طوي فيها الزمان والمكان. حيث قطعت المسافات الهائلة في الوقت القصير، واتسع الوقت القصير للقيام بأعمال كثيرة تضيق عنها الأيام والليالي.

- وهي معجزات كثيرة ـ وليست معجزة واحدة ـ تحت عنوان واحد.

- وهي مما نزلت بذكرها آيات القرآن الكريم تخليداً لها، فهي تتلى إلى يوم القيامة.

قال تعالى في شأن الإسراء:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

وقال تعالى في شأن المعراج واصفاً المشهد الذي رأى فيه

(١) سورة الإسراء، الآية (١).

الرسولُ ﷺ جبريل ـ على صورته التي خلقه الله عليها ـ عند سدرة المنتهى:

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[(١)].

هذه الأمور تجعل لهذه المعجزة منزلة الصدارة.

على أنه مما ينبغي أن نشير إليه: أن هذه المعجزة لم تكن سبباً لإيمان أحد. بل ثبت في السيرة: أن الرسول ﷺ عندما أخبر الناس بذلك افتتن ناس وارتدوا وكانوا قد صلوا معه.

فقد كانت هذه المعجزة تمحيصاً للصف المسلم قبل الهجرة إلى المدينة[(٢)].

ونعود بعد هذه المقدمة الموجزة إلى ذكر الأحاديث الواردة بذلك:

١ ـ أخرج الشيخان عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما: أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به:

(بينما أنا في الحَطيم ـ وربما قال: في الحِجْر ـ مضطجعاً، إذ أتاني آتٍ، فقدَّ ما بين هذه إلى هذه ـ فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصِّه إلى شعرته ـ فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً، فغسل قلبي، ثم حشي ثم أعيد.

ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ـ هو البراق ـ يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه.

---

(١) سورة النجم، الآيات (١٣ ـ ١٨).

(٢) انظر ـ إن رغبت ـ تفصيل ذلك في كتاب «من معين السيرة» للمؤلف ص (١٠٥ ـ ١٢٠).

فانطلق بي جبريل، حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسِل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردا، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسِل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إذا يوسف، قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء ففتح، فلما خلصت إلى إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح.

ثم صعد بي، حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح.

ثم صعد بي، حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من

هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به، فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي.

ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه، فردَّ السلام، قال: مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح.

ثم رُفِعَتْ لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى. وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات.

ثم رُفِعَ لي البيتُ المعمور.

ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك.

ثم فُرِضتْ عليَّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بمَ أمرتَ؟ قال: أمرتُ بخمسين صلاة كل يوم، قال: أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشراً.

فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً.

فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً.

فرجعت إلى موسى، فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم.

فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم.

فرجعت إلى موسى، فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت، نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي، وخففت عن عبادي).

[خ ٣٨٨٧ واللفظ له، م ١٦٤]

٢ ـ وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنهما، قريباً من الرواية السابقة وفيها:

(فلما فتح، علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أَسْوِدَة[(١)]، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح.

قلت لجبريل: من هذا؟ قال هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى):

وفيها: (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام)[(٢)].

[خ ٣٤٩، م ١٦٣]

---

(١) أسودة: هي الأشخاص من كل شيء.

(٢) صريف الأقلام: صوتها عند الكتابة.



٣ ـ وأخرج الشيخان عن شريك بن عبد الله عن أنس بن مالك قريباً مما سبق، وفيها أن شق الصدر كان عند بئر زمزم، وفيها وصف لنهر الكوثر.

[خ ٧٥١٧، م ١٦٢]

٤ـ وأخرج مسلم عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قريباً من الرواية الأولى وفيها: (فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه).

[م ١٦٢/٢٥٩، ٢٦٠]

٥ـ وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

(لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به.

وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة. قال قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار، فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام).

[م ١٧٢]

٦ ـ وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه).

[خ ٣٨٨٦، م ١٧٠]



الفصل الثاني

معجزات تكثير الطعام

كبد الشاة:

١ ـ أخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ: (هل مع أحد منكم طعام)، فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجل مشرك، مشعان[1] طويل بغنم يسوقها، فقال النبي ﷺ: (بيعاً أم عطية، أو قال: أم هبة؟) قال: لا، بل بيع.

فاشترى منه شاة، فصنعت، وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى. وأيم الله، ما في الثلاثين والمائة إلا قد حزَّ النبي ﷺ له حزة من سواد بطنها[2]، إن كان شاهداً أعطاها إياه، وإن كان غائباً خبأ له، فجعل منها قصعتين، فأكلوا أجمعون وشبعنا، ففضلت القصعتان، فحملناه على البعير.

[خ ٢٦١٨، م ٢٠٥٦]

طعام جابر يوم الخندق:

٢ ـ أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

---

(١) مشعان: أي منتفش الشعر.

(٢) سواد البطن: الكبد.



لما حفر الخندق، رأيت بالنبي خَمَصاً شديداً[1]، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً.

فأخرجت إليَّ جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بُهَيمة داجن فذبحتُها وطحنتِ الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه.

فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، ذبحنا بهيمة لنا، وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك.

فصاح النبي ﷺ فقال: (يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً[2]، فحي هلا بكم).

فقال رسول الله ﷺ: (لا تُنْزِلُنَّ برمتَكم، ولا تَخْبِزُنَّ عجينَكم حتى أجيء).

فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدُم الناس، حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك[3]، فقلت: قد فعلت الذي قلتِ.

فأخرجتْ له عجيناً، فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: (ادعي خابزة، فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها).

وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي[4]، وإن عجيننا ليخبز كما هو..

[خ ٤١٠٢، م ٢٠٣٩]

---

(١) الخمص: خلاء البطن من الطعام.
(٢) سورا: هو الطعام يدعى إليه.
(٣) بك وبك: أي لامته لما يترتب على ذلك من فضيحتهم.
(٤) لتغط: أي تغلي ويسمع غليانها.



طعام أبي طلحة:

٣ ـ أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سُليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي، ولاثتني[1] ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ.

قال: فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: (أرسلك أبو طلحة؟) فقلت: نعم، قال: (بطعام؟) فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: (قوموا).

فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته.

فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم! فقالت: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه.

فقال رسول الله ﷺ: (هلمي يا أم سليم، ما عندك).

فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففتَّ، وعصرت أم سليم عكة فأَدَمَتْهُ، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: (ائذن لعشرة) فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.

ثم قال: (ائذن لعشرة). فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا.

ثم قال: (ائذن لعشرة) فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا.

---

(١) لاثتني به: أي لفتني به.



ثم قال: (ائذن لعشرة) فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

[خ ٣٥٧٨، م ٢٠٤٠]

طعام أم سليم:

٤ ـ أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا مرَّ بجنبات أم سليم دخل عليها فسلم عليها.

ثم قال: كان النبي ﷺ عروساً بزينب، فقالت لي أم سليم: لو أهدينا لرسول الله ﷺ هدية. فقلت لها: افعلي.

فعمدت إلى تمر وسمن وأقط، فاتخذت حيسة في برمة، فأرسلت بها معي إليه.

فانطلقت بها إليه، فقال لي: (ضعها) ثم أمرني فقال: (ادع لي رجالاً ـ سماهم ـ وادع لي من لقيت).

قال: ففعلت الذي أمرني، فرجعت فإذا البيت غاص بأهله، فرأيت النبي ﷺ وضع يديه على تلك الحيسة، وتكلم بها ما شاء الله، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه، ويقول لهم: (اذكروا اسم الله، وليأكل كل رجل مما يليه) قال: حتى تصدعوا كلهم عنها.

[خ ٥١٦٣]

حديث سلمة:

٥ ـ أخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خفَّت أزواد القوم وأملقوا، فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم، فأذن لهم، فلقيهم عمر فأخبروه، فقال: ما بقاؤكم بعد إبلكم!.

فدخل على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد إبلهم؟



فقال رسول الله ﷺ: (ناد في الناس، فيأتون بفضل أزوادهم).

فَبُسِط لذلك نطع وجعلوه على النطع، فقام رسول الله ﷺ فدعا وبرّك عليه، ثم دعاهم بأوعيتهم، فاحتثى الناس حتى فرغوا.

ثم قال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله).

[خ ٢٤٨٤]

أهل الصفة:

٦ ـ أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: الله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع.

ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل، ثم مرَّ بي عمر، فسألته عن آية في كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل.

ثم مرَّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: (يا أبا هر) قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (الحقْ) ومضى، فاتبعته، فدخل فاستأذن، فأذن لي.

فدخل فوجد لبناً في قدح، فقال: (من أين هذا اللبن؟) قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة. قال: (أبا هر) قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي).

قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها وأشركهم فيها.

فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها. فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن!! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد.

فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت.

قال: (يا أبا هر) قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (خذ فأعطهم).

قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل، فيشرب حتى يروى، ثم يردُّ عليَّ القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح، فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح.

حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسم فقال: (أبا هر)، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (بقيت أنا وأنت) قلت: صدقت يا رسول الله، قال: (اقعد فاشرب) فقعدت فشربت، فقال: (اشرب) فشربت، فما زال يقول (اشرب)، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً. قال: (فأرني) فأعطيته القدح، فحمد الله وسمَّى وشرب الفضلة.

[خ ٦٤٥٢]

نخل جابر:

٧ ـ أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود. فاستنظره جابر فأبى أن ينظره.

فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع له إليه، فجاء رسول الله ﷺ وكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى. فدخل رسول الله ﷺ النخل فمشى فيها. ثم قال لجابر: (جدَّ له، فأوف الذي له).



فجدَّه بعدما رجع رسول الله ﷺ فأوفاه ثلاثين وسقاً، وفضلت له سبعة عشر وسقاً.

فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل، فقال: (أخبر ذلك ابن الخطاب) فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال له عمر: لقد علمت حين مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركنَّ فيها.

[خ ٢٣٩٦]

في غزوة تبوك:

٨ ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد ـ شك الأعمش ـ قال: لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله، لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا.

فقال رسول الله ﷺ: (افعلوا).

قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، إن فعلت قلَّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: (نعم) قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير.

قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: (خذوا في أوعيتكم).

قال: فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه.



قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة. فقال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد، غير شاكٍّ، فيحجب عن الجنة).

[م ٢٧]

في سيف البحر:

٩ ـ وأخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: وشكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع. فقال: (عسى الله أن يطعمكم).

فأتينا سيف البحر[١]، فزخر البحر[٢] زخرة، فألقى دابة، فأورينا على شقها النار، فاطَّبخنا واشتوينا، وأكلنا حتى شبعنا.

قال جابر، فدخلت أنا وفلان وفلان، حتى عدَّ خمسة، في حجاج عينها[٣]. ما يرانا أحد، حتى خرجنا فأخذنا ضلعاً من أضلاعه فقوسناه، ثم دعونا بأعظم رجل في الركب، وأعظم جمل في الركب وأعظم كفل[٤] في الركب، فدخل تحته ما يطأطىء رأسه.

[م ٣٠١٤]



---

(١) سيف البحر: هو ساحله.
(٢) زخر البحر: أي علا موجه.
(٣) حجاج عينها: هو عظمها المستدير بها.
(٤) وأعظم كفل: المراد بالكفل هنا: الكساء الذي يحوِّيه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط، فيحفظ الكفل الراكب.

الفصل الثالث

معجزات تكثير الماء

ماء للوضوء:

١ ـ أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه. قال: فرأيت الماء نبع من تحت أصابعه، حتى توضؤوا من عند آخرهم.

[خ ١٦٩، م ٢٢٧٩]

ماء المزادتين:

٢ ـ أخرج الشيخان عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنا في سفر مع النبي ﷺ، وإنا أسرينا، حتى كنا في آخر الليل وقعنا وقعة، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس.

وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان. ثم عمر بن الخطاب الرابع. وكان النبي ﷺ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه.

فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس، وكان رجلاً جليداً، فكبر ورفع صوته بالتكبير، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير، حتى استيقظ بصوته النبي ﷺ.



فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم، قال: (لا ضير، أو لا يضير، ارتحلوا).

فارتحل فسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونودي بالصلاة، فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته، إذا هو برجل معتزل لم يصلِّ مع القوم، قال: (ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟) قال: أصابتني جنابة ولا ماء. قال: (عليك بالصعيد فإنه يكفيك).

ثم سار النبي ﷺ، فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل فدعا فلاناً ودعا علياً فقال: (اذهبا فابتغيا الماء).

فانطلقا، فتلقيا امرأة بين مزادتين[1] أو سطيحتين من ماء على بعير لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدي بالماء أمسِ هذه الساعة، ونفرنا خُلُوف[2]، قالا لها: انطلقي إذاً، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ، فقالت: الذي يقال له الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين، فانطلقي.

فجاءا بها إلى النبي ﷺ وحدثاه الحديث. قال: فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبي ﷺ بإناء، ففرَّغ فيه من أفواه المزادتين، أو سطيحتين، وأوكأ أفواههما، وأطلق العزالي[3] ونودي في الناس: اسقوا واستقوا. فسقى من شاء، واستقى من شاء، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء، قال: (اذهب فأفرغه عليك).

وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وايم الله، لقد أقلع عنها، وإنه ليخيل إلينا أنها أشد مِلأَة منها حين ابتدأ فيها.

---

(١) مزادتين: المزادة قربة كبيرة.

(٢) خلوف: جمع خالف: وهو المستقي، ويقال أيضاً لمن غاب، ولعله المراد هنا: أي أن رجالها غابوا عن الحي.

(٣) العزالي: جمع عزلاء: هي مصب الماء من الراوية.



فقال النبي ﷺ: (اجمعوا لها) فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة، حتى جمعوا لها طعاماً، فجعلوها في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها.

قال لها: (تعلمين ما رزئنا من مائك شيئاً، ولكن الله هو الذي أسقانا).

فأتت أهلها وقد احتبست عنهم، قالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب، لقيني رجلان، فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ، ففعل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر من بين هذه وهذه ـ وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة، فرفعتهما إلى السماء، تعني: السماء والأرض ـ أو إنه لرسول الله حقاً.

فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين، ولا يصيبون الصرم[1] الذي هي منه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام.

[خ ٣٤٤، م ٦٨٢]

في صلح الحديبية:

٣ ـ أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً.

ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان، يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة. فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها. فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

[خ ٤١٥٠]

(١) الصرم: الأبيات المجتمعة من الناس.



٤ ـ وأخرج مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها. قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية[١]، فإما دعا وإما بسق فيها. قال: فجاشت فسقينا واستقينا.

[م ١٨٠٧]

٥ ـ وأخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: (ما لكم) قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك.

فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا.

قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

[خ ٣٥٧٦]

٦ ـ وأخرج البخاري عن معمر قصة صلح الحديبية وفيها:

قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد[٢] قليل الماء، يتربضه الناس تربضاً[٣]، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكيَ إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

[خ ٢٧٣١]

وتسبيح الطعام أيضاً:

٧ ـ أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً.

---

(١) جبا الركية: الجبا: ما حول البئر، الركي: البئر.

(٢) ثمد: أي قليل.

(٣) يتربضه: التربض، هو الأخذ قليلاً قليلاً.





كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء، فقال: (اطلبوا فضلة من ماء) فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: (حي على الطهور المبارك، والبركة من الله) فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ.

ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

[خ ٣٥٧٩]

عين تبوك:

٨ ـ أخرج مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً. حتى إذا كان يوماً أخر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك، فصلى المغرب والعشاء جميعاً. ثم قال: (إنكم ستأتون غداً، إن شاء الله، عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم، فلا يمسَّ من مائها شيئاً حتى آتي).

فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك، تبض[١] بشيء من ماء. قال: فسألهما رسول الله ﷺ: (هل مسستما من مائها شيئاً؟) قالا: نعم. فسبَّهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول[٢].

قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، قال: وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر ـ أو قال: غزير ـ حتى استقى الناس.

---

(١) مثل الشراك تبض: تبض: تسيل، الشراك: هو سير النمل، ومعناه هنا: ماء قليل جداً.

(٢) وذلك لمخالفتهما أمره ﷺ وكانا من المنافقين.





ثم قال: (يوشك يا معاذ، إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا).

[م ٧٠٦ مكرر]

لا هلك عليكم:

٩ ـ أخرج مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم، وتأتون الماء إن شاء الله غدا) فانطلق الناس لا يلوى أحد على أحد.

وفيه: قال: فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار، وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا رسول الله، هلكنا، عطشنا. فقال: (لا هُلك عليكم) ثم قال: (أطلقوا لي غمري)[١] قال: ودعا بالميضأة، فجعل رسول الله يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يَعْدُ أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابُّوا عليها.

فقال رسول الله ﷺ: (أحسنوا الملأ، كلكم سيروى) قال: ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم، حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ. قال: ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي: (اشرب) فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، قال: (إن ساقي القوم آخرهم شربا) قال: فشربت، وشرب رسول الله ﷺ، قال: فأتى الناس الماء جامين رواء[٢].

[م ٦٨١]

حديث جابر:

١٠ ـ وأخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه:

---

(١) أطلقوا لي غمري: أي إيتوني به، والغمر: القدح الصغير.

(٢) جامين رواء: أي مستريحين قد رووا من الماء.



قال: فأتينا العسكر، فقال رسول الله ﷺ: (يا جابر، نادِ بِوَضُوء) فقلت: ألا وَضوء؟ ألا وَضوء؟ ألا وضوء؟ قال: قلت: يا رسول الله، ما وجدت في الركب من قطرة.

وكان رجل من الأنصار يبرِّد لرسول الله ﷺ الماء في أشجاب[1] له على حمارة من جريد[2]. قال: فقال لي: (انطلق إلى فلان بن فلان الأنصاري، فانظر هل في أشجابه من شيء؟) قال: فانطلقت إليه، فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء[3] شجب منها، لو أني أفرغه لشربه يابسه.

فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شجب منها، لو أني أفرغه لشربه يابسه. قال: (اذهب فائتني به) فأتيته به، فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيده، ثم أعطانيه فقال: (يا جابر، ناد بجفنة).

فقلت: يا جفنة الركب[4]، فأتيت بها تحمل، فوضعتها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا، فبسطها وفرق بين أصابعه، ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: (خذ يا جابر، فصبَّ عليَّ، وقل: باسم الله).

فصببت عليه، وقلت: باسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ، ثم فارت الجفنة ودارت، حتى امتلأت.

فقال: (يا جابر، ناد من كان له حاجة بماء) قال: فأتى الناس فاستقوا حتى رووا. قال: فقلت: هل بقي أحد له حاجة؟ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى.

[م ٣٠١٣]

---

(١) أشجاب: جمع شجب، وهو السقاء الذي قد أخلق وبلي.
(٢) حمارة: هي أعواد تعلق عليها أسقية الماء.
(٣) عزلاء: هي فم القربة.
(٤) يا جفنة الركب: أي يا صاحب جفنة الركب التي تشبعهم أحضرها.

فرغ الوضوء:

١١ ـ وأخرج مسلم عن سلمة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأصابنا جهد[(١)]. حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا[(٢)]، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزاودنا، فبسطنا له نطعا[(٣)]، فاجتمع زاد القوم على النطع، فتطاولت لأحزره كم هو؟ فحزرته كربضة العنز[(٤)]، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً، ثم حشونا جربنا.

فقال نبي الله ﷺ: (هل من وَضوء؟) قال: فجاء رجل بإداوة له، فيها نطفة، فأفرغها في قدح، فتوضأنا كلنا، نُدَغْفِقُهُ دغفقة[(٥)] أربع عشرة مائة.

قال: ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ﷺ: (فرغ الوضوء).

[م ١٧٢٩]



---

(١) الجهد: هو المشقة.
(٢) الظهر: الإبل التي يركبونها.
(٣) نطعا: النطع: سفرة من أديم، أو بساط.
(٤) كربضة العنز: أي كقدرها وهي رابضة، والعنز: الأنثى من المعز.
(٥) ندغفقه: أي نصبه صباً شديداً.



الفصل الرابع
الإخبار عن أمور في المستقبل

أخبر رسول الله ﷺ عن أمور مستقبلة كثيرة، بعضها وقع في حياته، ووقع بعضها الآخر بعد وفاته ﷺ في أزمان متفاوتة، وبعض منها لم يقع بعد، لأنه لم تأت شرائط وقوعه وسيقع كما أخبر به ﷺ. فهو الذي لا ينطق عن الهوى.

وما ورد في الصحيحين من ذلك كثير، قد يكون من الصعب استيعابه وما أذكره في هذا الفصل إنما هو نماذج من هذه الأخبار.

وسوف أبدأ بذكر الأخبار التي وقعت تصديقاً لما أخبر في حياته ثم يكون بعدها بقية الأخبار.

وكلما مرَّت الأيام كلما جاء التأكيد بعد التأكيد على إضافة دلائل جديدة لنبوته ﷺ.

الإخبار عن المستقبل:

١ ـ أخرج الشيخان عن حذيفة رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة، ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله.

إن كنت لأرى الشيء قد نسيت، فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذ غاب عنه فرآه فعرفه.

[خ ٦٦٠٤، م ٢٨٩١]



٢ ـ وأخرج مسلم عن أبي زيد، عمر بن أخطب رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا.

[م ٢٨٩٢]

الإخبار بمقتل أمية بن خلف:

٣ ـ أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حدَّث عن سعد بن معاذ رضي الله عنه أنه قال: كان صديقاً لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انطلق سعد معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة، لعلي أن أطوف بالبيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد آويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان، ما رجعت إلى أهلك سالماً.

فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة.

فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم، سيد أهل الوادي.

فقال: سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إنهم قاتلوك. قال: بمكة؟ قال: لا أدري.

ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال لي سعد قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتليَّ، فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدري.

فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر، استنفر أبو جهل الناس، قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادي، تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني، فوالله لأشترينَّ أجود بعير بمكة.

ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني، فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً، فلما خرج أمية، أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عزّ وجلّ ببدر.

[خ ٣٩٥٠]

الإخبار بمقتل صناديد قريش ببدر:

٤ ـ أخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة.. ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: (هذا مصرع فلان غدا، إن شاء الله) قال فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق، ما أخطؤوا الحدود التي حدَّ رسول الله ﷺ.

[م ٢٨٧٣]

الخندق آخر غزوات قريش:

٥ ـ أخرج البخاري عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم).

[خ ٤١١٠]



رجل من أهل النار:

٦ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ حنينا، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: (هذا من أهل النار) فلما حضر القتال، قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة. فقيل: يا رسول الله، الذي قلت إنه من أهل النار، فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات.

فقال النبي ﷺ: (إلى النار).

قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت، ولكن به جراحاً شديداً، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه.

فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: (الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله) ثم أمر بلالاً فنادى بالناس: (إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر).

[خ ٣٠٦٢، ٤٢٠٤، م ١١١]

٧ ـ أخرج الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة[1] إلا اتبعها يضربها بسيفه. فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان. فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار).

فقال رجل من القوم: أنا صاحبه. قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه. قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً،

---

(١) لا يدع لهم شاذة: الشاذ: الخارج عن الجماعة، ومعناه هنا: أنه لا يدع أحداً، على طريق المبالغة.





فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه.

فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: (وما ذاك)؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت؛ أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه.

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة).

[خ ٢٨٩٨، م ١١٢، ١١٢ م]

الإخبار بريح شديدة:

٨ ـ أخرج الشيخان عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك.. فلما أتينا تبوك قال: (أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومنَّ أحد، ومن كان معه بعير فليعقله: فعقلناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيء.

[خ ١٤٨١، م ١٣٩٢ م]

الإخبار بموت النجاشي:

٩ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى فصفَّ بهم، وكبَّر أربعاً.

[خ ١٢٤٥، م ٩٥١]

الإخبار عن أمراء مؤته:

١٠ ـ أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:



خطب رسول الله ﷺ فقال: (أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح عليه، وما يسرني ـ أو قال: ما يسرهم ـ أنهم عندنا) وقال: وإن عينيه لتذرفان[1].

[خ ٣٠٦٣]

الإخبار بموت فاطمة:

١١ ـ أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها فضحكت.

قالت: فسألتها عن ذلك فقالت: سارَّني النبي ﷺ فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه، فضحكت.

[خ ٣٦٢٥، م ٢٤٥٠]

الإخبار بموت زينب:

١٢ ـ أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ: أينا أسرع بك لحوقاً؟ قال: (أطولكن يداً).

فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يداً، فعلمنا بعد أنما كان طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به، وكانت تحب الصدقة.

ولفظ مسلم: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدَّق.

[خ ١٤٢٠، من٢٤٥٢]

---

(١) هذا الخبر والذي قبله ليسا من أمور المستقبل، وإنما هما من الأمور المغيبة، لبعد المكانين.

الإخبار عن إخراج اليهود:

١٣ ـ أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً فقال: إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: (نقركم ما أقركم الله) وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدي عليه من الليل، ففدعت يداه ورجلاه[1]، وليس هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم.

فلما أجمع عمر على ذلك، أتاه أحد بني أبي الحقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ، وعاملنا على الأموال، وشرط ذلك لنا.

فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ: (كيف بك إذا أخرجت من خيبر، تعدو بك قلوصك[2] ليلة بعد ليلة) فقال: كانت هذه هزيلة[3] من أبي القاسم، قال: كذبت يا عدو الله.

فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك.

[خ ٢٧٣٠]

الإخبار عن أويس القرني:

١٤ ـ أخرج مسلم عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم.

---

(١) فدعت يداه: أي أزيلتا عن مفاصلهما.
(٢) قلوصك: الناقة الصابرة على السير.
(٣) هزيلة: تصغير الهزل وهو ضد الجد.



قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل) فاستغفر لي.

فاستغفر له.

فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة.

قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟.

قال: أكون في غبراء الناس أحب إليّ.

[م ٢٥٤٢]

الإخبار بفتح مصر:

١٥ ـ أخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما) أو قال: (ذمة وصهراً فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها).

قال: فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة، يختصمان في موضع لبنة، فخرجت.

[م ٢٥٤٣]

الإخبار بهلاك كسرى وقيصر:

١٦ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده، لتنفقنّ كنوزهما في سبيل الله).

[خ ٣٦١٨، م ٢٩١٨]



١٧ ـ وأخرج الشيخان مثله عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

[خ ٣١٢١، م ٢٩١٩]

الإخبار بفتح الحيرة:

١٨ ـ أخرج البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه رجل آخر فشكا قطع السبيل.

فقال: (يا عدي، هل رأيت الحيرة)[١].

قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها.

قال: (فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة[٢] ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله ـ قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعَّار[٣] ـ طيء الذين قد سعَّروا البلاد[٤] ـ . ولئن طالت بك حياة لتفتحنَّ كنوز كسرى).

قلت: كسرى بن هرمز؟.

قال: (كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترينَّ الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه.

وليلقينَّ اللّهَ أحدُكم يوم القيامة، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولنَّ: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وولداً وأُفضِلْ عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم).

---

(١) الحيرة: هي في العراق، كانت قاعدة المناذرة، بين النجف والكوفة.
(٢) الظعينة: المرأة في الهودج.
(٣) دعَّار: جمع داعر، وهو الشاطر الخبيث المفسد.
(٤) سعَّروا البلاد: أي أوقدوا نار الفتنة، وملؤوا البلاد شراً وفساداً.

قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: (اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد شق تمرة، فبكلمة طيبة).

قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله.

وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز.

ولئن طالت بكم حياة لترونَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: (يخرج ملء كفه).

[خ ٣٥٩٥]

الإخبار عن ركوب البحر:

١٩ ـ أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت.

فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته، وجعلت تفلِّي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك. قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتي عُرِضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج[1] هذا البحر ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة) شك إسحاق.

قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها رسول الله ﷺ.

ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: (ناس من أمتي، عُرِضوا عليَّ غزاة في سبيل الله) كما قال في الأول.

---

(١) ثبج البحر: ظهره ووسطه.

قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (أنت من الأولين).

فركبتِ البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت.

[خ ٢٧٨٨، م ١٩١٢]

الإخبار بمقتل عمر:

٢٠ ـ أخرج الشيخان عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه، فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟.

قلت: أنا، كما قاله.

قال: إنك عليه ـ أو عليها ـ لجريء.

قلت: فتنة الرجل في أهله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي.

قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر.

قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً.

قال: أيكسر أم يفتح؟.

قال: يكسر.

قال: إذاً لا يغلق أبداً.

قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط.

فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: الباب عمر.

[خ ٥٢٥، م ١٤٤ م]

الإخبار عن الخوارج والحض على قتالهم:

٢١ ـ أخرج الشيخان عن سويد بن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرَّ من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة).

٢٢ ـ وأخرج مسلم عن زيد بن وهب الجهني: أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه، الذين ساروا إلى الخوارج.

فقال علي رضي الله عنه: أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج قوم من أمتي، يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن. يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية).

لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قُضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتَّكلوا عن العمل. وآية ذلك: أن فيهم رجلاً له عضد، وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض.

فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.



وقال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذٍ عبدالله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا السيوف من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حوراء.

فرجعوا فوَحَشُّوا برماحهم، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم.

قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذٍ إلا رجلان. فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه.

فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض. فكبَّر ثم قال: صدق الله، وبلَّغ رسوله.

قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين .آلله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟.

فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو.

حتى استحلفه ثلاثاً، وهو يحلف له.

[م ١٠٦٦]

الإخبار بأن أولى الطائفتين بالحق تقتل الخوارج:

٢٣ ـ أخرج مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته، يخرجون من فرقة من الناس، سيماهم التحليق، قال: (هم شر الخلق ـ أو من شر الخلق ـ يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق).

وفي رواية: (تكون في أمتي فرقتان، فيخرج من بينهما مارقة، يلي قتلهم أولاهم بالحق).

[م ١٠٦٥]





الإخبار بمقتل عمار:

٢٤ ـ أخرج البخاري عن عكرمة: قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد، فاسمعا من حديثه، فانطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا، حتى أتى على ذكر بناء المسجد، فقال:

كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: (ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار).

قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن.

[خ ٤٤٧]

٢٥ ـ وأخرج مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال لعمار: (تقتلك الفئة الباغية).

[م ٢٩١٦]

الإخبار عن الصلح بين الحسن ومعاوية:

٢٦ ـ أخرج البخاري عن الحسن ـ البصري ـ قال: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال.

فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها.

فقال له معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس، من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم.

فبعث إلى رجلين من قريش، من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه.



فأتياه فدخلا عليه، فتكلما وقالا له، فطلبا إليه.

فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب، قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك.

قال: فمن لي بهذا؟.

قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصالحه.

فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر، والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول:

(إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين).

[خ ٢٧٠٤]

الإخبار بهلاك الأمة على يدي غلمة:

٢٧ ـ أخرج البخاري عن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة، ومعنا مروان. قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: (هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش).

فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة.

فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بني فلان، وبني فلان، لفعلت.

فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت أعلم.

[خ ٧٠٥٨]

الإخبار عن التطاول في البنيان:

٢٨ ـ أخرج مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا).

قال: صدقت.

قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان.

قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان.

قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

قال: فأخبرني عن الساعة.

قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل).

قال: فأخبرني عن أمارتها.

قال: (أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان).

قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً ثم قال لي: (يا عمر، أتدري من السائل؟).

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: (فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم).

[م ٨]

الإخبار بأنماط جابر:

٢٩ ـ أخرج الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما تزوجت قال لي رسول الله ﷺ: (أتخذت أنماطاً؟)[١] قلت: وأنى لنا أنماط؟ قال: (أما إنها ستكون).

قال جابر: وعند امرأتي نمط، فأنا أقول: نحيه عني، وتقول: قد قال رسول الله ﷺ: (إنها ستكون).

[خ ٣٦٣١، م ٢٠٨٣]

الإخبار بعدم المبالاة بالحلال:

٣٠ ـ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام).

[خ ٢٠٨٣]

الإخبار عن تقليد الأمم السابقة:

٣١ ـ أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم).

قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن).

[خ ٧٣٢٠، م ٢٦٦٩]

---

(١) الأنماط: تطلق على الستور، وعلى ظهارة الفرش.

الإخبار بالكاسيات العاريات:

٣٢ ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت[١] المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

[م ٢١٢٨]

الإخبار باتساع المدينة:

٣٣ ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تبلغ المساكن إهاب أو يهاب)[٢].

[م ٢٩٠٣]



---

(١) الإبل الخراسانية.

(٢) اسم موضع قرب المدينة، يعني أن المدينة تتوسع جداً، حتى تصل مساكنها إلى ذلك الموضع.

الفصل الخامس
الإخبار عن أمور كانت في الماضي

كان البحث في الفصل السابق عن أمور ذكرها الرسول ﷺ عن المستقبل وجاء مرور الزمن ليصدقها كما تحدَّث بها ﷺ تماماً.

وفي هذا الفصل نذكر أموراً تحدث بها ﷺ إخباراً عن الماضي الذي عفا عليه الزمن، وضاعت فيه الحقيقة، أو اختلط الحق فيها بالأساطير.

فجاءت أحاديثه ﷺ لتسجل الحقيقة الناصعة، وهذه الأحاديث إنما كانت بعد هجرته ﷺ إلى المدينة، حيث يقطن اليهود وهم أهل كتاب، ويسمعون ما يقوله ﷺ فلم يعترضوا عليه بأمر واحد.

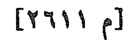
وفي هذا ما فيه من الإعجاز، مثله مثل الإعجاز بالإخبار عن المستقبل. ومعظم الأحاديث في هذا الباب مرتبطة بسيرة الأنبياء السابقين، أو بشأن أتباعهم.

وأنقل من الصحيحين ما تيسر لي الوقوف عليه في هذا الباب.

ذكر آدم عليه السلام:

١ ـ أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لما صوَّر الله آدم في الجنة، تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك).

[م ٢٦١١]



٢ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (خلق الله آدم، وطوله ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيُّونك، تحيتك وتحية ذريتك.

فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله.

فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن).

[خ ٣٣٢٦، م ٢٨٤١]

٣ ـ وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم[1]، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر)[2].

[خ ٣٣٩٩، م ١٤٧٠]

ذكر الناقة:

٤ ـ أخرج الشيخان عن عبد الله بن زمعة: أنه سمع النبي ﷺ يخطب. وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله ﷺ: (﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾[3]: انبعث لها رجل عزيز عارم[4] منيع في رهطه، مثل أبي زمعة).

[خ٤٩٤٢، م ٢٨٥٥]

ذكر إبراهيم عليه السلام:

٥ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكذب

(١) لم يخنز اللحم: معناه أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المنّ والسلوى نهوا عن ادخارهما، فادخروا، ففسد وأنتن، واستمر الأمر من ذلك الوقت.
(٢) لولا حواء: أي لولا أن حواء خانت آدم في إغرائه وتحريضه على مخالفة الأمر بتناول الشجرة، وسنت هذه السنة، لما سلكتها أنثى مع زوجها.
(٣) سورة الشمس، الآية (١٢).
(٤) عارم: هو الشرير المفسد الخبيث.

إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عزّ وجلّ: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[1] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[2].

وقال: بينا هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني.

فأرسل إليها. فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأُخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فأطلق.

فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر.

فأتته وهو قائمٌ يصلي، فأومأ بيده: مهيا؟ قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر.

[خ ٣٣٥٨، م ٢٣٧١]

٦ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اختتن إبراهيم عليه السلام، وهو ابن ثمانين سنة، بالقدوم).

[خ ٣٣٥٦، م ٢٣٧٠]

٧ ـ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (يلقى إبراهيمُ أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر فترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك.

---

(١) سورة الصافات، الآية (٨٩).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٦٣).



فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين.

ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ[1] متلطخ[2]، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار).

[خ ٣٣٥٠]

٨ ـ أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أول ما اتخذ النساء المنطق[3] من قبل أم إسماعيل، اتخذت مِنطقاً لتعفى أثرها على سارة.

ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت، عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفّى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حتى بلغ ﴿يَشۡكُرُونَ﴾[4].

---

(١) ذيخ: هو ذكر الضباع.
(٢) متلطخ: أي في رجيع أو دم أو طين.
(٣) المنطق: ما يشد به الوسط.
(٤) سورة إبراهيم، الآية (٣٧).





وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء، عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً.

فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي، رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس، قال النبي ﷺ: (فذلك سعي الناس بينهما).

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صهٍ ـ تريد نفسها ـ ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال: بجناحه ـ حتى ظهر الماء، فجعلت تحوِّضه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: (يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم ـ أو قال: لو لم تغرف من الماء ـ لكانت زمزم عيناً معيناً).

قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء. فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا



طائراً عائفاً[١]. فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين[٢] فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا.

قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: (فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس) فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام، وتعلم العربية منهم، وأنْفَسَهم[٣] وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل.

فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له: يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غير عتبة بابك.

قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك، فطلقها. وتزوج منهم أخرى.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل

---

(١) عائفا: هو الذي يحوم على الماء.
(٢) جريا: أي رسولا.
(٣) أنفسهم: من النفاسة.





على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

قال النبي ﷺ: (ولم يكن لهم يومئذٍ حبّ، ولو كان لهم دعا لهم فيه).

قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه[1].

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك.

ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.

قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر، فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان:

---

(١) المعنى أنه لا يقتصر أحد على أكل اللحم فقط وشرب الماء في غير مكة إلا لم يوافقه ذلك واشتكى بطنه.





﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

[خ ٣٣٦٤]

ذكر يوسف عليه السلام:

٩ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: (أتقاهم) فقالوا: ليس عن هذا نسألك قال: (فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله) قالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال: (فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا).

[خ ٣٣٥٣، م ٢٣٧٨]

ذكر موسى عليه السلام:

١٠ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل. فقالوا: ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة، وإما آفة.

وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلى يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله:

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٧).



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾[1].

[خ ٣٤٠٤، م ٣٣٩ م]

١١ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه. وقال: ارجع، فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنّة، قال: أي رب، ثم ماذا ؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر).

قال: قال رسول الله ﷺ: (فلو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر).

[خ ١٣٣٩، م ٢٣٧٢]

١٢ ـ وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق فقال: (أي واد هذا؟) فقالوا: هذا وادي الأزرق. قال: (كأني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جؤار إلى الله بالتلبية).

ثم أتى على ثنية هرشى فقال: (أي ثنية هذه؟) قالوا: ثنية هرشى، قال: (كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام، على ناقة حمراء جعدة، عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلبة، وهو يلبي).

[م ١٦٦]

١٣ ـ وأخرج الشيخان: عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم: أن موسى صاحب الخضر، ليس هو موسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦٩).



حدثنا أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: (أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى، لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب، ومن لي به؟ قال: تأخذ حوتاً، فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ.

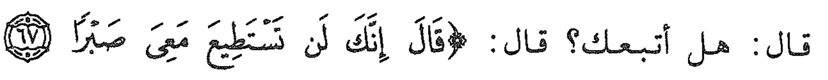
وأخذ حوتاً فجعله في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما، فرقد موسى، واضطرب الحوت فخرج، فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً.

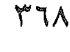
فأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار مثل الطاق، فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله.

قال له فتاه: أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً، فكان للحوت سرباً، ولهما عجباً.

قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصاً، رجعا يقصان آثارهما، حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى، فردَّ عليه فقال: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك تعلمني مما علمت رشداً.

قال: يا موسى إني على علم من علم الله، علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه.

قال: هل أتبعك؟ قال: 
﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾



﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَمْرًا﴾[1].

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول. فلما ركبا في السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين. قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر.

إذ أخذ الفأس فنزع لوحاً، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمرا!!.

قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا.

قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا.

فكانت الأولى من موسى نسياناً. فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا ـ وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً ـ فقال له موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس، لقد شئت شيئاً نكراً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً.

فانطلقا: حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض، مائلاً، أومأ بيده هكذا ـ وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوق ـ قال: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم، لو شئت لاتخذت عليه أجراً.

---

(١) سورة الكهف، الآية (٦٧).

قال: هذا فراق بيني وبينك. سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا.

قال النبي ﷺ: (وددنا أن موسى كان صبر، فقص الله علينا من خبرهما).

[خ ٣٤٠١، م ٢٣٨٠]

١٤ ـ وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إنما سمي الخضر، أنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء).

[خ ٣٤٠٢]

١٥ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى).

[خ ٦٦١٤، م ٢٦٥٢]

ذكر داود وسليمان عليهما السلام:

١٦ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام، فقضى به للكبرى.

فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى).

[خ ٦٧٦٩، م ١٧٢٠]

١٧ ـ وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال



سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنَّ الليلة بمائة امرأة، تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل: إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهنَّ، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان.

قال النبي ﷺ: (لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته).

[خ ٥٢٤٢، م ١٦٥٤]

١٨ ـ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (خفف على داود عليه السلام القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده).

[خ ٣٤١٧]

ذكر أيوب عليه السلام:

١٩ ـ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (بينما أيوب يغتسل عرياناً، خرَّ عليه رِجْل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى، قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك).

[خ ٣٣٩١]

ذكر زكرياء عليه السلام:

٢٠ ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (كان زكرياء نجاراً).

[م ٢٣٧٩]

ذكر عيسى عليه السلام:

٢١ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا، والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني).

[خ ٣٤٤٤، م ٢٣٦٨]



٢٢ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها).
[خ ٣٤٣١، م ٢٣٦٦]

ذكر المتكلمين في المهد:

٢٣ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة:

عيسى.

وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات. وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتي الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي. قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين.

وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمرَّ بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه ـ قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه ـ. ثم مرَّ بأمة فقالت: اللهم لاتجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقت، زنيت، ولم تفعل).

[خ ٣٤٣٦، م ٢٥٥٠]

ذكر المسخ في بني إسرائيل:

٢٤ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ

قال: (فُقِدت أمة من بني إسرائيل، لا يدرى ما فعلت، وإني لا أراها إلا الفأر، إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت).

فحدَّثت كعباً فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقوله؟ قلت: نعم، قال لي مراراً، فقلت: أفأقرأ التوراة؟!.

[خ ٣٣٠٥، م ٢٩٩٧]

حديث الثلاثة:

٢٥ ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً.

فأتى الأبرص فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل ـ أو قال: البقر، هو شك في ذلك: أن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر ـ فأعطي ناقة عشراء، فقال: يُبارك لك فيها.

وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، قال فمسحه فذهب، وأعطي شعراً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملاً. وقال: يُبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إليّ بصري. فأبصر به الناس، قال: فمسحه فردَّ الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والداً.

فأنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً، فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قاله لهذا، فردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله.

فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك).

[خ ٣٤٦٤، م ٢٩٦٤]

حديث الغار:

٢٦ ـ أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: .

(بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم،



فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يَفْرُجُها.

فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم، فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه نأى بي الشجر يوماً، فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحِلاب، فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء. ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء.

وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجل النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله، اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها. اللهم فإن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها، ففرج لهم فرجة.

وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرقِ أرز، فلمَّا قضى عمله قال؛ أعطني حقي، فعرضت عليه حقه، فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي، فقلت: اذهب إلى تلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي، فقلت: إني لا أهزأ بك، فخذ تلك البقر وراعيها، فأخذه فانطلق به، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج ما بقي، ففرج الله عنهم).


[خ ٥٩٧٤، م٢٧٤٣]



حديث أصحاب الأخدود:

٢٧ ـ أخرج مسلم عن صهيب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

(كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه.

فكان إذا أتى الساحرَ مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس.

فأتى الراهب فأخبره، فقال الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ.

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله، فشفاه الله.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي



وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام.

فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب.

فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمئشار، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه.

ثم جيء بجليس الملك قيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه.

فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال؛ تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني.

فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب

الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات.

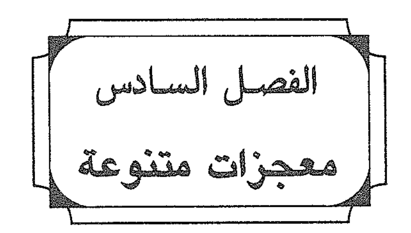
فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام.

فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد ـ والله ـ نزل بك حذرك، قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له: اقتحم، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري، فإنك على الحق).

[م ٣٠٠٥]





الفصل السادس
معجزات متنوعة

حنين الجذع:

١ ـ أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه، فإن لي غلاماً نجاراً. قال: (إن شئت) قال: فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة، قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها، حتى كادت أن تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمَّها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكَّت، حتى استقرت، قال: (بكت على ما كانت تسمع من الذكر).

[خ ٣٦٤٣]

انشقاق القمر:

٢ ـ أخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر.

[خ ٣٦٣٧، م٢٨٠٢]

٣ ـ وأخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال النبي ﷺ: (اشهدوا).

[خ ٣٦٣٦، م ٢٨٠٠]



٤ ـ وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين، فستر الجبلُ فلقةً، وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله ﷺ: (اشهدوا، اشهدوا).

[م ٢٨٠١]

سلام الحجر:

٥ ـ أخرج مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن).

[م ٢٢٧٧]

انقياد الشجر:

٦ ـ أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح[1]، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتَّبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطىء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: (انقادي عليَّ بإذن الله) فانقادت معه كالبعير المخشوش، الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها فقال: (انقادي علي بإذن الله) فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما، لأم بينهما ـ يعني جمعهما ـ فقال: (التئما عليَّ بإذن الله) فالتأمتا.

[م ٣٠١٢]

الإخبار بالشاة المسمومة:

٧ ـ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما

---

(١) أفيح: أي واسعاً.



فتحت خيبر، أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ (اجمعوا إليّ من كان ها هنا من يهود): فجمعوا له.. ثم قال: (هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه) فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: (هل جعلتم في هذه الشاة سما؟) قالوا: نعم، قال: (ما حملكم على ذلك؟) قالوا: أردنا إن كنت كاذباً تستريح، وإن كنت نبياً لم يضرك.

[خ ٣١٦٩]

كف الأذى عنه ﷺ:

٨ ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب.

قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فَجِئَهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه. قال: فقيل له، ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً).

[م ٢٧٩٧]

٩ ـ أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: (إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال؛ من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثاً). ولم يعاقبه وجلس.

[خ ٢٩١٠، م ٨٤٣ و ٨٤٣]

إجابة دعائه ﷺ[1]:

١٠ ـ أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة. فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي. قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة.

فقال رسول الله ﷺ: (اللهم اهد أم أبي هريرة).

فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعتْ أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك، يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء. قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح.

قال: قلت: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً.

[م ٢٤٩١]

قصة جمل جابر:

١١ ـ أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ، قال: فتلاحق بي النبي ﷺ، وأنا على ناضح لنا قد أعيا فلا يكاد يسير، فقال لي: (ما لبعيرك؟) قال: قلت: عيي. قال: فتخلف رسول الله ﷺ فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها

---

(١) يوجد في هذا الباب عشرات الأمثلة على ذلك واكتفيت بواحد، فالأمثلة هنا نماذج.

يسير، فقال لي: (كيف ترى بعيرك؟) قال: قلت: بخير قد أصابته بركتك.

[خ ٢٩٦٧، م ٧١٥م]

بركته ﷺ:

١٢ ـ أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه: أن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمناً، فيأتيها بنوها فيسألون الأدم، وليس عندهم شيء، فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ، فتجد فيه سمناً، فما زال يقيم لها أدم بنيها حتى عصرته. فأتت النبي ﷺ فقال: (عصرتيها؟) قالت: نعم، قال: (لو تركتيها ما زال قائماً).

[م ٢٢٨٠]

١٣ ـ أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله، فأتى النبي ﷺ فقال: (لو لم تكله لأكلتم منه، ولقام لكم).

[م ٢٢٨١]

١٤ ـ أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه، حتى طال عليَّ، فكلته ففني.

[خ ٣٠٩٧، م ٢٩٧٣]

١٥ ـ أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه في قصة جمله قال: فلما قدمنا المدينة قال: (يا بلال، اقضه وزده) فأعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطاً.

قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراط يفارق جراب جابر بن عبد الله.

فكان في كيس لي، فأخذه أهل الشام يوم الحرة.

[خ ٢٣٠٩، ٢٦٠٤، م٧١٥م]



ثبت بعض المصادر والمراجع

١ ـ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القاري. تحقيق الدكتور محمد لطفي الصباغ. المكتب الإسلامي.

٢ ـ أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، درويش الحوت. إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.

٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر. دار الكتب العلمية، بيروت.

٤ ـ البداية والنهاية، لابن كثير. مؤسسة دار العربي، السعودية.

٥ ـ تفسير ابن كثير.

٦ ـ تهذيب الخصائص النبوية الكبرى، الشيخ عبد الله التليدي. دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٧ ـ الجامع بين الصحيحين، صالح أحمد الشامي. دار القلم بدمشق.

٨ ـ الجامع الصحيح للإمام البخاري.

٩ ـ الخصائص الكبرى، للسيوطي. دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠ ـ الرسالة المستطرفة، للكتاني. دار البشائر الإسلامية، بيروت.

١١ ـ روضة الطالبين، للإمام النووي. المكتب الإسلامي.

١٢ ـ زاد المعاد، لابن القيم. مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣ ـ زوائد السنن على الصحيحين، صالح أحمد الشامي. دار القلم بدمشق.

١٤ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني. مكتبة المعارف، الرياض.

١٥ ـ سنن أبي داود، إعداد عزت الدعاس. دار الحديث، حمص.

١٦ ـ سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرين. دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧ ـ سنن النسائي. دار المعرفة، بيروت.

١٨ ـ سنن ابن ماجه. دار إحياء التراث.

١٩ ـ سنن الدارمي، تحقيق فواز زمرلي ورفيقه. دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٠ ـ الشفا للقاضي عياض، تحقيق البجاوي. دار الكتاب العربي، بيروت.

٢١ ـ صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث، بيروت.
٢٢ ـ الصحيح المسند من دلائل النبوة، للوادعي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٢٣ ـ العلل المتناهية، لابن الجوزي. دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤ ـ الغماز على اللماز، للسمهودي، تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٥ ـ غاية السول في خصائص الرسول، لابن الملقن، تحقيق عبد الله بحر الدين. دار البشائر الإسلامية، بيروت.
٢٦ ـ فتاوى الإمام ابن تيمية. دار عالم الكتب، الرياض.
٢٧ ـ فتح الباري، للإمام ابن حجر العسقلاني. دار المعرفة، بيروت.
٢٨ ـ فقه السنّة للسيد سابق. دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٩ ـ في ظلال القرآن لسيد قطب. دار الشروق، بيروت.
٣٠ ـ كتاب اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ، للخيضري، تحقيق الشنقيطي.
٣١ ـ كشف الخفا، للعجلوني. مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٢ ـ مجمع الزوائد، للهيثمي، تحقيق عبد الله الدرويش. دار الفكر، بيروت.
٣٣ ـ مختصر المقاصد الحسنة، للزرقاني، تحقيق الدكتور محمد لطفي الصباغ.
٣٤ ـ مرشد المحتار إلى خصائص المختار، لابن طولون الدمشقي، تحقيق الدكتور بهاء محمد الشاهد. لم يذكر الناشر.
٣٥ ـ من معين السيرة، صالح أحمد الشامي. المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٦ ـ من معين الشمائل، صالح أحمد الشامي. المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٧ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. للقسطلاني، تحقيق صالح أحمد الشامي. المكتب الإسلامي، بيروت.


شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
و
الحصري
NEW & EXCLUSIVE



فهرس الموضوعات



الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة





الموضوع	الصفحة

الباب الثاني
خصائص الفضائل





الموضوع	الصفحة





الموضوع	الصفحة





الموضوع	الصفحة

الباب الثالث
خصائص التكريم بالخطاب القرآني



الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة

الباب الخامس
المعجزات

الباب السادس
المعجزات المذكورة في الصحيحين



الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة



كتب للمؤلف

١ ـ الجامع بين الصحيحين (٤ مجلدات).

٢ ـ زوائد السنن على الصحيحين (٧ مجلدات).

٣ ـ من معين السيرة ط ٢.

٤ ـ من معين الشمائل.

٥ ـ السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).

٦ ـ أضواء على دراسة السيرة.

٧ ـ هكذا فهم السلف.

٨ ـ أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال).

٩ ـ الإمام الغزالي (سلسلة أعلام المسلمين).

١٠ ـ الفرائض فقهاً وحساباً (في جزأين).

١١ ـ الفن الإسلامي (التزام وإبداع).

١٢ ـ دراسة جمالية في ثلاثة أجزاء.

أ ـ الظاهرة الجمالية في الإسلام.

ب ـ ميادين الجمال.

ج ـ التربية الجمالية في الإسلام.

١٣ ـ تحقيق الجمع بين الصحيحين للموصلي في (مجلدين).

١٤ ـ تحقيق المواهب اللدنية للقسطلاني (٤ مجلدات) ط ٢.

١٥ ـ تحقيق رسالة شرح المعرفة للمحاسبي.

١٦ ـ المهذب من إحياء علوم الدين (في مجلدين) ط ٢.

١٧ ـ تقريب طريق الهجرتين لابن القيم.



١٨ ـ العناية بـ «الوابل الصيب» لابن القيم.

١٩ ـ تهذيب حلية الأولياء (٣ مجلدات).

٢٠ ـ الغرانيق (قصة دخيلة على السيرة النبوية).

٢١ ـ مواعظ الصحابة.

٢٢ ـ سلسلة معالم في التربية والدعوة وفيها:

١ ـ مواعظ الإمام إبراهيم بن أدهم.

٢ ـ مواعظ الإمام أبي سليمان الداراني.

٣ ـ مواعظ الإمام الحسن البصري.

٤ ـ مواعظ الإمام الشافعي.

٥ ـ مواعظ الإمام الفضيل بن عياض.

٦ ـ مواعظ الإمام سفيان الثوري.

٧ ـ مواعظ الإمام سلمة بن دينار.

٨ ـ مواعظ الإمام عبد الله بن المبارك.

٩ ـ مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز.

١٠ ـ مواعظ الإمام مالك بن دينار.

١١ ـ مواعظ الإمام الحارث المحاسبي.

١٢ ـ مواعظ الإمام ابن قيم الجوزية.

تحت الطبع

١ ـ تهذيب الشفا للقاضي عياض.

٢ ـ تحقيق «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» للقاضي عياض.

٣ ـ تحقيق سيرة خير العباد لابن القيم.

٤ ـ تحقيق البيان عن مصايد الشيطان لابن القيم.

